إلى القارئ

من بلاد الصين الى اليابان

بقلم : البشير بن سلامة

في غضون شهر جوان زرت الصين الشعبية واطلعت عن كثب على بعض جوانب الحياة فيها وتمكنت من التحول الى عدد من مدنهـا (بيكيـن ، تيـان تشين ، شنغاي ، شوسو) وحصلت لي بعض الانطباعات التي وإن كانت غير مكتملة نظرا الى ضيق الوقت وعدم معرفة اللغة فانها يمكن ان تكون منطلقا الى افكار لا تخرج في الواقع عما كتب عن الصين في هذه السنـوات ولكـن ليس الخبر كالخبر .

إن من يطأ ارض الصين ، يشعر انه في بلاد عظيمة أثقلت القرون تاريخها وافسحت لها من المجالات ما لم تعرفه بـلاد أخرى في الدنيـا ، شساعة في المساحة وضخامة في عدد السكان وخطورة في صنع الاحداث والتأثير فيها .

فلقد تضخمت الصين مساحة بما خاضته ، طيلة قرون من اول التاريخ على يد أباطرة عديدين ، من المعارك الطاحنة والجولات الدموية المثيرة لاثبـات الكيان الصيني كحدود قارة أولا وحضارة متميزة ثانيا رغـم حكـم الدخـلاء الاجانب في فترات عديدة ومحاولة جر البلاد الى هويات مختلفة .

ولقد تجلى هذا الحفاظ على ارض الوطن في هذا السور العظيم الذي بني لرد الغزاة ودحر الطامعين وخاصة الامم الضاربة في البداوة فكان عملا جبارا امتد من القرن الرابع قبل المسيح الى القرن السادس عشر بعده وطـوله حـوالي 2300 كلم على خط مستقيم وما يقرب من 5000 كلم في الواقع بما احتواه من تحصينات ملتوية ومتماشية مع وعـورة الارض وتعرجاتهـا . وهـذا السور

العظيم الذى يصل فى بعض الأماكن الى علو يقرب من ستة امتار وعرض يتراوح بين الخمسة والستة أمتار يحتوي على أبراج للرصد قائمة على أسوار مسننة تلتوي مع تضاريس الارض . وقد ساعد هذا السور العظيم على ملاحظة كل تحركات الأعداء وحماية الصينيين من الهجومات وتسهيل التنقل بين شرقي الصين وغربيها .

وإن صعودي لما يقرب من ست مائة متر من هذا السور على بعد مائة كلم من بيكين أبان لى عظمة هذا الانجاز وما يرمز اليه ـ بشموخ تحصينات أعلى قمة فى الجبل ـ من معانى الاصرار على بناء حضارة شامخة تميزت على مر الدهور بخصوصيتها وعمق ابعادها وطرافة روافدها .

وليست عظمة السور باقل وقعا فى النفس من اثر ضخامة عدد السكان . إذ لا يمكن لأى متجول فى مدينة من مدن الصين وخاصة بيكين ان لا يشعر بان هذا السيل الجارف من المارة ـ إما على الدراجات او على الاقدام ـ سيل لاينقطع ممتد كامتداد سور الصين ثابت رغم تحركه كثبوت التحصينات : إنه أكثر من مليار نسمة يصنعون الصين الجديدة كما صنعها الذين بنوا الأسوار واخترعوا البارود والورق وافتنوا فى ضروب الفنون والمرافق .

وإنه ليس بخاف عند مشاهدة هذا السيل العظيم من البشر وكذلك اذا ما توغل الباحث فى تاريخ الصين وتتبع بكل إعجاب الفنون التى ما تزال متوارثة من رسم وتطريز وتخريم ونسج على الحرير وغيره وموسيقى وصنع خزف وبرنز ومعمار وتفنن فى إقامة الحدائق ، إنه ليس بخاف ان هذا الشعب يعتز بذاته ويتمسك بهويته ولكنهما هوية وذاتية لا تشبهان ما درجنا فى هذه السنوات على إعطائهما مفهوما غربيا بل هما ملتصقان بحكمة الشرق التى لا تنفصل عن الواقع المعيش وعن الوجود المتلبس به والتى لم تعرف مفهوم « الكائن » الذى ابرزه ديكارت وأدى الى الفردية او قتلها فى الانظمة الكلاتية وجر العالم الغربى الى التسليم كما قال ليفي ستروس بحوث كسر بين الماضى والحاضر وبناء المجتمعات على أساس إيديلوجيات وافكار مجردة ادت الى الصراعات والازمات المتواصلة .

وليس بخاف أيضا أن الصين كادت ، أثناء الثورة الثقافية التى أدانها كل الصينيين الآن واعتبروها وصمة فى جبين الحركة التحررية التى بدأت سنة 1949 وفترة تأخر لا يمكن تلافيه الا بالجهد والعناء الكبيرين ، إن الصين كادت اذن أن تقع فى الأحبولة التى وقع فيها الغرب وهو يجهد الآن أن يخرج منها والتى يغرق فيها بعض القادة فى العالم الثالث تطبيقا للثورة الثقافية المجهضة ، غرورا أو جهالة أو خضوعا .

ولهذا فان الحكمة الصينية قد تغلبت وأصبح الشعب الصينى الآن يشق طريقه نحو تفتح رصين للتمكن من حذق كل ما لدى الأمم ، كل الأمم ، من تقنية وتكنولوجيا وحتى الفنون مهما كانت : نعم الحذق الى حد التقليد ولكن الحفاظ على التقاليد الصينية وعلى الحكمة الشرقية التى تقول بالتضامن والوفاء والقناعة وبالجد فى العمل وبكلمة أدق بالمحافظة على القيم الخالدة التى تستوجب لغرسها فى النفوس التربية الحق القائمة على حسن السلوك والانضباط وحب الوطن .

والحق يقال: إن شعبا مثل الصين فى كثرة عدد سكانه وفى عراقة حضارته لو لم يقم بثورته التحررية فى سنة 1949 ولم يمض على النسق الذى ذكرته لما أمكن له أن يقطع أشواطا كبيرة لقهر الجوع والمرض والجهالة والجمود ، وهو بهذا حقيق بالاعجاب والتنويه .

إن شعور المسؤولين فى الصين حاد بجسامة العبء الذى يتحملونه لجعل الشعب الصينى يصبح فى أقرب الاوقات فى عداد الامم المتقدمة وبهذا فان قرارات اللجنة المركزية المنعقدة أخيرا حددت الطرق والوسائل الكفيلة بالتغلب على كل مظاهر التخلف وكسب رهان التقدم من دون الوقوع فيما تردت فيه المجتمعات الغربية من مادية مفرطة وفردية مقيتة وسيطرة على الطبيعة مخزية ونظرة الى المستقبل كأنه صورة من الحاضر او ذيل من الماضى.

وإننى على يقين من أن الصين هى سائرة فى الطريق التى سار فيها اليابان منذ أوائل القرن الحالى ولكن مع فارق كبير هو ثقل وطأة حضارة الصين وحكمتها وتشبثها بالقيم وحذرها من الافراط فى الاقدام على النمط اليابانى أو التفريط فى سر التقدم الذى عرفه اليابان .

نعم إن هذا التقدم الذى أحرزه اليابان فى جميع المجالات برز فيما رأيته فى المعرض الدولى بتسوكوبا (على بعد 30 كلم من طوكيو) وهو معرض أراد أن يظهر فيه اليابان بمظهر الدولة التى كسبت الرهان فى مجالى العلم والتكنلوجيا . وقد شارك فى هذا التجمع العالمى الممتاز سبعة وأربعون بلدا وسبع وثلاثون منظمة علاوة على اليابان وثمان وعشرين شركة يابانية . وكان الشعار هو : السكن والمحيط والعلم والتكنلوجيا فى خدمة الانسان .

وقد خصص الجناح اليابانى لمعالجة غرض : الارض والشمس والماء . فقد برزت استعمالات الطاقة الشمسية فى الفلاحة وفى طريقة خزن هذه الطاقة وإمكانية استغلال الماء والطاقة الشمسية والاسمدة فقط من دون استعمال الارض للتحصيل من غرس واحد للطماطم على عشرة آلاف وحدة هذا علاوة على ما عرض من تكنلوجيا الفضاء ومن آلات تمكن من رؤية العالم بمنظار الحيوانات ومن ترصد الزلازل .

ولكن اليابان لم يقتصر على ذلك اذ خول لكثير من شركاته فتح اجنحة خاصة أبرزت أحدث ما لديها من اختراعات : ففى مجال المسرح تم ضبط مسرح دائري له اربعة ركوح وبامكانه توزيع التذاكر والسماح بالدخول بصورة آلية وكذلك ابتكر مسرح يخلق ناظم الآلة أشخاصه وديكوره .

وهيمن على كثير من الاجنحة شبح الانسان الآلى (Robot) فعرض أعظم نموذج له كما عرض إنسان آلى قادر على رسم صورة لأى شخص يجلس امامه فتراه يرسم بعد التأمل صورة قريبة للشخص .

وتمكنت من التعرف الى استعمال الـلازر (Laser) فى مجال الرسم والى اختراع يمكن من صورة أنصع على شاشة التلفزة وابتكار آخر للسنما ذات الأبعاد الثلاثة واحكام آلة جديدة للترجمة اذ أصبح من الممكن الآن التحصيل على ترجمة فورية بين اليابانية والانقليزية ولكنها ليست مطابقة تماما ولكن بعد سنوات قليلة سيكون فى امكان الانسان أن يتجول فى أى بلد فى العالم بدون مترجم وان يحضر الندوات باستعمال هذه الآلة .

والحديث يطول لو تتبعنا الاختراعات الموجودة فى اجنحة البلدان الاخرى كالولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي وفرنسا وايطاليا وغيرها . مع

الملاحظة أن تونس تكاد تكون البلد العربي الوحيد الذى حضر هذا المعرض الدولي وأثبت فيه وجوده كحضارة عربية اسلامية تخدم الانسان وتحاول أن يكون العلم والتكنولوجيا غير مغيرين بسببها للمحيط والسكن .

وعلى كل فان الشرق الاقصى وخاصة الصين واليابان قد أوجد لنفسه طريقة تمكنه من حل مشاكله والفوز بالسبق فى عدة مجالات بهذه العزيمة التى مكنته من سن نظام للتربية ولا أقول للتعليم يرتكز على القيم أولا وبالذات هذه القيم التى تخول أن يتشبث الطفل والشاب بوطنه قبل كل شيء وأن يتعلم التضامن مع غيره وينبذ الانانية ويقبل بجد وعناء على حذق أحدث ما هو موجود عند الامم الاخرى من علم وتكنلوجيا .

ولعل الصورة التى لخص بها وزير الثقافة الصينى التمشي الذى ارتضته الصين اليوم خير ما يبرز هذا المنحى اذ قال : إننا فى حاجة الى الهواء النقي ولهذا فمن الواجب أن نفتح النوافذ ولكن مع الهواء النقي تدخل الحشرات وما شاكلها فنحن نتصدى لها بالمبيدات ويعني بالحشرات : المادية المفرطة التى تستثني كل ما هو روحانى ومتصل بالقيم .

بهذه اللمحة الخاطفة عن هذين البلدين العظيمين أردت أن أبسط الى التونسيين والى قراء هذه المجلة من الأشقاء الى أنه من واجبنا أن نراجع أنفسنا ونقلع عما دأبنا عليه منذ نهضتنا الاولى من أنماط التفكير التى لم تجرنا الا الى ما نقاسيه اليوم من تشتت وفرقة وصراعات دموية وتاخر وإغراق فى مظاهر التخلف والجمود وتشبث برواسب عصور الانحطاط عوض الاقبال على ما تقبل عليه الامم الاخرى من إذعان للواقع ونظر الى ما يتقدم بنا وينهض بشعوبنا من دون تحد وعنتريات ومن دون المرور بالتجارب التى مرت بها بعض الدول وأقلعت عنها.ولعله من الواجب أن نقبل قبل كل شيء على مراجعة أنظمتنا التربوية على أساس ما ذكرت وأن نولي أيضا الثقافة دورا يتوازى مع تلقين المعارف لان تعليم الفنون والبرامج التثقيفية هى التى تصنع الخلاقين القادرين على الانصهار فى الواقع وفى الطبيعة وتجاوزهما لما فيه الخير للبشرية مستقبلا .

البشير بن سلامة

أيها الشباب

شعر : الشاذلي عطاء الله

تهيأتِ الأسبابُ وانقطع العُذْرُ .. ولم يبقَ إلاّ الجدّ والعَمَلُ البِكرُ
فشَمّرْ أخي عن ساعديكَ فإنما الحيا ةُ كِفاحٌ منْ مُعِدّاته الصّبْرُ
عليكَ عقَدْنا كل آمالِنـا فلاَ تُخيّبْ رَجانا أيُّهَا البَطَلُ الحرّ
فجاهدْ وكُنْ في مُسْتوَى أملٍ علَيْـكَ عقدناهُ لكي يُضْمَنَ النَّصْرُ
لكَ السّاعدُ المفتولُ والعصَبُ الّذِي تصلّبَ حتّى لا يُفتّتهُ الصّخْرُ
(تنامُ بإحدَى مُقْلتَيْكَ وتتقي بأخرى الأذى) كي لا يفاجئك الذعر
وفي الشرايينِ فَيضٌ من دم مُحرِق به لذْعُ نارٍ ليسَ يشبهُهُ الجَمْرُ
فلا قوّةٌ في الأرضِ تَقْوَى على قُوى الشبابِ إذا لم يُفنها الضّرّ والعمرُ
عرفْناك صُلبـا لا تَلِينُ قَنَاتُهُ ولا ينحني حتّى إذا مسّهُ الضّرّ
فكنْ درْعَ هذا الشعبِ واحم كيانهُ إذا اشتدّتِ الأهوالُ أو غدر الغيرُ
فإنكَ للخضراءِ أيقظُ حَـارِسٍ يقيهَا طوالَ الدهرِ إن لزِمَ الأمرُ
وأنتَ سمادُ الأرضِ تُنمي غِراسها بجهدٍ جهيدٍ لا يضيقُ به الصّدر
عهِدناكَ حرّ النفسِ لا تَسْتَمِلك النّوَازِعُ أو يقـوَى على قهرِكَ الدّهرُ
حياتُكَ كنزٌ للبِلاَدِ تُعِـدّهُ لأيّامهَا السَّوْدَاءِ وهوَ لها ذُخْرُ
تُنمّيه بالسّعيِ المُفيدِ إذاَ تَـوَا صَلَ جِدّيًا وينمو بـه الخَيْـرُ
إذا أنتَ سايرْتَ الحَيَاةَ وَجَدْتَهَا تُرِيدُ شُجاعا ليْسَ يُعْوِزُهُ الصّبرُ
يشقّ الطرِيقَ الوعرَ ليستْ تُخيفهُ مَسَالِكها الكأْداَ ولاَ المهمهُ الوعر
إذاَ كانت الغايَاتُ من همّةِ الفَتَى فليستْ لتُقصيهِ متَاهَاتُها الكُثْرُ
يَهُونُ عَلَيْهِ كُلّ صعْبٍ وَلا تُنَهْنِهُـهُ الأَهْوَالُ وَالمَهمهُ القَفْرُ

ويشربُهُ مرًّا زُعافًا وَعَلْقَمًا ... وَيُطْعِمُهُ حُلْوًا وَمَطعَمهُ الصَّبرُ
كذَا فلْيكُنْ شأْنُ الشّجاع إذَا ... تأزّمتِ الأَحْوالُ أنجدَهُ الفكرُ
وَأبلغهُ غاياتِه لمَّ لمْ يَزَلْ ... يُصاحِبُهُ حتّى يُفارقَهُ العُسْرُ
خِلالٌ عليهَا عاشَ ذُو مرّةٍ ولَمْ ... تُفارِقهُ ما استأنَى وَطالَ به العمرُ
فأنتَ ملاذُ الشّعبِ فِي أزمَاتِهِ ... إذَا اربدّ وَجهُ الدّهرِ واختلط الأمر
وَأنتَ لهُ دِرْع تقيهِ كَوَارِثَا ... إذَا مَا العِدَا هَمُّوا بِهِ وبه أُغْرُوا
تُلقّنُهمْ درْسا يُحطّمُ مَا بنَوْا ... فَيَغدُو هشيما ما لهُ في الورَا ذكرُ
إذا أُمةٌ لم تحمِهَا من عَدُوّهَا ... قوى منْ بنيهَا عاشَ في أرضها الغير
ونحنُ بحمدِ الله يَحْمِي شبَابنَا ... حِمانَا فلا يُجتَاحُ منْ أرضِنا شِبرُ
ولن نستسيغَ الذّلّ حتّى ولو بدتْ ... حلاوتُهُ أوْضاع مِنْ نشرهِ العِطرُ
كرَامتُنَا تَأبَى علَيْنا خُضُوعنا ... لمن خال أنّ النقصَ يُكمِلهُ الكبر
عهدناكَ يا سيفا من العزمِ مُصْلتا ... على هام من لم يصف من حقدهم صدر
فلا تغفِ عينا وانتبِهْ لِمُرَاوِغٍ ... تسلل حتّى ظنّ أن الدّجى سِتر
من الحزم أن لا تأمن الريح إن هفتْ ... رُخاء فما الإعصارُ إلا ابنها البِكرُ
إذا انتَ لم تأمنْ عَدُوّا وإن بَدَا ... صديقا أمنتَ الغدرَ واقتربَ النّصرُ
فأمضى سلاحٍ في الحياةِ تيَقُّظٌ ... وحزمٌ وتدبيرٌ بها يسهُلُ العُسْرُ
فلا تُضِعِ الوقتَ الثّمينَ فإنّهُ ... إذا فاتَ لمْ ينفعْكَ في فوتهِ العذرُ
ولا تخشَ صعبا يضعف العزمَ فالحيا ... ةُ صعابٌ والجبانُ هوَ الغمْرُ
ولولا ابتعادُ النفسِ عنْ مُغْرِيَاتها ... لما كانَ فوزٌ في الحياةِ ولا ظفرُ
عهِدْناكَ لا تَغترّ بالصّوَرِ الّتي ... تُباديكَ حتّى لا يُخادِعكَ السترُ
وحزْمُ الفتَى المقدَام لا تستفِزّهُ ... المظاهرُ أو يثنيهِ عن قصدهِ شكرُ
ولوْلا مِضَاءُ العزْمِ لم تمتلِءْ صَحا ... ئفنا الغرّا ولم يخلُدِ الذّكْرُ
وهَا هِيَ أسفَارُ الأُبَاةِ مليئةٌ ... وما بينها سترٌ لمن فاتهُ الفخرُ
فلا تحنِ ظهْرا للمصاعبِ إنّها ... تمرّ وعسرُ الدهرِ يَعقُبُهُ اليُسرُ

الشاذلى عطاء الله

من الأبعاد الحضارية للسنة الدولية للشباب

بقلم : محمد الصادق دمق

ان الحديث عن الشباب فى سنته العالمية التى هى تحت شعار : « المشاركة ، التنمية ، السلم » تستلزم منا أن نبحث فى العناصر المرتبطة بشخصية كل شاب وهى العنصر البدنى والعامل النفسى والعوامل الاجتماعية والثقافية .

وبالرغم من أن لكل شاب شخصيته التى تميزه عن غيره حيث يقول الفيلسوف ـ فيللو ـ : «الشخصية هى التشكيلة الفريدة المتميزة التى يتخذها الفرد من مجموع العوامل المسؤولة عن سلوكه» فان هناك العديد من العناصر التى تجمع بين الشباب بحكم الاشتراك فى هذه المرحلة من العمر ضمن اطار حضارى له سماته التى تميزه عن غيره .

العنصر البدنى :

ففى العنصر البدنى نجد للشباب قوة الاندفاع والميل الى اظهار القدرة البدنية ، ومن هنا جاء ميله الى القيام بأخطر المهام وركوب متن المغامرة دون وجل أو خشية ، فكان لتوجيه التربية البدنية قيمة هامة فى استغلال تلك الشحنات من القوة والقدرة لصقلها وتهذيبها وصرفها فى ما ينفع الفرد والمجتمع .

العامل النفسى :

أما من الناحية النفسية فان البحوث قد أثبتت العديد من مميزات هذه المرحلة العمرية من حياة الفرد ، فمرحلة الشباب تتميز بميلاد الميل الشديد

الى استقلال الشخصية حيث يتخلص الشاب من فكـرة التبعية السلـوكية وخاصة الابوين · وهذه الشخصية المستقلة تولد امامه ضرورات جديدة لم يكن يفكر فيها من قبل وهى الاعتماد على النفـس والتفكيـر فى المستقبـل واثبات الذات وتحدى العراقيل التى تعترضه والتشبث بقيم اخلاقية معينة ومحاولة فهم غوامض الامور والتعمق فى أسباب الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاهتمام بالنتائج والافرازات التى تفرزها المذاهب العقائدية ، ومن هنا جاء الاهتمام بهذه المرحلة من العمر والسعى الى تأطير الشباب ضمن اطار سليم ينمى فيه الميل الى التفكير المنطقى ويعمق فيه الروح العلمية والتفكير الرياضى حتى ينتهج فى حياته منهجا تجريبيا عقليا يمكنه من ان يكون موضوعيا فى مسيرته الحياتية ·

العوامل الاجتماعية والثقافية :

لاحظنا فى العنصرين السابقين مدى ترابط العـوامل الجسمية والنفسية عند الشباب مع التركيبة الاجتماعية التى يعيش فيها · فلكل مجتمع ثقافته التى تميزه عن غيره · والانسان مدنى بالطبع كما ذهب الى ذلك ابن خلدون وهو بالتالى لا يستطيع العيش خارج اطاره الاجتماعى والثقافى · ولا يستطيع أن يتخلى كليا عن القواعد المعينة للسلوك المتفق عليها · وما الثقافة حسب رأى ـ رالف لنتون ـ : «الا مجموعة منظمة من انمـاط السلـوك ، وهـذه النماذج والانماط هى عادات اجتماعية لها طابع الزامى» ·

والطابع الالزامى هذا له وقعه الخاص على الشباب الذى يمر بمرحلة المراهقة التى تجعله جسميا ونفسيا يميل الى التعبير عن الذات بكل تلقائية متحديـا بعض المعايير الاجتماعية التى اقرها المجتمع ، وبذلك تنشأ له صعوبات مردها الصراع القائم بين فكرة التأصيل التام والتجذر الكلى وبين التفتح على التيارات المعاصرة التى قد لا تتماشى بعض مقوماتها مع ما للمجتمع من مثـل وقيـم اخلاقية أصيلة ·

الترابط بين الخصال وتكييف السلوك :

ان الربط بين خصائص شخصية الشباب ودوره فى الحياة لـه أهميـة قصوى فى اعداده للاضطلاع بدوره الفعال فى حماية الذات والوطن والانسانية

وقد أدرك الزعماء والفلاسفة والمصلحون الاهمية القصوى لهذا الترابط بين خصال الشباب وتكييف سلوكه ، فركزوا عليه تفكيرهم وانتهجوا فيه مناهج قد اختلفت فى المسلك ولكنها تقاربت فى الاهداف ، ومن ذلك ما ذهب اليه المجاهد الاكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة حيث يقول : «الشباب فى نظرنا عقلية وطاقة ورهان مستقبل» .

فهذا التعريف ياخذ فى الاعتبار الخصائص الجسمية والنفسية التى يتميز بها الشباب الا انه يسمو بها الى أعلى درجات الاعتبار الانسانى ، فالعقلية المتحررة هى التى توظف الطاقات التى يمتلكها الشباب الى الخلق والابداع والعطاء من أجل تحقيق خير المجتمع بعيدا عن النظرة الضيقة النفعية وهذا لا يتم الا بتكوين العقلية العامة للجموعة البشرية المتعايشة عن طريق البرامج التربوية والثقافية الواعية التى تفسح المجال أمام التفكير الحر الموضوعى الذى ينطلق من أصالة الشعب وجذوره التاريخية والحضارية .

واذا كان الشباب عقلية فهو طاقة خلاقة لا تعرف التهيب والتحرز كلما اتضحت أمامها المسالك وآمنت بما هى قادمة عليه من تغيير واصلاح واجتثاث لعناصر التزمت والتخلف والتعصب حتى تغرس مكانها التفتح المتزن والتقدم الواعى والتأقلم مع مقتضيات المثل الانسانية الراقية ، ومن هنا جاءت قدرة الشباب على الاضطلاع بأعباء أهم الثورات التى غيرت مجرى التاريخ فى العالم وجعلت الانسان يتبوأ منازل رفيعة فى مدارج التحضر والتمدن .

ثم ان الشباب رهان مستقبل لان خصاله ونفسيته وطاقاته تجعل منه رصيد الشعوب لمواجهة حاجات الاستمرار والتجديد وتحقيق الاهداف المستقبلية .

وهذا لا يتم الا بافساح المجال أمامه للتدرب على تحمل المسؤولية لان الخصال تتطلب الصقل والتهذيب والتدريب حتى تكون لها جدوى وحتى تحافظ على جوهر الحضارة ورصيدها الذى ساهمت فى تكوينه الاجيال المتعاقبة عبر العصور المتتالية .

المدلول الوطنى لشعار السنة الدولية للشباب

ان الشعارات التى لها مدلول انسانى شامل لابد أن تقع مسايرتها لكل الانظمة فى العالم بعيدا عن الهيمنة والتبعية .

فالمشاركة بالنسبة لتونس لها بعدان يتمثل الاول فى ادراك أهمية الدور الذى يمكن أن يقوم به كل شاب ، والثانى فى نوعية المشاركة التى يجب أن تكون منطلقة من الارضية التى ضحى الشعب من أجل توفيرها .

فالشباب مدعو الى المشاركة التى تضمن ديمومة الذاتية القومية عزيزة الجانب حاملة لمقومات صلاحية العيش ضمن التيارات العالمية المختلفة .

فالبورقيبية من الانظمة التى لها قوة الدفع الدائم نحو ارتياد مجالات جديدة تتكيف مع الضرورات الحتمية للعصر فهى تفسح المجال أمام الفرد ليدرك وضعيته وبالتالى تمكن الشباب من ادراك مدى مساهمته فى اثراء الواقع لانها تدعوه لاعمال العقل والسير حسب المناهج العلمية المضبوطة .

فالمسيرة التحريرية التونسية اقامت الدليل على ان الطاقات الشبابية لها قيمتها فى تغيير واقع لم يكن يتضمن مقومات الشخصية الوطنية المتماشية مع المبادىء العربية الاسلامية . وكان ذلك العمل متسما بخصائص تونسية نابعة من الواقع والشخصية القومية .

ثم ان مشاركة الشباب التونسى هى مشاركة الروح العلمية المتوثبة الى المستقبل ، الحاملة لعناصر الكشف والاختراع والريادة بعيدا عن الخنوع والتعصب ولا يتم ذلك الا بالتخصص الدقيق فى مختلف المجالات العلمية حتى يكون الفكر التونسى خلاقا ميدانيا مبتكرا لأروع مظاهر الاكتشاف والاختراع عندما تتوفر الظروف وتتيسر الامكانات الضرورية .

انها المشاركة الرائدة فى الرفع من مستوى الانسان عن طريق تطبيق المناهج العلمية وعقلنة السلوك والتفكير لضمان الوحدة القومية حاليا ومستقبلا لانها الاطار الاجدر بتحقيق ما وطنا العزم على اخراجه من ميدان الامكان الى ميدان الفعل .

ولعل المشاركة ترتبط مباشرة بالتنمية ، والتنمية ليست فقط ما يتبادر الى الذهن من نمو للانتاج القومى ، وانما هى أبعد مدى وأشمل مجالا فهى تنمية القدرات العلمية وهى الرفع من مدارك الانسان وهى السمو به من الانا الضيق الى أرحب مجالات الاشعاع وهى بالتالى تخليص الانسان من عوامل التثبيط والاحباط الى منزلة الخلق والانتاج بكل جدارة وفاعلية .

فالانسان هو الغاية وهو الوسيلة فى المنهج البورقيبي وهذا ما جعله أهم عنصر من عناصر التنمية فى المسيرة الحضارية فهو عنصر حي قادر على التأقلم مع الظروف ومجابهة التحديات وتحقيق ما كان يعتبر من قبيل المعجزات فقد أعلى السدود وبعث المصانع وطور الانتاج الفلاحي وركز مؤسسات اجتماعية وثقافية كان لها قيمتها فى توفير الظروف لضمان قدرة الشباب التونسي على مواصلة رسالة المساهمة فى تطوير المسار التنموي العام ٠

ولم يكن لهذه الامور أن تحققها هذه الطاقات البشرية الهائلة التى هي ذخيرة هذه الامة لولا تحقيق مبدا الوحدة القومية التى نراها مظهرا من مظاهر السلم ٠

فالسلام لا يمكن أن يتحقق عالميا اذا لم تروض النفوس على نبذ الحقد والضغينة والاستعلاء والميز العنصري والانتماء الطبقي ٠

فتحقيق السلام رهين بما ينتج عن التربية الوطنية من تهذيب للنفس البشرية وجعلها ترى فى السلام وجودها وفى التضامن كيانها وفى التعاون الحر النزيه مستقبلها ٠

ان السلام هو في التوفيق بين المصالح الشخصية ومصالح المجموعة الانسانية ، هو فى قهر نوازع الهيمنة والتسلط واقرار ميول المحبة والتعاون محلها .

والسلام هو جدلية تتطلب طرفين متفاعلين متلازمين هما احترام القوي للضعيف وتعاونه معه على قدم المساواة من أجل خير الانسانية .

وهكذا فان جعل هذه السنة تحت شعار السنة الدولية للشباب له مضامينه ومدلولاته العميقة الغور الفسيحة الآفاق . فيه توظيف لنوازع الشباب الخيرة من أجل تحقيق مجتمع انساني أفضل .

وتونس بنظامها المقام على المبادىء الانسانية النبيلة من حرية وديمقراطية ونظام لها القدرة الكافية للمساهمة بطاقات شبابها الواعي المثقف المتحضر فى اقرار نظام دولي يأخذ بعين الاعتبار مصالح التركيبة الدولية بعيدا عن الهيمنة والسيطرة واخذا بأسباب التضامن والتعاون والسلام .

محمد الصادق دمق

قصيدة من البحرين..

تونس الحبّ.. تونس الياسمين..

شعر: عبد الله مالك القاسمي

قفوا أيّها الشعراء قليــــلاَ قصائدُكم لا تـرومُ الـرحيـلا
مكبَّلةٌ باغتراب المعانـــي كَبَوْصَلَةٍ قَدْ أَضَاعَتْ سبيلاَ
فهذا الغمامُ كثيفٌ وذاكَ المــــــدى ممكنٌ، إن بدا مستحيلا
إذا مــا عشقتُمْ صباحا جديدا فليلكمُ لَنْ يكونَ طويلا
إذن عانقوا دَوحةَ ظلّاتكم وضمُّوا إليكم ترابا أصيلا
لنا في الشمال طيور تغنّـي وعشبٌ وماءٌ جرى سلسبيلا
لنا في الجنوب جريد تعرّى لشمسٍ سناها يُغطّي النخيلا

* * *

أُحبُّكِ قرطاجةُ .. الياسميــــنُ تدفق في القلب حلما جميلا
ولا تسأليني .. فما ينفعُ العشــقُ إن لم أكنْ قاتلا أو قتيلا
فلي جسد طافح بالهوى لا يَميلُ وَلَوْ حَاوَلُوا أن يميلاَ
ومهما عشقتُ ومهما تبدلــتُ لن أتخيّرَ عنكِ بديلا

* * *

على ظمإ يلهثون وأبقـــى أنا أتفيّأ كرما ظليــلا
ينامون مثل السّكارى ويصحو الذي قد هوى .. أصطفيه خليلا

خليلي عشقنا معا .. وارتوينا معا .. يا ترى هل شفّينا الغليلا ؟
يُضَمِّخُنا مطرٌ قد همى فانتهينا على ربوة الحبّ غُصْنا بليلا
أيا تونسَ الحبّ نحن نُنَاديك هلاّ سمعتِ نداء صهيلا
فإن تركض الخيل في دَمِنَا يصهل الحبّ فينا طَويلا
وإن شرّدتنا الرّياحُ زمانا وتِهنَا زَمَانا .. فكوني الدليلا
سنأتيك بالأغنيات وبالشهوات لنرسمَ وقتا بديلا
وعذرا إذا جفّ نبعُ الكلام فنهرُ الغرام اشتهى أن يسيلا

ع. م. القاسمي

من مؤلفات الأستاذ محمد مزالي

- الديمقراطية
- مواقف
- من وحي الفكر
- في دروب الفكر
- حديث الفعل

الطفل في البيئات الثلاث

بقلم : عبد الحفيظ الهنشيري

ان كلفة الحياة ما انفكت تزداد وتكبر وقيمتها لم تتراجع عن الصعود او هي لم تستقر ولا ينسحب هذا على الجانب المادي فقط بل يشمل ايضا النواحي الاخرى بمختلف وجوهها : الاجتماعية والثقافية والعلمية .. الخ والتربية لم تشذ عن القاعدة فغدت تتطور وتتحول وهذا طبيعي فالنظريات تتقدم وعلم النفس التربوي وعلم نفس الطفل .. وبقية العلوم تزحف يوما بعد يوم الى الامام مخلفة وراءها مقاييس جديدة ومعايير طريفة ونتائج غريبة . فاصبحت مسؤولية الاسرة أكبر ودورها اعظم ولم يعد عمل الابوين مقتصرا على الانجاب حفاظا على النوع واستمرار الحياة ، بل اصبحا مطالبين بالسهر على التربية والتوجيه .

وقد يتهاون احدنا بهذا الدور ظانا ان الطفل صغير معتقدا ان سنوات المدرسة ستزيل ما يعلق بذهنه وسلوكه من ادران مستبسطا تلك الاحداث التي يعيشها ابنه قبل السنوات الست وهذا لعمري أكبر خطا وقع ويقع فيه الكثير الكثير من الاولياء حتى هذه الساعة وهم لا يضعون مثل هذا التصرف في باب التنصل من المسؤولية فالبعض يلجأ الى الجهل والآخر يتذرع بضيق الوقت والآخر يأبى ان يقوم بدور المدرسة قبل أوانها .. الخ . ان هذا الهروب من المسؤولية في اجلى مظاهره لخيانة للمجتمع تحت قناع زائف وضرر بالنشء فالطفل يفتح عينيه في البيت ويبقى فيه مدة ليست بالقصيرة ثم يخرج منها فيجد نفسه في الشارع وبعد سنوات يحمل الى المدرسة حيث يقيم يوميا الساعات والساعات ولا بد أن تخلق كل واحدة من هذه المحطات أثرها الذي سيكون له أي دور في مستقبل الحياة ومن البداية لا بد ان نبين قيمة البيئة الاولى لعدة عوامل لعل أكثر الوالدين يتناسونها ويهملونها وهي لا تقل قيمة عن غيرها من الفترات الاخرى .

فى البيت :

يولد الطفل ويقضى فترة طويلة من عمره معتمدا على افراد أسرته وخاصة أمه وهذا العجز حكمة من الخالق وليس عيبا او عقابا أنزله به فلم يكن الوليد البشرى كبقية الحيوانات سريعا ما يعتمد على نفسه . فكلما احترمت العائلة تلك المدة وساعدت طفلها على تجاوزها بكل يسر دون ان تحاول حرق المراحل او دفعه دفعا الى عمل لم يحن اوانه كلما استفاد ابنها من هذه المرحلة الزمنية واستغلها احسن استغلال .

الا فليعلم كل أب وكل أم ان شخصية ابنهما مرتبطة أشد الارتباط بدورهما وسلوكهما عندما كان طفلا صغيرا . فاما قوى الشخصية قوى العزيمة ، شجاع ذكى ، اجتماعى ، يقبل على المشاكل فلا يهابها ، ينضم الى المجموعة فلا يخذلها يعتمد على نفسه فلا يحتقرها، يحترم فرديته فى دون كبرياء، يحب مجتمعه ويذوب فيه فى دون احتقار لذاته . واما ضعيف الشخصية ، ضعيف العزيمة ، جبان ، بليد ، انعزالى ، يخاف من المشاكل يكره المجتمع ، لا يعطى قدراته حق قدرها .. الخ . نعم ان مستقبل هذا الابن مرتبط أشد الارتباط بسلوك وتصرفات الابوين فى السنوات المبكرة الاولى ، نعم ان الطبيعة ارادت ان يكون الطفل طفلا فلماذا يعارضها الوالدان فيحملان الطفل على المشى قبل أوانه أو على الكلام قبل وقته أو على الانصياع فى فترة بروز الشخصية أو على اسكاته بعنف عندما تظهر مرحلة السؤال .. ففى السنوات الثلاث الاولى تتكون (او هى بقيد التكوين) شخصية الطفل ، ففى السنتين الاوليين مثلا تظهر دوافع بيولوجية بدائية ضرورية ـ لابد منها ـ للبقاء : حب اطلاع ، عدائية ، خوف .. الخ . وفى السنتين الثالثة والرابعة تنظم وتنسق تلك الدوافع تحت مراقبة العزيمة والارادة وفى هذه المرحلة بالذات توضع أسس بناء الشخصية والمطلوب ان نرضى ونلبى نداء ذلك الشعور بالتبعية فلا نعتبره عيبا يحسن التخلص منه وبسرعة وذلك بجعله مطمئنا فى حياته لا يخشى شيئا ولا يشعر مرة انه فى خطر . فى السنة الاولى تبدأ تمرينات العضلات والسيطرة على بعض اجزاء البدن فتراه يحرك اطرافه ، يقلب رأسه .. فلا ينبغى ان ننظر الى ذلك وكأنه عبث الطفولة او الطبيعة انه يستعد للقبض للوقوف ، للمشى .. الخ . عندما يجد نفسه فى بحر سنته الثانية حيث يرمى بنفسه للقاء الاشياء والاشخاص فقد غادر محطة الراحة والهدوء ودفع بنفسه ـ عن رغبة ـ فى حركة حتى يجلب الانتباه اليه ، ومن الخطأ الفادح والخطر ان نحول دون هذه الرغبة يجب ان نشعره أننا ننظر اليه ونهتم بأعماله ونحب مشاركته فان لم نفعل ذلك بحث هو عن هذا الاهتمام وهذه المواقف داخل ذاته فيصبح ضد المجتمع لانزوائه وكثير الغضب

لانطوائه يريد ان يفخر بنفسه ويعرض ما عنده بما ان الآخرين لا يولونه نظرة . وبداية من السنة الثانية هذه بعد ان يطلب انتباه الآخرين يوجه انتباهه هو الى الاشياء الى خارج ذاته . ويعينه على ذلك قدرته على المشي فاذا حلنا دون اكتشافاته للكون بدعوى انه صغير او خوفا على ما يحيط به فقد لذة الحياة وانتابه القلق ولعله يتأخر في نموه ويتراجع الى الوراء كما انه يبقى ملتصقا بثياب أمه لا يتجاسر ولا يبادر وقد ترى اصبعه في فمه الوقت الكثير والمطلوب اذن هو توفير ما يمكن توفيره من لعب وأشياء ليشبع حب الاطلاع هذا او الرغبة في الاكتشاف تلك . انها فرصة ذهبية لابد من استغلالها في التربية والتعليم .

اما التقليد فهي نزعة غريزية لأننا لا نعلمه للطفل فهو يكتسبه طبيعيا . واذا كان التقليد يبدأ بعد أسابيع من الولادة فانه لا يشتد الا بين السنة الاولى والسنة الثانية . انه نعمة الخالق فبواسطته يتأقلم الطفل ويتكيف والمواقف التي ستعترضه والتي لم يكتسب لها حلولا غريزيا ، فلماذا يحول أحدنا دون التقليد ؟ لماذا يغضب الكهل وتثور ثائرته عندما يلاحظ ابنه يقلده ؟ فكيف سيتعلم اذن وهو الضعيف وكيف سيجابه الحياة وهو الاعزل ؟ على الوالدين ان ينميا تلك النزعة بل ويوفرا لها أسباب النمو وقد يلجأ بعضنا الى التبرم الى الكلام وهذا لا يجدى نفعا فالطفل لا يهتم بما تقول بل بما تفعل ، فلنعطه المثل الصالح واذا اردناه أن لا يقلد ما نكره فالحل الاسلم بل الوحيد ان لا نفعل أمامه ما نريد ان ننهاه عنه . ويلاحظ الكثير من الآباء والامهات ان العامين عمر العناد وتشتد أزمة الشخصية في سنته الثالثة حتى الخامسة تقريبا فتكثر معارضته وتكثر كلمة « لا » باستعمالها كثيرا ويتمسك برأيه في أغلب الحالات ومن لا يقبل هذا يكون كمن لا يقبل الطفولة عند بني الانسان فهل نمنعه ؟ هل نحتار ؟ طبعا لا ان الطبيعة التي جعلته يعيش في تبعية مطلقة في مدته الاولى تنقله اليوم الى ابراز ذاته ، فليعلم الجميع انه موجود يريد فيفعل . فمن يلجأ الى الخوف والعقاب عليه الا يحتار ويتألم عندما يكون ابنه في المستقبل ضعيف الشخصية ، سهل التأثر دون عزيمة قليل المبادرة . فعوض العقاب ينبغي ان نتركه يعبر عن رأيه واذا أراد شيئا خطيرا نعلمه كيف يفعله عن فهم ودراية فسيعرف - ولو بعد حين - ماذا يفعل وماذا لا يفعل اما اذا كان الامر يتطلب منعا باتا ومطلقا والحياة لا تخلو من الممنوع يجب ان نكون حازمين فلا تراجع ولا تساهل في تلك الاشياء القليلة جدا التي منعناه عنها لأنها اذا كثرت غدت الحياة كلها موانع فلنترك لهذا الباب ما قل وندر . واذا أردنا أن تكون له عزيمة فولاذية فليعرف معنى كلمة « لا » عندما نستعملها نحن الكهول ولا داعي حتى للشرح شريطة أن لا نلجأ الى هذا الصنيع الا نادرا دون أن نقبل المساومات وانصاف الحلول بعدها عندما نأمر لا بد أن نطاع لأننا نربي .

يبلغ الاربع سنوات فتتكون شخصيته فلقد تكونت عنده الأنا العليا نتيجة احتكاكه بوالديه او الآخرين كان عاجزا يشعر بالتبعية الى حد الآن فهو يحس باستقلال وتحدثه نفسه بالاستغناء عن أبويه لأن شخصيته بدأت تظهر وتفرض نفسها بكل وضوح فسلوكه قصدى وتصرفاته هادفة يوجه كل طاقاته نحو هدفه لا اتجاهات او غرائز بدائية بل غايات فهو بدأ يحكم على الاشيـاء ويفكر فيها ويريد أن يعرف كنهها فهو فى عمر السؤال فالمطلوب ان لا يغضب ويقلـق الابوان بل يجب عليهما أن يجيبا قدر المستطاع على الاسئلة التى يريانها فى غير محلها او غير نافعة .. انه على ابواب فترة انتقالية سيعتمد على نفسه فلا بد ان يسأل عن هذا العالم والا فكيف سيخوض غماره وكيف سيتشجع ويعول على مجهوداته الخاصة اننا فى عتبة مرحلة الفردية التى تمتد بين أربع وسبع سنوات والفردية هذه تبدو فى حبه للتطور فى نمو الاحساس بالقوة فى فرض ذاته فهو يستعمل ما يجده أمامه ليثبت قدرته وقوته وليس ذلك بدافع شر وإنما الغاية نفسية فى ذاته حتى يقنع الجميع أنه قادر قـوي موجـود ، ثـم تنتابـه فى تلك الفتـرة ظاهـرة الثقـة بالنفس فيـراقب حركاتـه ويتحكـم فى بعض دوافه ويبتعد عن تلك الازمـات : ازمـات الصيـاح الطفليـة البحتـة لكـن فرديته هذه لا تمنعه من التعامل مع اترابه وخاصة فى الالعـابه ، وطبيعى لكى يبرزها لا بد من اشخاص حوله يحاول ان يتفوق عليهم ان يوجههم ان يقودهم وحتى ان غير عنهم فيتركهم ويلتفت الى ناحية أخرى ليواصل نشاطه. فالمطلوب ان نسانده على تجاوز هذه المرحلة لا بالعقاب والزجر لا بالفرض والمبالغة فى التوجيه بل بحسن المعاملة باستغلال النشاط الزائد بتوفير جو الاصحاب حتى يكون الطفل اجتماعيا محبا للغير .

فى الشـــارع :

ان الخروج من البيت لابد منه وكل من يحول دون طفلـه والشـارع لملاقاة الاتراب يكون قد ارتكب خطأ جسيما فالحياة لا تقتصر على ما يجرى فى البيت فقط. وعوض ان نحرص على هذا الفصل يكون من المفيد توفير البيئة الطبيعية التى يسمع فيها ابنك الكلمة الحسنة ويجـد فيها المعاملة الحسنة حـتى يكره الكلام البذىء والقذر الذى تعج به بعض الشوارع سيخالط أصحابا ليس من العيب فى شىء ان يشاطرهم نشاطهم والعابهم، ففى هذه السنين الاولى لا يدخل بالمرة عامل الجنس واللون ولا المستوى الاجتماعى انها البراءة بعينها فلو نتركه عليها ونعلمه اياها طيلة حياته وحمله على المحافظة عليها حتى لا يجرفـه تيار الكبرياء فى الشارع ليكتسب فى كل مرة تجربة وسيتعلم فى كـل يوم شيئا جديدا وتزداد خبرته وسوف لا يقتصر هذا التطور على ناحية واحدة بل سيشمل

جسمه الذى سيجد الفضاء الرحب الواسع والاشياء المختلفة الاحجام والانواع فيحرك يديه ويجرى ويميل يمينا ويسارا فتتدرب عضلاته وتنمو ويشتد عوده وسيشغل ذهنه فيتعامل مع اشياء وأشخاص فيعرف اللين والصلب المرن والخشن الثقيل والخفيف الحار والبارد الجميل والقبيح .. الخ. ثم الوديع والشرير الصديق والعدو الكريم والبخيل .. الخ . ثم السهل والصعب، الحلو المر النجاح والفشل .. الخ . وقد يجد بعض هذا فى البيت لكن تجربته تبقى ناقصة اذا لم يكملها الشارع الذى ينبغى ان تتآزر جهود الجميع لتنظيفه ولتنقيته .. فى الشارع يمارس الحياة الممارسة الحقيقية فتنمو شخصيته نموا متوازنا متناسقا والام الحاذقة المربية او الاب العارف المربى يستغل الشارع ليتعرف على ابنه على مختلف جوانب شخصيته . الا يلاحظ الكثير من الوالدين ان طفلهم هادىء فى البيت مهرج فى الشارع ثرثار فى البيت قليل الكلام خارجه يحب السيطرة بين أفراد أسرته خانع مستسلم بين أصحابه..والعكس صحيح فمثل هذه الظاهرة التى تظهر تناقضا ليست طبيعية ابدا يجب البحث عن أسبابها والاسراع بعلاجها الم يتح لهم الشارع فرصة ثمينة لمزيد التعرف على الابن فلماذا اذن نتهم هذه البيئة بشتى التهم ؟ لا نرى منها الا الجانب السلبى . نعم الشارع يزخر بأنماط واشكال وانواع من الاطفال تتضارب مشاربهم وأهواؤهم فتتعارض رغباتهم وميولاتهم .. لكنه على كل حال جزء من المجتمع جزء من الحياة اذا اتفقنا على عدم قبوله على علاته فانه يتكون منا نحن من اعمالنا من تصرفاتنا انه نتيجة تربيتنا فاصلاحه أولى من حرمان الطفل منه ومعالجته افيد من عزل هذا الطفل عنه حينا من الزمن ولو فعلنا لكان طيلة حياته منزويا منطويا على نفسه غير اجتماعى يغرق فى أبسط المسائل الاجتماعية يحار امام اول صعوبة يعجز عن الحديث فى الجماعة يكره المكافحة والمناظرة يخشى من أحكامه يسيطر عليه مركب نقص..الخ.فما يوفره الشارع لا يوفره البيت.

فى المدرسة :

المدرسة خلية حية لكنها خاصة لها مميزاتها وخصوصياتها شكلها يختلف عن شكل البيت ونظامها يبعد عن نظام البيت والمترددون عليها لا تربطهم نفس الروابط الاسرية فى كثير من الحالات .

لكن من المفيد ان نعرض ما يتميز به الطفل من عامه السادس هذا حتى سنته الثانية عشرة .

التطور الجسمى : ان النمو الجسمى يفقد تلك السرعة التى ظهرت فى فترات من الطفولتين السابقتين ويتجه التطور الى العضلات الصغيرة فيصير

يتحكم في الاعمال الدقيقة بعض الشيء اما من ناحية المخ فيعتقد انه بدأ يكتمل يتغلب النمو الطولي على النمو العرضي .

التطور الذهني : بما أن المخ بدأ يصل مرحلته النهائية فانه من الطبيعي ان يكون النمو الذهني سريعا نسبيا فحتى المراكز العصبية الاخرى ترتبط ببعضها وبالمخ . واذا كان الانتباه لا اراديا فيما مضى فانه في هذه السن ارادي طويل المدة وتأخذ الملاحظة في التدرج نحو الدقة . ان الطفل لا يزال تفكيره بعيدا عن المستوى التفكيري للكهل وقد اصبح يعرف ويفهم المدركات الحسية كالالوان والاشكال .. وغيرها . النمو اللغوي الكبير يساعد على تنمية قدرته على التصور والتخيل لكن هذا الخيال يبقى ملتصقا بالواقع فهو عاجز عن الابتكار الخيالي على الاقل في بداية الطفولة الثالثة هذه لانه في حاجة الى الملموس الى الواقع وقد يصل التذكر درجة قصوى على حد تعبير بعض المربين لكن هذا لم يجمع اتفاق كل العلماء وليس الانتباه والملاحظة والتذكر .. الا عوامل بل مكونات التفكير بصفة عامة هذا التفكير الذي سيتخلص من الانانية والمحاكمة النقلية و ... لذلك لابد من التدرج من المحسوس الى المجرد شيئا فشيئا اعتمادا على المناظرة والمحاكمة والمحسوس فصوره فالمجرد بالموازاة مع السن .

التطور الاجتماعي : للمدرسة دور كبير في النمو الاجتماعي في هذه المرحلة فموقف المربي وسلوكه وتصرفاته واقواله ونوعية الاطفال الذين يضمهم فصل واحد له الدور الكبير في توجيه هذا النمو .

– اصبح له رصيد اجتماعي كبير : فيعرف انه شخص يتميز عن بقية الاشخاص له حقوق وعليه واجبات تجاه المجموعة ← فتتقلص انانيته .

– تبدأ تتضح الظروف الجنسية في علاقته ← كل جنس يميل الى جنسه خاصة في أواخر هذه الطفولة .

– يستطيع أن يتصل بغيره اتصالا مرضيا فيفهم ← تطور رصيده اللغوي.

– يميل الى العمل ضمن فريق يختار عناصره خاصة اذا كان الامر يتعلق بالبحث والتنقيب والجمع وتبرز في هذا المجال القيادة عند البعض فيستجيب له اصحابه اذا توفرت فيه الصفات اللازمة وادركوها حدسيا . يلج الفصل فيجد نظاما لم يعهده وحالة لا عهد له بها . لقد ولى عهد تمييزه على غيره وانقضى زمن يؤثره فيه الكهول (امه او ابوه) بالمحبة يكتشف انه احد افراد مجموعة لا يمتاز عليهم الا اذا عمل واجتهد احسن منهم وانه يحترم اذا انضبط وأحب غيره ويعلم ان الحقوق تقابلها واجبات .

اهواؤه لها حدود لا ينبغى ان يتجاوزها يوما يتحقق انعليه انيتنازلطائعا عن عديد الميولات ويكبح جماح الكثير من الاندفاعات والفعاليات ويطوع ارادته لخير الجميع حتى يقبلوه اما اذا حدثته نفسه بقيادتهم فلا بد انه يجمع صفات عديدة كالجرأة والقدرة على التبليغ وكسب العطف وقوة التأثير .. الخ . لكل هذا على المربى ان يتحلى بما ينبغى من خصال . كسعة الصدر بحبه للاطفال ، وأن يكون عادلا بين تلاميذه صادقا فى اقواله التى لا بد ان تطابق افعاله رزينا فى تدخلاته هادئا فى طبعه حتى يكون القدوة الحسنة لمنظوريه الذين يرون فيه المثل الاعلى وأحسنهم وأكثرهم حظا من يفوز برضاه والشخص الذى يتمثل به مجموعة من الاطفال فى هذه السن بعد الوالد هو المربى ولا احد يحظى بهذه القيمة الا نادرا فيجب عليه اذن ان يكون اهلا لهذه المنزلة فيكون الأب والام والاخ والصديق فى نفس الحين وهى لعمرى من اشق المهمات لكن ذلك قدره والامر فى المدرسة ليس تعليم معلومات وتلقى افكاره وتحفيظ آراءه وقد اصبح هذا لايحتاج الى تدليل ودور المدرسة ليس الحصول على الطاعة وحمل الاطفال على الاستماع وهذا لم يعد موضوع نقاش وبالاختصار لا ينبغى ان نراه طفلا فى البيت والشارع وتلميذا فى الفصل فلماذا هذا التغير فى السلوك والتبدل فى التصرفات لو وقعت مراعاة نفسية الطفل والجو الذى كان يعيش فيه فمن واجب كل مرب ان يسهل الانتقال ويساعد هذا الكائن على التكيف فى هذا الجو الجديد نظام الفصل لأنه اذا اصطدم بحدة فى الخطاب وتوتر فى العلاقة وصلابة فى المعاملة واحتقار فى الاسلوب لم يعهده من قبل أبدا كره المدرسة ومن فيها والمربى وما يعلم والمجتمع وما يحترم .

ولقد ثبت اليوم للعيان ان المدرسة التى تكتفى بالمعرفة وشحنها وتنظر للطفل وكأنه وعاء معلومات ، فاشلة ولا تخدم المجتمع الذى أنشأها فى شىء اما المدرسة التربوية الحقيقية والصالحة فهى تلك التى تقرأ حسابا للمجسم ، للعقل للعاطفة ، للوجدان أى فى عبارة واحدة تأخذ بعين الاعتبار شخصية الطفل بكل جوانبها حتى تنمو فى اتزان وفى يسر وهذا يتطلب من المربين اطلاعا على اهم أسس علم نفس الطفل على الاقل فيعطون لليد على قدر ما يعطونه للعقل ويقسمون بالعدل بين مكونات الشخصية بصفة عامة) ولا يتغلب النظرى على العملى ولا تنمى الذاكرة على حساب التفكير ولا يطغى الانصات على الحوار ولا يفرض السكون فلا تبدو حركة ولا يغذى العقل وتجوع العاطفة فمن الاولى اذن الا يكلف بتربية وتعليم اجيالنا المتعاقبة من سدت فى وجهه الابواب وعجز عن القيام بأمور الدنيا فى ميادين اخرى فاعتقد جازما ان وظيفة المربى توكل لسقط المتاع أو لمن خانته الشهائد العلمية فلم تستجب لتوسلاته او لعابر

سبيل أو توقفته الظروف في هذه المحطة وسيستقل أول قطار حتى وان كان لا يعرف وجهته ولا تذكرته التى سيدفعها اطفالنا الابرياء الذين لا حول لهم ولا قوة . ان التربية شريفة والمربى اشرف لانه هو خالقها وصانعها ان المدرسة مقدسة والعلم اقدس لانه هو النور والحياة وبانى عماد المجتمعات المتحضرة فمن لا يعتز بمثل هذا فليصدق مع نفسه وليترك الساحة لمحبيها وعارفيها وكفى المجتمع ضررا .

والاطفال الذين يأتون من كل صوب وقد ورث بعضهم عن آبائهم وأجدادهم فاحتفظوا بهذه الصفة أو ذلك المزاج أو هذه القدرة الذهنية وبعضهم الآخر ترعرع فى بيئة متواضعة ان لم تكن فقيرة فعظمت أمامهم المدرسة وكبرت عندهم متطلباتها فبدت الادوات غريبة والانشطة صعبة والقاعة موحشة فكل من فيها يخيف ولا يبعث على الاطمئنان. اذن الفروق الفردية واضحة والمدرسة لا تتناسى ذلك أبدا فقد ساهمت هى نفسها فى اكتشافها فسهل عليها الدواء الى حد قد يبعد ويقصر فتجتهد فى تقديم الغذاء الذى يناسب الجميع تقريبا ولا يكون ذلك الا اذا كف المربي عن التدخلات المطولة وخلق فى المربى الرغبة فى النشاط ودفعه الى الاعتماد على النفس وروضه على مجابهة الصعاب وتدريبه على استعمال العقل فى كل حين وربط النظرى بالتطبيقى والذهنى باليدوى وباختصار يستنجد بالطرق النشيطة التى تجعل الطفل مركز اهتمامها لا المادة . العيب كل العيب ان تزيد المدرسة فى توسيع الهوة بين المتعلمين معرفيا واجتماعيا ووجدانيا .

فى المجتمع :

قد يقول احدهم اليس المجتمع المدرسة والشارع وهذا رأى صائب لكنه يبقى دون الكمال فالشارع لا يمثل المجتمع تمثيلا صادقا انه جزء منه لا يظهر حقيقة الحياة الاجتماعية على حقيقتها ولا المدرسة وكم من شخص ابهره نور المجتمع عندما خرج اليه من الشارع وهذا طبيعى وبديهى فعدد الاشخاص اكبر والتجارب التى تمر امام العينين اوفر والخبرات التى يعيشها الانسان اغزر ودراسة الحياة اعمق فمن يبقى سجين فناء المنزل وما أمامه يعيش كمن يطل على الدنيا من نافذة مشبكة يرى ويتصور ولا يتفاعل مع الواقع ولو تخلص من هذا القيد لاصطدم فى البداية بمتناقضات هى صلب الحياة لكن لابد منها بتعقيدات هى ذات التفاعلات بين البشر ومن يقرأ قصة ليس كالذى يحيا اطوارها وليس من يشاهد تمثيلية كالذى يعيش فصولها فعلا ، لذا ان المجتمع ليس كالمدرسة

والشارع فقط والطفل الآن اصبح شابا قادرا على استيعاب معارف وافعال اكثر من قبل . المجتمع هو تلك العادات تلك التقاليد تلك الافكار التى يكاد يتفق فيها المجتمع تلك المحرمات والممنوعات تلك المبيحات والمسموحات وهذا ليس بالشيء الهين فلا الشارع ولا حتى المدرسة يقدران عليه بسهولة ان المجتمع هو المدرسة والشارع وشيء آخر نختلف اليوم فى تسميته لكننا نتفق على مضمونه وقد سبق عرضه .

واذا تحدثنا عن المجتمع يجب ان نكون ملمين بفترة الشاب وما يميزها فبداية من الثانية عشرة يشرع الطفل فى الدخول فى هذه البيئة الكبرى والاخيرة. مرحلة الشباب يضعها العلماء عادة بين الثانية عشرة والثامنة عشرة الا ان بعضهم يقسمها كما يلي : (هذا هدفليد) .

ـ المراهقة ـ 12 ـ 14 سنة يميزها : روح العصابة والنمو السريع للوظائف الجنسية الفيزيولوجية .

ـ مرحلة تحول : 15 سنة . يميزها تنقل الطفل بل الشاب من الميل الى نفس الجنس الى ميل الى الجنس الآخر .

ـ مرحلة الشباب الحقيقية 16 ـ 18 . يميزها محبة الجنس الآخر والمثالية . والشائع عند عامة الناس ان الشباب ثائر لا يعجبه ما هو كائن لا يرضخ الى السلطة سلطة الاب او الام (الكهل بصفة عامة) وحتى القانون وهذا لا يعد تنطعا او ثورة بل هو فترة لابد منها لانه يريد ان يكون لنفسه رأيا فى كل موضوع يعترض عليه وفى كل رأى يعن له والدواء لا يحقن فى هذه المرحلة فالعلاقة بين الشاب ووالديه الآن رهينة علاقتهما به عندما كان طفلا صغيرا . هل يعد ذلك التصرف كرها للابوين او غيرهما . لا طبعا . الا ينبغى ان يشعر باستقلاليته وهى اغلى امنية ينتظرها من أمد وقد اصبح يمقت التبعية حتى لافراد أسرته .

إن الشاب فى المعهد الثانوى مثلا يغيب فى العدد الهائل من امثاله فلا يلتفت اليه احد لذا فلا بد ان يجلب الانتباه بأعمال تبهر الجميع وتخرج عن المعهود وتحيد عن المألوف حتى وان ظهرت فى اعيننا فى غير محلها او حتى سيئة ومن هنا يبدو لنا عدم انضباطه . ان الشاب يجب ان يتحمل المسؤولية فهو يلبى اوامر والديه او غيرهما تلك الاوامر التى يشعر عند انجازها انه يقوم بعمل لفائدة الغير انه بمثابة الكهل الذى يعول عليه ان كتفيه تصمدان أمام العبء انه يتحمل المسؤولية . اما من لم يشعر فى طفولته

بالامن والاستقرار فهو يهاب هذه المسؤولية ويخاف مثل ذلك العمل كما ان الذى عاش فى دلال مبالغ فيه تمتد طفولته فترة طويلة ـ ان لم يعش طفلا كامل حياته ـ فلا يستطيع ابدا ان يقوم بعمل ذى بال ولا يجرؤ على مجابهة الصعاب وتبوؤ الصدارة فى الافعال والمواقف.انه بدأ يدخل عالم الواقع فهو لذلك يحبذ الاعمال التطبيقية على النظرية يريد ان يعالج الاشياء بيديه لا بعقله فقط يحسها بانامله لا يشعر بها فقط ولابد ان نذكر ظاهرة اخرى يختص بها هذا العمر وهى لا تكاد تنفصل عن الخصوصيات السابقة . روح المغامرة . فليثبت استقلاليته وقدرته على ذلك وحبه للمسؤولية وقدرته على ذلك وخروجه من طور الطفولة الى طور الكهولة فلا مهرب من خوض غمار مغامرات تصعب وتسهل خطيرة حينا سليمة حينا آخر .. الخ فتراه يعرض حياته للخطر ويرمى بنفسه فى المهالك وخاصة بحضره الآخرين اما اذا كان بمفرده فلا يسلك نفس الطريق اما ان حكى عما فعله فهو يبهرك بشجاعته وكيف هانت نفسه عليه فيختلط الواقع عنده بالخيال لا يريد من ذلك سوى اثبات ذاته فلننصت اليه دون ان نجرح شعوره ولنناقشه دون ان ننزعه من واقعه او نشعره بتكذيبنا له . كما انه يحسن ان نوفر له فرص المغامرة المفيدة والآمنة : المكان ، الزمان كالتجول مثلا .

فهل توفر المدرسة وحدها او الشارع وحده او الاثنان معا البيئة اللازمة لينمو الشاب وتجد تلك النزعات جوها الملائم ؟ ان المجتمع الذى لا يقرأ حسابا لنفسية الشاب ولا يعرف نزعاته واتجاهاته وخصوصياته يدفع بنفسه قدما الى الفناء ويفوت على نفسه فى كل حين الفرصة ليبنى كيانه على اسس متينة . على ان مجتمعا يقوده شبابه فيتساهل معه يقبل منه تجاوزا للأخلاق المألوفة وتحديا للقيم المعروفة وتهاونا بالنواميس التى يحترمها عامة الناس واحتراما للقوانين التى يرضخ لها كل المتعايشين مع بعضهم البعض لمجتمع دب فى جسمه المرض وبدأ يأكل لحمه الهلاك ونخر عظامه السوس فالطاعة فى دون خوف ضرورية والحفاظ على الثوابت الصلبة فى دون تعصب واجب فهل تحجب عنا التقدمية اصالتنا ؟ وهل تشوش علينا البدع استقرارنا ؟ لا يمكن أبدا أن ينقلب التطور الى انبتات ولا التحضر الى تفسخ وتميع وانحلال فبقدر تفهم المجتمع لشبابه والتسامح معه بقدر وقفته الحازمة ضد تياراته الجارفة التى يستلهمها من قصصه وافلامه ومحادثاته وعسى أن نرى فى الحاضر خير شاهد.

عبد الحفيظ الهنشيرى

قصيدة العدد ..

تونس الحبّ .. تونس الياسمين ..

شعر : يوسف رزوقه

... وحاولت أن أدلّهم قليلا
أحبك تونس ، إنّي فتاك
أتى النبع في كل وجه ، فصفّق
ولم يبق لي غير حلم يتيم
أنا آخر الشعراء اشتهاء
تدلى دمي من كلامي شموسا
توزّعت في مهمه لا يسمّى
جرى الله في وردة لا تشمّ
وأينع في القلب جرح عظيم
ولم أر فيما رأيت جبالا
أحبك .. هلا مضيت : يدي في
فلا تقفي .. نحن بتنا رفيقين
ونرحل عمقا من الضوء ، حتّى
أحبك تونس ، إنّي غريب
تجلّيت لي في المرايا فغنّي
تناسلت فيك وأصبحت شعبا
لماذا تعرّيت إذ فاض بوحي
فما نلت عبر السلالات تاجا
ولم أمض في أي وهم سخي
أنا موثق بهواك شديدا
ولكن حبك ظل القتيلا
هوى فانتهى في هواك قتيلا
في الكلمات الحمام ، هديلا
تشكّل عبر الرؤى : أرخبيلا
وأولهم : نعرة وصهيلا
تضيء لمن جاء بعدي السبيلا
وفي الياسمين وجدت الدليلا
فدتك الدواخل : عطرا جزيلا
فلم أشك إلا عذابا جميلا
يغالبها العشق حتّى تسيلا
يديك ، لأطوي بك المستحيلا
نفتتح بالحبر بحرا بديلا
يرانا المدى : قمرا ونخيلا
وأشقى إذا غبت عني قليلا
دم في الخلايا وصل طويلا
يبيد التماثيل : جيلا فجيلا
فقيل كلام ولغو وقيلا ؟ ..
وما كنت يوما نجيبا دخيلا ..
ولم ينتخبني الغراب عميلا
ولو في النهاية رمت الرحيلا

حول أزمة المراهقة

بقلم : وداد الفالح

هناك بعض الحقائق التي أريد أن أدرجها في مقالي البسيط هذا الذي ضمنت فيه بعض أفكار راودتني ، عند اطلاعي على مقال حول هذا الموضوع (*) فكبحتها لكنها ابت الا أن تظهر في هذه السطور التي أود صادقة أن تلقى صداها لدى الذين عاهدوا الله والنفس على البناء والتغيير الجدي رغم الاعاصير وان كنا في أغلب الاحيان نحن الاعاصير نفسها .

وانه لمن دواعي الغبطة ان يتواجد بيننا من الشباب من ينطوي على نية جدية في البلورة والتحوير لا فقط باعتناق آراء علمية وانما بالعمل على تطبيقها ايمانا بأنها آراء سديدة نحتاجها لننتقل من هوة الجهل التي وقعنا فيها ولست هنا في مجال بيان أسباب ذلك ولكن منها نظرتنا الى الطفل على انه انسان ناقص او وعاء لا يجب ان يحتوي غير ما نضعه فيه أو صفحة بيضاء نحن الذين نختار أن نرسم عليها ما نشاء من حياتنا بماضيها وحاضرها ومستقبلها فنقضي على أول حق لهذا الطفل في الحياة المستقلة ونكون قد اعتبرناه صورة منا نحن ، تواصلا وامتدادا لنا وتنتقل بذلك جميع عاداتنا اليه بجميلها وقبيحها ولا نترك فرصة ازالة ما نبغضه منها بافساح المجال للطفل للخلق ولتوسيع رقعة استقلاليته . فنقع فيما نحن فيه من أشكالات وتمزق بين نزعتي التواصل والاستقلالية بين الوالد والمولود ، بين المربي والمربى بين المراهق والراشد .

ناخذ مثلا المراهقة على حدة كأخطر مرحلة في حياة الطفل ذلك الرجل الصغير سنجد انه يمكن لنا تحديدها بين سن الحادية عشرة والرابعة عشرة

(*) انظر « الصباح » بتاريخ 1984/8/11 بقلم : جمال ابراهيم عليوه (كلية الطب بصفاقس) .

وعلى الاصح بين نهاية الطفولة وبداية المراهقة ويعرفها الدكتور مصطفى فهمي في كتابه سيكلوجية الطفولة والمراهقة « هي التدرج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي » .

لو عدنا الى مفهوم المراهقة عند الآباء لوجدنا أن الاغلبية تنظر للمراهقة على انها تحورات وتغييرات تطرأ على الطفل جسديا فينتقل على اثرها من الطفولة الى الرشد ويهملون الناحية العقلية . لكن هذا المفهوم يتضارب مع المفهوم الصحيح للمراهقة او على الاصح هذا هو مفهوم البلوغ كما هو وارد على لسان الدكتور فهمي : أما معنى كلمة بلوغ تكاد تقتصر على ناحية واحدة من نواحي النمو وهي الناحية الجنسية ونستطيع ان نعرف البلوغ بانه نضوج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة الى فترة الانسان الراشد (*) .

اما اذا رجونا من المراهقين انفسهم أن يعرفوا لنا المراهقة فانهم يقتصرون على الناحية الاجتماعية بناء على احساسهم الشديد بالقوة في المجال العقلي وهذا يخول لهم حسب اعتقادهم مجابهة الوسط الاجتماعي دون معونة الآباء .

. واعتقد ان كلا من الآباء والابناء على حق في كلتا الحالتين بحيث لو جمعنا المفهومين نجد أن المراهقة مجتمعة في النواحي الثلاث : الجنسية ، العقلية ، والاجتماعية ولا ننسى أن تفتح شبابنا على كل ما تهب به ريح الغرب جعله يطلع على وضعية المراهقين الغربيين والتي تختلف قطعا عن الوضعية العربية ومرد ذلك الى ان الآباء الغربيين يمنحون لابنائهم أكثر ثقة رغم الاباحية المطلقة وانعدام ما نسميه نحن : الاخلاق . وهذا بدوره مرده الى أن الطفل الغربي يحيا طفولته باكثر ثقة في النفس وروح الاستقلال خاصية فيه مما يجعله قادرا على فرض احترامه ، واحترام ميوله ورغباته وآرائه واختياراته بدون عقد او مركبات بينما يظل الطفل العربي في تبعية تامة للآباء لانه تواصل لهم وامتداد فلا يقبل ولا يرفض الا ما يقبلون وما يرفضون وعندما يكون مراهقا ستتواصل الحالة تلك ولكن هنا فقط يشعر بانه قادر عقليا وجنسيا على أن يختار بنفسه وتنبت بذرة روح الاستقلال ولكن هل يقبل الآباء هنا أيضا هذه البذرة فيساعدون على نموها بريها ورعايتها لانها ما زالت نضرة ؟ هذه هي شرارة الازمة التي اذا ما انطلقت لا تعرف لها هدفا لانها لم تنبت في أرضية خصبة . هذه هي الازمة ذات الاسباب البعيدة التي لا نعرف أن نعود لها لنقضي عليها

(*) ص : 207 سيكلوجية الطفولة والمراهقة .

ونبنى من جديد صرح شعب حر مستقل ذاتيا ٠ ماذا لو تخل الآباء عن بعض الحقوق المشروعة لابنائهم ؟ هذا يعود الى أن الأب الذى يحرم نظرا لبعض الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ينظر لابنه كصورة ، كطموح ، كغد بديل ليومه وماضيه ، لهذا لا يرضى الا أن يكون أمتدادا فيعيش الابناء منذ الوهلة الاولى محرومين من امتع احساس فى الوجود . أنهم أحرار فى أن يفكروا ، فى أن يحيوا حياتهم ولا ينتظرون من يفكر لهم أو يعيشون حياة الآخرين .

هذا وجه للازمة . أما الوجه الثانى فالسبب الرئيسى فيه هو غياب العنصر النسائى ان لم نقل موته . وهذا الغياب جميعنا مسؤولون عنه ، المرأة مسؤولة بدرجة أولى ، لانها لا تحاول أن تحضر وتفضل حالة الحاضر الغائب فترضى بقارير الرجل لها . وتنسى أن الرجل الذى عهدت له بالتقرير نيابة عنها يضع فى اعتباره عدة مخلفات أولها نشوؤه على فكرة أن المرأة عضو ناقص بدون الرجل ثم استمرار عيشه فى وضع أقل ما يقا لفيه : انه متخلف فكريا ومنحط ثقافيا تطغى عليه آراء عليلة لا تخدم المرأة بل على العكس تنزل بها الى رتبة العبيد والاطفال القاصرين .

وفى محاولة بسيطة منا لجنى نتائج مفاهيمنا المتضاربة مع المفهوم القويم

للمراهقة ننسى ان المراهقين الذين لا نهتم بهم ولا نهتم بأن نكون معهم على وفاق ، هم فى نهاية الامر التلاميذ والطلبة ٠ الفئة الام فى مجتمعنا والتى نعول عليها فى بناء مجتمعاتنا الآتية فتزيد فى شعورهم الملح فى رفع القيود والرقابة الادارية المعهدية والنظرة للمسؤولين نظرة عداء وكراهية مع تطور واضح فى الرؤى والمواقف فيصبح جليا أن طلائع المجتمع تتسم بالعدوانية والرغبة فى العنف وتحكم على آرائهم ومواقفهم الاديلوجية والسياسية مجرد رد فعل لمرحلة المراهقة ٠ والحقيقة وان كانوا يحملون بقايا هذه المرحلة الا أنهم اما سيحاولون السير لتدعيمها أو كبح انفسهم للسمو بها خصوصا أنهم يحملون من الوسائل ما تخول لهم أن يكونوا أصحاب مواقف قد تكون معادية للمواقف الاسرية . وليس هذا فحسب بل اننا خلقنا جيلا جائعا جنسيا والسبب فى ذلك طبيعة الشاب العربى وأعنى بذلك العوامل المناخية والبيئية اللذين يؤثران فى الهياكل الجنسية لكلا الجنسين وورث شبابنا الى جانب كل هذا من المجتمعات الراقية النزعة الفردية فأصبح شبابنا أنانيا لا يفكر الا فى نفسه ولا يؤمن بالغيرية ولكن هل تساءلنا عن المتسبب فى هذه الحالة الشائعة .

السبب هو انعدام الثقة بين أفراد المجتمع الواحد والمتسبب بدوره فى هذه الحالة وفى هذا الشعور بانعدام الثقة : شيوع ظاهرتى الجشع والاستغلال لدى العامة والخاصة فى مجتمعاتنا وخلاصة القول : ان الازمة تعقدت نسبيا ولا مفر لنا من الاهتمام بهذه الاسباب النفسية والاجتماعية والتربوية والسياسية والحل يكون باللجوء الى الحوار الديمقراطى البناء البعيد عن كل موقف سلبى.

ونحن كغيرنا من شعوب العالم نطمح الى تحقيق الحرية فى تعاملنا لكنها باتت الفوضى ولا شىء غير الفوضى . والكبت الذى شمل مختلف المستويات هو الذى تسبب فيما نحن عليه من تفسخ وانحلال وتدن على المستوى الفكرى والاخلاقى والاجتماعى والسياسى فالى ماذا صرنا ؟ شعب مطموس الهوية يخلق شيئا فشيئا جيلا بلا هوية هو الآخر بناء على أن فاقد الشئ لا يعطيه . شعب لا يؤمن بالطموح الذى يحل العقدة : لا حدود ولا اقليمية وارتمى فى أحضان الفرقة حتى بتنا نحن أنفسنا الوسيلة التى يستخدمها اعداؤنا لطمس ثقافتنا وسلب هويتنا ونجحوا فى أن يفكوا كل عضوية كانت تربطنا واعتلتنا أقليات سلبية لا تعير مصلحتنا أية اعتبار وهذا هو حالنا ، انفصام روحى الى ذوبان شخصية انتهت بنا الى أن ننظر نظرة امتعاض الى الماضى الذى يندثر ولا يتجدد .

ثم ماذا غير السقوط فى جب التمزق الى ما نراه من كتل وأحزاب يناوىء بعضها البعض ننتظر الجراح الماهر الذى سينجح فى عملية جمع شمل هذه الاشلاء الممزقة بقنبلة فجرتها عدة أزمات كأزمة المراهقة لكننا تجاوزناها فكانت نتائجها أسرع منا فالتحقت بنا ثم تجاوزتنا .

وداد الفالح

قصيدة البحر..

تونس الحب.. تونس الياسمين..

شعر: البشير المشرقي

أجيء لأروي لديك الغليلا　　وأغفو على شاطئيك طويلا
أنا متعب يا بلادي فأين الـ　　ـمرافيء .. أم أطلب المستحيلا ؟
أنا خافق شاعر يستريح　　على ربوة الحرف إن هو قيلا
ولكنه تائه فاعذريه　　ولا تطلبي منه أن يستقيلا .
فكل المواجع مهما استبدت　　أراها بفيئك كونا جميلا
فقرطاج مائلة في عيوني　　وبنزرت عن حبها لن أميلا
أرى في بلادي الشواطيء تغفو　　وألمح كثبانها والنخيلا
تميس الظلال على كل درب .　　تعانقه بكرة .. وأصيلا ..
أحبك يا وطني .. ألف شوق　　على شفتي يستلذ الرحيلا
أحبك أغنية لم أقلها　　وكونا من السحر حلوا .. ظليلا
أحبك رقرقة في المجاري　　ونورا يضيء لظل السبيلا
أحبك تونس مهما نأيت　　فحبك كان لنا سلسبيلا
فأنت الحبيبة .. أنت المقيمة　　ة في خافقي مذ أضعت الدليلا
فبالحب صممت فيك الزوايا　　وهندست حجمك ميلا فميلا
فهل تهبين لقلبي المرآ　　ة كي يستريح فؤادي قليلا .
فإني تعبت .. ومازلت أجري　　فعنك أنا لا أريد البديلا
أنا شاعر علمته عيون　　ك كيف يموت .. فكان القتيلا
ستروي الجداول ما كان بيني　　وبينك ترويه جيلا فجيلا ..

وسائل الاعلام ومستقبل الطفل العربي

بقلم : د . عبد العزيز شرف
(القاهرة)

فى ذهن كل انسان تثور عدة تساؤلات حول دور وسائل الاعلام فى تكوين الطفل بعامة ، والطفل العربى بخاصة ، سيما وان سبل الاعلام وقنواته ، تتغير تغيرا ملحوظا حسب البيئة ، كما تتغير بالنسبة لسرعة النشر ، وحسب طبيعة المضمون ، والوسائل الفنية المستخدمة فى النشر . فضلا عن أن حجم المعلومات المتداولة وتكرارها لا يكونان أبدا على وتيرة واحدة ، لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان (الصحافة ، الاذاعة المسموعة والمرئية .. الخ) . وعلى هذا تعتبر التربية عاملا أساسيا فى تنمية الموارد البشرية . فهى تستطيع ان تلعب دور الوسيط الموصل للمعلومات السياسية منها او الاقتصادية أو الاجتماعية او العلمية أو التقنية او الثقافية ، ولكنها لا تستطيع ان تلغى دور الاعلام ، كما أن الاعلام لا يستطيع الاستغناء عن التربية .

فوسائل الاعلام توجد نوعا من البيئة الصورية بين الانسان والعالم الموضوعى الحقيقى ، ولهذه النظرة معانيها الهامة عن دور وسائل الاعلام تجاه الطفولة بوجه عام .

ولذلك فانه ينظر الى وسائل الاعلام احيانا على انها تغلف الانسان الحديث بنوع من الواقع البديل .. فالمجتمع يوجد عن طريق عملية انتقال أو تحويل ، الى حد تعبير « جون ديوى » . « وهو فى هذا على قدم المساواة مع الحياة البيولوجية ، ويتم الانتقال او التحويل ، عن طريق انتقال عادات العمل ، والتفكير، والشعور من الاكبر سنا الى الاصغر ، وبدون هذا الانتقال أو التوصيل للمثل العليا ، والامال ، والتوقعات ، والمستويات ، والاراء من اعضاء المجتمع الذين يوشكون ان يختفوا من حياة الجماعة الى من يدخلونها ، لن تستمر للحياة

الاجتماعية أن تستمر فى البقاء .. ولو كان الاعضاء الذين يتكون منهم مجتمع ما يعيشون الى الأبد. لتسنى لهم أن يربوا حديثى الولادة، ولكنها تكون عندئذ مهمة يوجهها الاهتمام أو المصلحة الشخصية اكثر مما توجهها الحياة الاجتماعية أما الآن فهى عمل تمليه الضرورة » .

وتمشيا مع الافكار التى تبناها وزراء التربية والوزراء المسؤولون عن التخطيط فى الدول العربية (المغرب ، يناير (كانون الثانى) 1970 م) ، والتقاء مع قرارات الدورتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة للمؤتمر العام لليونسكو، بتعين ربط مختلف أنواع ومراحل التربية ، داخل اطار التربية المستديمة ، بتنمية وسائل الاعلام ، وعلى هذا يتحتم انشاء قنوات اتصال بين المؤسسات وبين الجماعات ، والأجهزة الادارية ، واتحادات العمال ، والتعاونيات ، والمؤسسات التعليمية والثقافية .. الخ . كذلك تستطيع التربية المستديمة اذا استعانت بنفس وسائل الاعلام ، ان تعمم فى كل مكان وبانتظام وباقل التكاليف اثناء او خارج او بعد مختلف مراحل التعليم والتدريب التجديدى ، وباستخدام وسائل الاعلام هذه على يد أحسن الخبراء الذين توفرهم الظروف ، سوف تتحسن نوعية المضمون وتؤمن المساواة على نطاق واسع بين جميع أجزاء البلاد فاذا انتشرت التربية المستديمة فى المجتمع ، اصبحت ـ كما يقول تقرير اليونسكو عن استخدام الفضاء (1) ـ اصبحت بمثابة الخامة الفكرية لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

« وتعتبر التربية المستديمة القوة المجددة الرئيسية للتنمية الثقافية التى تتحكم فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى. وعلى عكس الانظمة التعليمية التقليدية التى تركز على ترقية الافراد . وخلق مجالات التنافس فيما بينهم ، تنطوى التربية المستديمة على ترقية الجماعات . وتبدو الحاجة فى هذا الشأن الى وسائل الاعلام لضمان اشتراك كل الطبقات الاجتماعية فى عملية التنمية » .

الأثر التربوى للاعلام

وهنا نطرح مشكلة الاثر التربوى للاعلام . وهو اثر غير مباشر يحوطه الغموض ، ولا يمكن للتربية أن تتنبأ به الا جزئيا ، فالاعلام المتصل بالبيئة الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذى يعنى بالمسائل العملية ، ينطوى على نوع من التربية التى تهتم بتحليل الاشياء الطبيعية والتقنية والثقافية وبهذا تقترب من المواد الدراسية التقليدية . ويؤدى التكامل بين

الحياة اليومية والمعرفة الى مفهوم للتربية يستطيع بمقتضاه كل من الأطفال والمراهقين والكبار من رجال ونساء (كالآباء والعاملين والمواطنين) فى المدن والريف على السواء ، أن يتكشفوا معنى ومتطلبات الوظائف والمواقف التى يتعين عليهم اتخاذها والقيام بها باعتبارهم مواطنين وأصحاب مهن وأرباب أسر .

ورباط يربط بين الجميع ، وهو الثقافة ، أى الشعور الداخلى بالانتماء الى نفس الخط فى الحياة والعمل والفكر ، يقوم على أساس ماض واحد وقيم وأهداف مشتركة .

ان استخدام وسائل الاعلام ، وخصوصا التليفزيون ، يتيح الفرصة لأول مرة لكى نتفاعل مع البيئة الاجتماعية ، باعتبار المدرسة عنصرا من عدة عناصر لبناء واسع كبير هو التربية المستديمة .

ان ضرورة التعليم والتعلم لاستمرار وجود المجتمع من الوضوح بحيث يبدو ان ذكرها تحصيل حاصل .. ولكن تبرير ذلك مصدره ـ كما يقول جون ديوى ـ ان « هذا التأكيد انما هو وسيلة للافلات من المعنى المدرسى الصورى للتربية » فالمدارس فى الواقع سبيل هام للتحويل أو النقل الذى يشكل استعدادات غير الناضجين . ولكنها سبيل واحد . وسبيل سطحى نسبيا اذا ما قورن بالعوامل الاخرى .. ولن نتأكد من وضع الطرق المدرسية فى سياقها الصحيح الا اذا ادركنا ضرورة سبل للتعليم أوفر حظا من الدوام والأهمية .. ان المجتمع لا يكتب له الاستمرار عن طريق الانتقال او التحويل او الاتصال فحسب ، بل يجوز القول انه يوجد فى الانتقال او التحويل .. وفى الاتصال ، فالصلة اكثر من لفظية بين كلمة « مشترك » و « مجتمع محلى » و « اتصال » وهى فى الانجليزية من مادة واحدة لغويا ، (وهى فى العربية ترتبط بالبر والتودد وعدم الجفاء كما لو كان يصل رحمه وقرابته والمؤمنين) . فالناس يعيشون فى مجتمع « محلى » بفضل ما بينهم من اشياء « مشتركة » والاتصال هو الطريقة التى بها يتملكون الاشياء المشتركة . وما لابد ان يكون مشتركا بينهم لتكوين « مجتمع محلى » أو أى مجتمع على العموم هو الاهداف والمعتقدات والمطامع والمعرفة ـ اى الفهم المشترك ـ مثل التماثل العقلى كما يقول الاجتماعيون .

« وهذه الامور لا يمكن نقلها بدنيا او ماديا من شخص الى آخر كقوالب الطوب .. ولا يمكن التشارك فيها على نحو ما يتشارك الناس فى فطيرة

باقتسامها قطعا مادية ، فالاتصال الذى يضمن المشاركة فى الفهم المشترك انما هو اتصال يضمن الاستعدادات الانفعالية والذهنية المتماثلة .. مثل طرق الاستجابة للتوقعات والمتطلبات او المقتضيات » .

ولفظ التربية يعنى فى اصله اللغوى عملية التنشئة ، ولكن حينما نقصد حاصل هذه العملية،فاننا نعنى بالتربية التشكيل والصياغة للطفل فى صورة نمطية من النشاط الاجتماعى .

وهنا يلعب الاعلام دورا كبيرا فى تحويل نوع أو كيف الخبرة حتى تشارك فى الاهتمامات والاغراض والمثل العليا الجارية فى الجماعة الاجتماعية . ولكن مشكلة الاعلام هى اكتشاف الطريقة التى يتمثل بها الصغير وجهة نظر الكبير او التى يتمكن بها الكبار من جعل الصغار يماثلونهم عقليا .

وتأسيسا على هذا الفهم ، يمكن القول ان اصدار حكم قاطع فيما يتعلق بوسائل الاعلام من حيث ضررها او صلاحيتها للاطفال امر عسير ، ونذكر هنا قول الجنرال « دافييد سارنوف » فى الكلمة التى ألقاها بمناسبة منحه درجة علمية شرفية من جامعة نوتردام : « اننا نميل كثيرا الى اعتبار الادوات التكنولوجية كبش فداء الأخطاء التى يرتكبها أولئك الذين يستخدمونها ، ان انجازات العلم الحديث لا يمكن ان تكون خيرا أو شرا فى ذاتها ، إن طريقة استخدام هذه الانجازات هى التى تحدد قيمتها » .

فهناك من البرامج ما يكون له اثر ضار على بعض الاطفال فى بعض الظروف ولكن بالنسبة لاطفال آخرين ، وفى نفس الظروف السابقة او بالنسبة لنفس الاطفال فى ظروف مختلفة ، قد تكون هذه البرامج نفسها ذات اثر طيب .

اثر التليفزيون على الاطفال

يقول وليور شرام وزميلاه فى دراستهم عن التليفزيون واثره فى حياة الاطفال « اننا حين نذكر شيئا عن أثر التليفزيون على الاطفال فاننا فى الواقع نستعمل عبارة ذات حدين : « احدهما يتعلق بالأطفال والآخر بالتليفزيون » وعلى سبيل المثال اذا قلنا عن احد البرامج انه ممتع ، فاننا نقصد ان ذلك البرنامج ينطوى على ميزة خاصة يستجيب لها الاطفال بطريقة ما ونطلق عليها صفة الامتاع . ولو قلنا ان ذلك البرنامج يبعث الرعب فى النفس فاننا نعنى بذلك ان بعض الخواص تثير بالبرنامج فى الاطفال انفعالا آخر هو الخوف .

« وقد نظن من استعمال كلمة « اثر » أن التليفزيون هو المؤثر والطفل هو الذى يقع عليه الاثر ، اى ان الطفل يأخذ الجانب السلبى ويكون الضحية بينما يكون للتليفزيون الاثر الايجابى كانما هو المعتدى على الطفل ، لكـن ما ابعـد هذا القول عن الحقيقة .

ان الاطفال فى علاقتهم بالتليفزيون فى غاية الايجابية فهم الذين يستعملون الجهاز كيفما شاءوا ، حقا إن برامج التليفزيون بها كثير من قصص الخيـال ومواقف العنف ، وان التنوع بين مختلف البرامج ضئيل فليس امام الطفل الا ان يتقبل ما يقدم له من برامج ، ان طبيعة التليفزيون ان يقتل بقدر الامكان من التنويع بين البرنامج ولكن من طبيعة الانسان أن يعوض هذا النقص وخاصة من جانب الاطفـال » .

ان ما يقدمه التليفزيون من مختلف البرامج للاطفال ـ كما يوضـح شـرام وزميلاه ـ لا يختلف فى اساسه عن البرامج المذاعة بالراديو « وكذلك لا يختلف عما يشاهد الاطفال من القصص السينمائية ، ولكن تأثر الاطفال بالتليفزيون والوسائل الاخرى هى التى تختلف اختلافا كبيرا ، فالطفل عندما يدير جهاز التليفزيون يفعل ذلك ليرضى حاجة نفسه ، ويجد فى البرامج بعض الخبرات يفيد منها فيما بعد . وتؤكد دراسة شرام وزميليه ، أن الاطفال يختلفون فى مشاهدتهم للبرنامج التليفزيونى الواحد، ولكن نتيجة لعمليات الاختبار تحدث دائما زيادة فى خبراتهم المختزنة ، وبالتالى تنضج ما لديهم مـن مفاهيم وقيـم ومظاهـر السلـوك ، ففى بعض الظروف قـد يؤدى اختيـار بعض البرامـج التليفزيونية الى اتجاه الطفل نحو الجريمة او العنف او ضعف الخلق ، وفى ظروف اخرى تساعد برامج من نوع مختلف على انماء مفاهيم صحيحة عن حياة الكبار والقيم الديمقراطية ، وفى ظروف ثالثة قد لا يكون للبرامج أية آثار على الطفل سواء كانت ضارة أو نافعة :

« ان فى طبيعة الاطفال ما يجعلهم يلتمسون فى برامج التليفزيون خبرة خاصة تكون جديدة على حياتهم وتأخذ مكانها ضمن خبراتهم السابقة التى هى مجموعة من القيم المتعارف عليها بين الناس والعلاقات الاجتماعية الى جانـب الحاجات النفسية الملحة وهى جزء لا يتجزأ من حياة كل طفل ، ونتيجة لذلك يتأثر ما لدى الطفل من خبرة أصلية فيطرح بعضها جانبا ويختزن بدلا منها خبرة جديدة . وقد يصدر عن الطفل سلوك ملحوظ نتيجة لمشاهدته بعض البرامج ، هذا مـا نقصده عند الحديث عن « أثر وسائل الاعلام » .

يتساءل (شارلز سيجان) : هل التليفزيون وسيلة لتخدير عقول الجماهير أم ان له أثرا هاما على ثقافتهم؟ذلك انه كان هناك أمل فى أن يصبح التليفزيون فى كل منزل وسيلة للمعرفة والتربية بما يفتحه من نوافذ على الآفاق البعيدة من العالم وبما يقدمه من الأنباء والافكار الجديدة وشخصيات العظماء للاطفال .. ولكن من ناحية أخرى لوحظ ان أضعف الاطفال تحصيلا فى المدرسة هم اكثر الاطفال اقبالا على برامج التليفزيون . وان كان ذلك لا يعنى ان التليفزيون هو السبب فى ضعف مستواهم العلمى .

لقد قال « بول وينى » فى مؤلف لسنة 1954 م ، ان التليفزيون يقلل من اقبال الاطفال على القراءة ، ثم عاد فى سنة 1959 م ، فذكر ان ذلك غير مؤكد. وذكر مؤلف آخر هو « ريمون » انه عند استطلاعه أراء المراهقين وجد ان اثنين من خمسة اعترفوا له بأن التليفزيون يعطلهم عن أداء اعمالهم المدرسية وان كان تقديرهم لذلك متفاوتا على نحو ما والى درجة كبيرة . والذى لاشك فيه ان الاطفال يتعلمون من التليفزيون .

ولكن (ارثر سليزنجر يذهب الى ان التليفزيون ينافس الوسائل الترفيهية الاخرى فى انه ينحدر سريعا بذوق الاطفال ، بينما يقول « لويس كوهن » : ان كثيرا من برامج التليفزيون تشجع الاطفال على اكتساب مستوى منحط من الذوق لا يليق بالحياة الاجتماعية السليمة .

ويتساءل « جويف كلابر »ز : هل يساعد التليفزيون على انضاج عقلية الطفل قبل الاوان ؟

يقول : « ان الاطفال يقضون معظم الوقت امام التليفزيون فى مشاهدة البرامج التى اعدت خصيصا للكبار وغالبا ما تكون مليئة بالمشاهد والمواقف التى تتميز بالصراع العاطفى . ويظن بعض علماء النفس ان استمرار مشاهدة الطفل لمثل هذه البرامج يحدث انطباعات عميقة من حياة الكبار على تفكيره وتدفع به الى حالة من النضج سابق للاوان من صفاتها الملحوظة الحيرة وعدم الثقة بالكبار والاهتمام بمشكلاتهم اهتماما سطحيا . وقد يصل الأمر بالطفل الى عدم الرغبة فى اللهو ليكون كبيرا » .

ويضيف «كلابر» الى ذلك : إن الاطفال فى مراحلهم الاولى كثيرا ما يلتمسون النصح والمشورة عند الكبار فيما يختص بمواقف يشاهدونها ضمن برامج التليفزيون ولكنهم يفاجؤون بعجزهم عن تقديم المعونة المطلوبة . ومثل هذا

العجز من جانب الكبار يكون له فى نفس الطفل أثر أعمق مـن أثر الصورة غير الواضحة لحياة الكبار التى يراها الطفل فى مشاهد التليفزيون .

ويذهب « شرام وزميلاه » الى أن التليفزيون أحدث تعديلا كبيرا فى أوقات فراغ الطفل وخاصة فيما يتعلق بالمدة التى يقضيها فى اكتساب المعرفة من وسائل الاعلام مثل الراديو والتليفزيون . لقد قل معدل الزمن الذى يخصصه الطفل لقراءة المجلات المصورة عما كان عليه فى الماضى . كما أنـه يستمع من الراديو الى التمثيليات أقل ويذهب الى السينما مرات أقل ، ولكنه يشاهد عددا كبيرا من التمثيليات فى التليفزيون ، وقد يستمتع الطفل بالموسيقى الشعبية من الراديو ولكنه يستطيع أن يحصل عليها من التليفزيون . ومن الواضح كذلك أنه قد حدث تغيير فى المادة التى يستقبلها الطفل عن طريق الوسائل الثقافية اذا قورنت بمثيلتها قبل ظهور التليفزيون .

ولعلنا نستطيع ان نخلص مما تقدم ، الى ان طريقة استخدام وسائل الاعلام هى التى تحدد قيمتها بالنسبة لمستقبل الطفل . فوسائل الاعـلام ــ حيـن نحسن استخدامها ــ يمكن أن تؤدى عدة وظائف :

الطفـل وعـادات اللغـة

فوسائل الاعلام من خلال الاتصال اللغوى تتيح للطفل تمثل العادات اللغوية ذلك أن استخدام اللغة لتوصيل الافكار واكتسابها ــ كما يقول ديوى ــ انما هو امتداد وارتقاء للمبدأ القائل : ان الاشياء تكتسب المعنى عن طريق استخدامهـا فى خبرة مشتركة أو فعل مشترك ، وانه لا ينتهك هذا المبدأ بأية حـال من الأحوال . وعندما لا تدخل الكلمات كعوامل فى موقف مشترك ، امـا صراحة أو بطرق الخيال ، فهى اذن منبه مادى محض . ليس ذا معنى ولا قيمة فكرية ، ولكن طرق الكلام الاساسية وكتلة المفردات ، انما تشكـل باتصالات الحيـاة العادية ، والتى تعرضها وسائل الاعلام ، فالطفل يكتسب لغة الأم بطريق مباشر وبطريق غير مباشر من وسائل الاعلام . فقـد اظهرت الابحـاث ان الملاحظـة البسيطة للآخرين يمكن ان تكون لها تأثير قوى فى تغيير بعض جوانب السلوك الاجتماعى مثل استعداد الطفل لمعاونة الآخريـن وقدراته عـلى اظهار سيطـرة ذاتية ، وتعلمه لقواعد اللغة .

وهنا يمكن ان تصحح وسائل الاعلام بطريق غير مباشر عادات الكلام التى تكتسب من قبل . فالطفل يلاحظ ويتذكر اسلوب الكبار فى الكلام والتعبيرات

التى يستعملونها والطرق التى يقدمون بمقتضاها المساعدة ، ويكتسبمعلومات مما يراه ، اى ان التعليم بالملاحظة يحدث فى هذه الحالات .

• ان وسائل الاعلام ، تلعب دورا اساسيا فى تزويدنا بالمعلومات والاراء التى تبنى بفضلها صورة للعالم المحيط بنا ، وانها توسع عالمنا واطارنا الدلالى وتجعلنا نهتم بامور لا نستطيع أن نعرفها بالتجربة المباشرة . لذلك يقال دائما إن أكثر من 70٪ من واقع الفرد فى المجتمع الحديث مستمد من وسائل الاعلام » .

وسائل الاعلام وآداب السلوك

يذهب علماء النفس الى ان الطفل عندما يبلغ الثانية او الثالثة من عمره لا يعى من آداب السلوك الا القليل ، بل انه لا يعرف ماذا تعنى هذه الآداب .

ولقد ظهر ان ملاحظة الاطفال للأطفال الاخرين فى فيلم ما ، تحدث مستوى مرتفعا من التعلم للسلوك غير المالوف وتزيد استعداد الاطفال للمشاركة وتقلل ردود الفعل التى تنطوى على نفور او خوف بشكل كبير .

وتقول (دوروتى و. باروخ) : إن أفضل طريقة هى ألا نطالب الطفل بعبارات المجاملة ، لان كل عبارات المجاملات والتحيات ، لا تحمل للطفل الصغير من المعانى الا القليل .. ان الطفل قد يقول مع ذلك كل هذه المجاملات والتحيات بطريقته الخاصة ، فقد يقول : « صباح الخير » أو « من فضلك » أو « اشكرك » بابتسامة جذابة ، أو نظرة معبرة أو لمسة من يده تحمل الود والصداقة او حتى بوساطة تعبير او افصاح عن الرضا . فان هذه كلها رسائل اتصال صادقة نابعة من القلب . وبدلا من ان تفرض عليه هذا اللون من السلوك ، فان الافضل ان نسلك نحن هذا السلوك معه ، فنقدم له صورة دقيقة لآداب السلوك بأن نكون مثلا يحتذى ، وبذلك نتيح له حرية اختيار انواع الآداب التى يرغب فى محاكاتها ، فاذا ترك وشانه فانه سيقتبس تدريجيا الآداب التى تناسب مرحلة نموه الخاصة ، ويشرع فى ان يقول « من فضلك » او « اشكرك » او « صباح الخير » .. الخ . كما يستعمل هذه المجاملات والتحيات بصورة لبقة طبيعية ، وسرعان ما تصبح هذه العبارات تعبيرا عن نفسه ، لا صورة لا معنى لها فرضت عليه فرضا ، غير انه يحتاج الى وقت حتى يصل الى مرحلة الآداب التى يتحلى بها الكبار ، اذ أنه لا يصل الى هذه المرحلة دفعة واحدة . ان الطفل سوف يتعلم

الكثير من هذه الآداب والمجاملات على أحسن وحه اذا ما انتظرنا حتى يكـون مستعدا لتعلمها مهيئا لممارستها . واحتمال اكتساب السلـوك الجديد لـدى الطفل ، بدون ممارسته أو الاقدام عليه مباشرة ، له نتائج هامة فى فهم تأثير التليفزيون وفرص التعلم الاخرى بالملاحظة . فاذا تعلم الطفل سلوكـا جديدا يصبح فى مقدوره الاقدام على ذلك السلوك حينما يجد نفسه فى ظرف يكون فيه ذلك السلوك مجزيا او يخدم أهدافه الخاصة ، وبهذا ، بالرغم من أن التعلم قد لا يدفع الفرد بالضرورة الى القيام بعمل ما ، الا انه يجعل فى الامكان القيام باستجابات اجتماعية قد لا تكون متوافرة لديه لولا هذا التعرض . معنى هذا أن التعرض لدلالات جديدة (عنيفة) قد يغير شكل السلوك المحتمل الذى قد يقدم عليه الطفل حينما يثار او يتعرض للضغط .

فمما لا شك فيه أن الأطفال سوف يتعلمون أشكال السلوك الجيدة ـ كلمات وتصرفات ـ مـن مجرد مشاهدة الآخرين ، لذلـك فهـو يتعلم العدوان مـن التليفزيون كما يتعلم الأشياء الايجابية .

وهنا يمكن أن تلعب وسائل الاعلام دورا اساسيا فى آداب السلوك من خلال تقديم القدوة ، التى تعتبر أقدر من الموعظة فى هـذا المجال ، فآداب السلـوك الحسنة عـلى حد تعبير ديوى نتاج التنشئة الحسنـة ، أو مـن باب أولى هى التنشئة الحسنة . والتنشئة تكتسب بالفعل الذى تحول الى عادة ، استجابـة الى تعود منبه معين أو بالتلقين . ورغم التعليم والتصويب المقصودين بلا انقطاع الا أن المناخ والروح الاجتماعية ووسائل الاعلام فى البيئة المحيطة بالطفل هى فى النهاية العمل الاساسى فى تشكيل آداب السلوك ، وآداب السلوك ليست سوى الأخلاق الصغرى ، أما فى الاخلاق الكبرى ، فالتعليم المقصود أحرى الا يكون فعالا الا بمقدار توافقه مع سير وسلوك من تتكون منهم البيئة الاجتماعية للطفـل .

ويذهب الدكتور فردمان المتخصص فى دراسة الانحراف الى انه « لم يتضح من أية دراسة نفسية يعتمد عليها أن اعراض الشخصية الانشطارية قد زادت بين الاطفال منذ انتشر استعمال التليفزيون ، وكذلك لم يثبت بالبحث الدقيق أن هناك صلة ما ، بين ارتفاع نسبة الانحراف بين الأحداث وبرامج التليفزيون أو عملية مشاهدتها .

ويقول : « ان مدى استجابة الطفل لبرامج التليفزيون ومغزاه النفسى ، هو المقابل لما يحققه من ارضاء حاجاته فى مجتمع اسرتـه ومدرستـه واصدقائه ، ويمكن التنبؤ بأن الأطفال الأقل ذكاء ، والاكثر قلقا والذين على غير وفاق مع عائلاتهم وأصدقائهم هؤلاء جميعا يحتمل أن يستغرقوا فىمشاهدة التليفزيون كنوع من الهرب أو بقصد اثارة عواطفهم. أما الأطفال الاذكياء والمتزنين والذين على وفاق فى علاقاتهم مع اسرهم فهؤلاء لا يتأثرون بمشاهدة برامجالتليفزيون».

هذه الخواص تكون كامنة فى كل عمليات المشاركة فى المشاهدة سواء كان ذلك بالنسبة للرياضة أو الفن او القراءة ، ولكن الشىء الهام الذى يتميز بـه التليفزيون هو ـ كما يقول شرام ـ انـه يلتقى مـع المشاهديـن فى جميـع المستويات العمرية فيشاهده الاطفال فى سـن 5 سنوات ، 3 سنوات وحـتى الاطفال من سن السنتين يرون برامج التليفزيون ، وفى هذه السنـة الاخيرة يكون التليفزيون مجرد بديل عن الام ، وهذه الحاجات التى يحس بها الطفل تنمو وتكبر وتتطور علاقته بامه . ان هذا النمو فى الحاجات يتوقـف أساسا والى حد كبير على موقف الام من الطفل وتشجيعها له على القيام بأعمال النشاط وعلى الاعتماد على النفس . وان من أعظم الأمور أهمية فى تكوين شخصية الطفل انه يستطيع فى تلك السن اشباع كثير من رغبـاته وحاجـاته عن طريـق التليفزيـون .

وقد توصلـت « هيملوايت » الى أن الاطفال الذيـن يفضلـون الخبـرات التليفزيونية على خبرات الحياة الواقعية ، اذا تركت لهم حرية الاختيار ليسوا الا عددا ضئيلا ، ووجدت أيضا ، كما وجد شرام وزميلاه بالمثـل أن الاطفال لا يملون أبدا مشاهـدة التليفزيون ويميلون الى مشاهـدة ألوان مختلفة مـن البرامـج .

الذوق السليم والتقديـر الجمـالى

وتستطيع وسائل الاعلام حين تصافح العيون أو الآذان،أن تقدم موضوعات للرؤية أو للاستماع متناغمة ، وذات أناقة فى الشكل واللون والايقاع ، وحين نفعل ذلك تجعل الطفل ينشأ لديه مستوى أو معيار للذوق .

وقد أثبتت دراسة شرام وزميليه ، أن الأطفال فى أعـلى مستويات الذكـاء وأدناها من الذين يشاهدون التليفزيون يلتحقون بالمدرسة وعندهم حصيلة من

المفردات الجديدة تعدل ما يمكن تحصيله فى سنة بالنسبة لنظرائهم من الأطفال فى المجتمعات التى لم يدخلها التليفزيون ، ويضاف الى ذلك أن طول المدة فى مشاهدة التليفزيون تساعد على زيادة حصيلة الطفل من المفردات .

ويحتمل أن تكون فاعلية وسائل الاعلام بوجه عام فى استثارة اهتمام الطفل بمعارف جديدة ، وفى زيادة اهتمامه بما هو موجود فعلا ، أكبر منها فى استثارة الطفل نحو القيام بنشاط خلاق .

وبقدر ما تعمل وسائل الاعلام على تنمية اذواق الاطفال ، يمكن أن نفترض مع شرام انها تدعم نوع الذوق الذى يكتسبه الطفل اثناء القراءة أو الاستماع او المشاهدة . فاذا كانت البرامج والمواد منوعة بحيث تكفى احتياجات الذوق فى مستوياته المختلفة ، وبحيث تعطى الطفل مجالا كبيرا للاختيار ، فلن يكون هناك داع للقلق ولكن ليس هناك اختلاف كبير بين برامج التليفزيون مثلا كما انها معدة على مستوى تتقبله الغالبية الكبرى من الجماهير .

وهذا الموقف يؤدى بنا الى البحث فى مشكلة تنمية أذواق الاطفال عند التعامل مع وسائل الاعلام وكيف يتم ذلك ، ويلفت أنظار الآباء والمربين والمفكرين ، الى توجيه الاطفال لاختيار ما يناسبهم من مختلف الوان البرامج فى التليفزيون . ذلك أن وسائل الاعلام تعمل على تكوين الاتجاهات والميول والآراء، وتغذيها بشكل مستمر .

د. عبد العزيز شرف

قصيدة العدد..

تونس الحبّ .. تونس الياسمين ..

شعر : الصّادق شرف
(أبو وجدان)

أُحِبكِ تونس، والحب ،قيلا : ... يُحَقّقُ مَا قَدْ بَدَا مستحيلا
بِحبّك إِنّي أُحَقّقُ حُلما ... هو الحبّ ما كان حلما جميلا
وأجمل منه انتصار فسيح ... على مَنْ على الشعر كان الدخيلا
تمازجَ فينا الهوى فاستوَيْنَا ... فما كان فرعا يصيرُ أصيلا
وما كان أصلا تَنَامَى زياتين ... يَغْسلُنَا الظلّ منهَا غسيلا
زياتينُ تَنْبَعُ دِفْءا وريحا ... تمدّ الريَاحينَ ميلا فميلا
أحبكِ زيتونة .. برتقالا .. ... حزاما من القمح .. ضاهى النخيلا
من الياسمين نسجنا لك التاجَ ، ... والصولجان ، وعرَشا جَليلا
ألا فاجلسي يا أميرةُ .. قلبي ... لِعرْشِكِ – إن شئتِ – كان البديلا
إذا ما جلستِ جاسنا .. وليس لغير ... كِ نحنُ وقفنا طويلا
فحين تسيرين .. خلفكِ نمضي ... لوَ انّا سَبَقْنَا أضعْنا السبيلا
رأيناكِ يقتلكِ العشقُ .. جئنا ... نخفّفُ عنكِ فصرنا القتيلا
فنحنُ امتلأنا بعشقكِ حتّى ... ليَشْتَدّ ما كان فينا نحيلا
يجودُ بنفسهِ كلّ حبيب .. ... وكم كان بالنزر حِينًا بخيلا !

هـو الشاعر الفـذ مَن فـي سـواه بشعـره قـَدْ عـَاشَ دهـرا طويلا
وأفتـى أنـا فـي سـواي .. لأ نّـي مـن الشعـراء أُوَسِّسُ جيـلا
إذا قيـل : مَنْ ذَا ؟ ومن ذي ؟ تُجيبُ الخليلةُ لم أر إلا خليلا
فـلا تستميلي فؤاديَ أكثـر .. أخشى من الميـل يغـدو ضليلا
فلـو كنت ريحا وقلبيَ غصنـا تَكَسَّرَ لَوْ مَالَ عنكِ قليلا
تَكَسَّرَ لو مالَ نحوكِ أكثـر لمْ يَبْقَ إلا ... بأن لا يميـلا
ولـو كنتِ نهـرا وكنّا عطاشى وَيَنْقُصُ إنْ نُـرْوِ منهُ الغليلا
نموتُ عِطاشًا .. ونحيا عِطاشًا ولا نقبلُ النقصَ فيكِ فتيـلا
أحبكِ تـونسُ والحبّ مَـوْجي وأعشقُ بيـن العطاشى الرحيـلا
أنا البحـر والعاشقـون زوارق في ساحلي خلتهم أرخبيـلا
فكـم زورق للهـواء عميـل .. ! ولست لغيـر هـوايَ عميـلا ؟

85 / 6 / 8

الصادق شرف

تـوامـة شعـريـة

تـونس الحب .. تـونس الياسمين ..

بنفس هذا العنوان وفى نفس الموضوع وعلى نفس القـافية ننشر مستقبلا قصائد البحر المتوأمة لشعراء آخرين نذكر منهم : سمير الحيارى ، عبد الرؤوف بوفتح ، أحمد صنديد ، الحبيب الهمامى ، الحبيب بن فضيله ... وغيرهم فليراسلنا الشعـراء الشبـاب بقصائدهم

أدب "الفعل" وأثره في التربية الحضارية

بقلم : خميس جاء بالله

تعتبر التربية عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الشخصية القومية • فهى «فن صناعة المواطنين على رأى بعض الباحثين» • (1) وبالتالى فهى القناة الاولى لتعليم الاجيال وتوجيهها • وأما «أدب الفعل» فهو الادب الذى يدعو الى تبنى الفعل والعمل به • فهو عنصر توازن للشخصية لان هدفه الاوحد يتمثل فى ايجاد تعادلية بين القول والفعل • وبالتالى فهو أداة حضارية خطيرة واجبة الوجود لان تحقيق هذا الهدف هو الطريق السوى الى خلاص الوطن والامة قاطبة من برثن التخلف والقهر من جهة والى بناء الحضارة وكسب الرهان من جهة أخرى • وهذا الادب هو بالتالى أدب هادف لانه تربية • «فالصورة الحقيقية للادب الهادف هو الريادة ، والتوجيه حيث يكون الادب مواكبا وفى نفس الوقت رائدا وموجها •• وهذا الادب ، يكون مطلوبا وضروريا فى حالات التحول الثورى التى تشهدها المجتمعات الانسانية بعد تعرضها للكبت والجمود والاستغلال»(2) والاقتناع «بالفعل» ينتج عن تربية ودعوة ملحة ومنظمة الى «الفعل» من قبل السلط • فيصير هذا الاقتناع أحد سمات الشخصية العربية • ولذلك تعتبر التربية عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الشخصية القومية لانها تصنع المواطن المتزن وتخلق لديه وعيا اجتماعيا يؤلف بين القول والفعل •

---

(1) أطروحة علمية دكتوراه دولة فى «فلسفة التربية» ـ جانفى سنة 1974 كلية التربية • جامعة المنصورة ـ القاهرة •

(2) بحث بعنوان «الاديب بين الريادة والمواكبة» ـ للاستاذ الطيب برغوث . مجلة الثقافة • عدد 32 • أفريل ـ ماى 1976 •

وكما يكون الفعل عنصر بناء ودعم للشخصية الوطنية للجماعة فانه يمكن أن يكون عامل هدم وتخريب اذا كان سلبيا وغير موجه • وهنا يأتي دور التربية فى توجيه «الفعل» نحو الافضل • ومن هذا المنطلق «كانت التربية عاملا أساسيا فى تحرير الشخصية الانسانية للجماعة وازدهارها واكتمالها واكتسابها كرامتها الذاتية» (3) •

وقد كان الوعى بعنصر «الفعل» والدعوة الى تبنيه أحد مرتكزات حضارات متعددة • ولا شك أن البلدان المتقدمة فى عصرنا اليوم ما وصلت الى ما وصلت اليه الا بفضل العمل والمثابرة • ولو نأخذ مثالا على هذه الدعوة بلدا قصيا لا نعرف عنه الكثير لكنه استطاع غزو العالم تكنولوجيا بدافع البحث والغلبة والسيادة • انه الصين ، بلد الجد والجهد والكد •

للحضارة الصينية أهميتها ومكانتها بين الحضارات قديما وحديثا ، فهى من أقدم الحضارات وأشدها ايغالا فى الزمن البعيد ، ونظرا لبعدها الجغرافى وانغلاقها النسبى على نفسها طيلة عهود طويلة فان الاسرار تكتنفها فى كل مجالات الحياة وبالتالى فان كل حديث عن الصين يكتسب أهميته فى التعريف ببعض نشاطها ومن خلال اطلالة على الادب الصينى سنتابع قصيدتين كتبهما الزعيم الصينى « ماوتسى تونيج » منذ عشرين سنة خلت ، الاولى هى بعنوان «عودة الى جبال جينجقانج» وأما الثانية فعنوانها «حوار بين طائرين » ، وقد كان لهاتين القصيدين وقع كبير فى نفوس الصينيين الذين يرددونهما باستمراره والواقع أن الادب بصفة عامة وخاصة الشعر والرواية هو رهين للأحداث السياسية فى البلاد وهذا الادب يقيم بصفة مرحلية وبالاخص فى ضوء الثورات الثقافية المتجددة التى تحدث فى الصين منذ عام 1978 . ويمكن القول ان التراث الصينى يخضع دوما الى مقاييس سياسية داخلية . ويمكن تقديم مثالا على ذلك . فقد جرى تقييم وحديث طويل حول رواية صينية طويلة عنوانها « أبطال على شاطىء البحيرة » ، والصينيون يعتبرون هذه الرواية من التراث وتنتمى أحداثها الى أسرتى «سونج» و «مينج» اللتين حكمتا الصين لمدة طويلة (960 و 1167 م) • ولنا أن نتساءل عن سبب هذا التقييم وعن أهدافه ولماذا وقع فى فترة معينة وليس فى فترة أخرى ؟ وقد أجاب الزعيم الصينى الراحل « ماوتسى تونج » فوصف الرواية بقوله : « ان هذه الرواية هى ذات

---

(3) د• الهادى عفيفى «فى أصول التربية» • القاهرة سنة 1971 • ص 9 •

نفع ، لأنها تصف الاستسلام .. كما أنها مادة دراسية أدبية سلبيـة تساعد الشعب على معرفة أعدائه ، وهي روايـة خدمت طبقة الاقطاع وكانـت ضـد الفلاحين والمناضلين» • ومن ثم وجبت قراءتها ومناقشتها لانها ـ كما يقول الزعيم الصينى ـ « ان أى خطأ ، أو وجهة نظر خاطئة يجب كشف النقاب عنها وكشف النقاب عنها لا يجوز أن يكون لقلة قليلة من الناس فقط ، بـل يجب جعله واضحا لدى الجماهير الغفيرة » . وهذه الرواية هى عينة فقط بالنسبة لأعمال تتسم بالسلبية فى اطار الثورة الثقافية المتجددة .

وأما الادب الايجابى الهادف، فالقصيدتان اللتان ذكرتهما تعبران بوضوح عن هذا الادب الذى يحض ويدعو الصينيين الى العمل والانتاج . وهـو كما يقـول « أحمد أبوكف » : يدعو الى رفع شأن الصين واسمها بين الدول ، وهو أيضا الادب الذى يعكس بصدق حركة المجتمع الصينى فى الانطـلاق ، لتصبح دولة كبرى » .. ويواصل أحمد أبو كف بقوله : « فالصينيون يعتبرون أنفسهم دولة نامية ، تنتمى الى العالم الثالث ، وهو ما أعتقد أنه تواضـع صينى منبثق مـن الادب الصينى الجم ، المعروف » .

1 ـ قصيدة «عودة الى جبال جينجقانج» •

لقد انتهى الزعيم الصينى من كتابة هذه القصيدة فى ماى 1965 . وهى ـ كما سنرى ـ دليلا واضحا على ايجابية الادب الصينى الحديث ، تقـول ترجمتهـا النثريـة :

طال شوقى الى امتطاء السحاب
اصعد فى جبال جينجقانج من جديد
من بعيد جئت التقى بربوع الماضى
تغيرت الملامح القديمة وبدا وجه جديد
فى كل مكان تغنى البلابل وتتراقص السنونو
والسواقى تنساب مرنمة
والطرق تصعد فى عنان السماء
بعد ممر هوانجيا نفجيه
لا مكان خطير يستحق التفاتة
دوى الرياح والرعود
توالب الاعلام والرايات

هذا هو عالم البشر ..
ثمانية وثلاثون عاما مرت
كأنها فرقعة أصبعين
نستطيع قطف القمر من أعالي السماء التاسعة
والقبض على السلحفاة من أعماق المحيطات الخمسة
ونعود بين أهازيج النصر وضحكات المرح
لا مستحيل فى الكون
لمن يجرؤ على صعود القمم .

إن هذه القصيدة لتعبير صادق التعبير عن قوة الارادة حقاً. وقوة الارادة هذه تتجلى بوضوح فى كل كلمة يذكرها الزعيم «ماو» ، «فامتطاء السحاب» رمز إلى بعد النظر وكبر الطموح ، ورنو الى الفوق ، وفعل « أصعد » يعنى القدرة على الفعل والايمان بالصعود نحو الأعلى . و « الصعود » فى عنان السماء لا يخرج أبدا عن الاتجاه الذى رسمه الزعيم ماو الى أبناء وطنه ، ثم ان هناك شعور بالاطمئنان فى هذه المسيرة نحو الافضل وهو شعور الراضى عن نفسه وعن عمله ، وقد عبر عن ذلك الشاعر الزعيم بقوله : «لا مكان خطير يستحق التفاتة » . وأما فى المقطع الثانى فاننا نلاحظ بجلاء البعد السياسى لقصيدته . انه يعدد السنوات التى مرت حافلة بالفعل والعمل الدائبين انها « ثمانية وثلاثون عاما » بكاملها ولكن رغم طولها فقد مرت « كأنها فرقعة أصبعين » لا يكاد المرء يشعر بمرورها . والتعبير عن هذه السرعة يعنى أن الصينيين انشغلوا بالعمل المؤسس عن تعداد الساعات التى تطول بطبعها للقاعدين الواهنين . ونتيجة لهذا الفعل المؤسس الدؤوب فقد قدر أبناء الصين على تحقيق ما يطمحون اليه . واستطاعوا بذلك « قطف القمر من أعالي السماء التاسعة » . و « القبض على السلحفاة من أعماق المحيطات الخمسة » .

ومن خلال تتبع أفكار الزعيم « ماو » يمكن أن نستخلص خطوطا عريضة يمكن أن تكون الخطوط العامة للثورة الثقافية التى قادها الزعيم ، ولنكون أشد دقة يمكن القول : انها أساس الثورة فى الصين وأساس المبادىء التى أراد « ماو » أن يتحلى بها كل صينى كفرد . وبالتالى فهو يتوجه الى المجتمع ككل والى الافراد المكونين لذلك المجتمع ، وهذه الاسس تتمثل فى ما يلى ـ من خلال القصيدة :

1 ـ قوة الارادة .
2 ـ بعد النظر .

3 ــ القــدرة على الفعــل ..

4 ــ الاعتداد بالنفس والايمان بها .

5 ــ عدم وجود المستحيــل .

1 ــ **قوة الارادة :** هي عامل نفسي لابد من توفره لأنه منبع الفعــل ، فمنــه ينطلق الخلق وتكون الحركة والابداع ، ووجود الارادة على النطاق الفردي يحدد المسار الذي يتبعه الفرد . فاما أن يكون الفرد متحفزا ، متوثبا واما أن يكون فاقد الارادة خاليا من كل قدرة على الخروج من عالمه الضيق المميت . ومن ثم تتلون أحواله بقدر قدرته وارادته ، والانسان لا يولد قوى الارادة أو ضعيفها وانما تتربى فيه وتنمو بحسب محيطه . وبحسب درجــة تعلمه ووعيــه بهذا المخزون الهائل الذي يحويه . وقد تخرج الارادة عن دائرة الخمول والسكون لفترة قصيرة وبمناسبة معينة ثم تهجع وتسكن ومثال ذلــك : الانسان الــذي يجوع ، انه يخرج عن ركوده من أجل سد رمقه ثم يعود الى حاله وهكذا . والزعيم «ماوتسي تونج» عرف ما لوجود الارادة من أهمية فعمل على التحريض وعلى «تحريك السواكن» وزرع هذه البذرة الطيبة المعطاء حتى يكتسبها كل صيني فكانت المناقشات والاجتماعات المتعددة لقصيدته دليــلا على المضي قــدما في تحسيس أبناء وطنه بهذا الجبار الذي لم يختر أن يتحلى به الا القليل النادر من العباد ان الارادة تحدد نمط الحياة ونمط السلوك وما وجــود الغنى والفقير والذكي العبقري والبليد ذهنيا الا لأن الارادة قد توفرت في الغني والعبقري واختفت أو هدأت في نفس الفقير والبليد .

2 ــ **بعــد النظــر :**

واما بعد النظر فهو يكون بدوره أحــد مقومات نظرة الزعيــم الشاعر فهــذه النقطة تمثل حلقة لابد منها وهي تعني الامتناع عن التوقف عند هدف قريب لا قيمة له بمقارنته بالاهداف المتعددة التي تتولد عنه بعد فترة زمنية قد تطول وقد تقصر . فهي نتيجة لعملية تقييمية تنتج عنها اختيارات . وتتمثل العملية هذه في رسم أهداف ممكنة بعد دراسة الوضع العام والطرق التي يمكــن أن تؤدي الى تحقيق تلك الاهداف المخطط لها بهدوء وثبات . ومن هذا المنطلق نرى « ماوتسي تونج » يرنو الى السماء بعد مرحلة التغيير التي لاحظها وهو يعود الى قريته . ان بعد النظرة يساوي الاستراتيجية .

3 ـ القدرة على الفعل :

اذا عدنا الى القصيدة رأيناها تنتهي بقوله :

لا مستحيل في الكون

لمن يجرؤ على صعود القمم ٠

بهاتين البيتين عبر « ماو » عن القدرة على الفعل ، اننا نعني بالفعل القدرة على النفاذ والتنفيذ ، فالفعل يحول الكلمة ويصنع الاشياء ويوجه التاريخ ويرسم للانسانية الطريق ، وقد يكون الفعل سلبيا فيؤدي الى خراب الكون وافلاس الانسان ، أما اذا كان ايجابيا فعالا فينتج عنه الرقى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وعن أهمية الفعل وقدرته تحدث شعراء تونسيون واستطاعوا الاهتداء الى معرفة منزلته بالنسبة للفرد وللانسانية قاطبة . فقد قال الشاعر أبو القاسم الشابي :

لا ينهض الشعب الا حين يدفعه ٭ عزم الحياة اذا ما استيقظت فيه

ان العزم هو الفعل والحركة نحو الافضل ، وأبو القاسم تحدث عن الشعب الذي خمدت فيه الروح بسبب الخمول الذي أصابه فأقعده فريسة للركود والموت ، فالنهوض يبقى رهين عودة العزم من جديد الى الشعب الذي استسلم الى المستعمر ، فترك له المتاع واختلى بنفس واهنة لا تقدر على الحراك والفعل الذي يخلص المستضعفين ٠ وذلك ما يعنيه بوضوح في قصيدة «ارادة الحياة» حين قال :

ومن لا يحب صعود الجبال ٭ يعش أبد الدهر بين الحفر

وقال أيضا شاعر الفعل الصادق شرف في قصيدته (لحبيبتنا الاولى ٠٠ سنغني) وردت في ديوانه « وأجهش بالغضب » ص 60 .

أخطانا القول أيا وطني ..
فارددنا لصواب الفعل فان القول
بلا فعل يبقى مشلولا
أخطانا القول طويلا ..
أخطانا الفعل طويلا ٠٠ أطول

كنا الفاعل هل نغدو المفعولا ؟

وقال أيضا فى قصيدة بعنوان « شاعر .. والفعل أعشقه » (4)

آمنت بالفعل عشقا يرفض القولا والمؤمنون ـ نعم ـ بالرفض هم أولى
العقل حق ، وكم يقوى ! اذا التحمت به الفعال لنا قد يركع الاعلى

أما فى قصيدته « نحن الموكب .. لو نتحرك » (5) التى كتبها بتاريخ 4 / 2 / 1969 فالدعوة الى « الفعل » عنيفة اللهجة .. تستقى الحجة من التاريخ ضد الدين يتحرقون الى عزة الموكب العربى والمجد الحضارى ولكن فى سكون قاتل ، فلنستمع اليه يقول :

موكب نحن .. ولكن «هلاكو» ساكن فينا .. الا ويح المساكن !
كم تحرقنا من الداخل والخارج لكن ..!
لم نحرك أى ساكن !
لو تحركنا لحركنا السواكن ...
شنقنا الزمن المسبوه فى كل الأماكن .

وتجدر الاشارة هنا الى المحاضرة التى القيتها فى « مهرجان الشعر العربى الحديث فى دورته السادسة بالجريد » وعنوانها : « فلسفة الفعل فى شعر الصادق شرف » التى قدمت فيها مسحا للفعل فى شعره .. ولا يمكن أن يكون ذلك المسح شاملا باعتبار ما للفعل من وجود متجذر فى كل دواوينه اذ تكاد لا تخلو أية قصيدة من رائحة الفعل لذلك أسميه :« شاعر الفعل » المؤمن بنفسه المعتد بفعله .

4 ـ الاعتداد بالنفس والايمان بها :

هو عنصر نفسانى يتربى فى الانسان كالخير والشر تماما ، **وهذا العامل** النفسى يزهر فى نفوس الذين عاشوا على نمط اجتماعى راق ، وكذلك فى نفوس الذين اكتسبوا رصيدا ثقافيا وعلميا هاما . **ويبقى هذا العنصر رهين** العناصر الثلاثة التى سبق ذكرها .

---

(4) الفكر : عدد 4 س 30 جانفى 85 ص 134 .
(5) شواطىء العطش ـ ص : 24 .

5 ـ عـدم وجود المستحيـل :

هل يوجد المستحيل أم لا يوجد ؟

ان الاجابة تتطلب معرفة الشخص الذى أنت سائله ٠ فان كان قوى الارادة، بعيد النظر ، قادرا على الفعل مؤمنا به ومعتدا بنفسه فهذا هو الانسان الذى سيجيبك قطعا :

لا مستحيل فى الكون ٠٠

وخلاصة القول فى هذا المجال : ان قصيدة «ماوتسى تونج» تمثل بجلاء ما ينبغى أن يكون عليه الادب الهادف البناء فى الصين . ولو نضع القصيدة فى موضعها التاريخى فاننا سنجدها «ترتبط ـ كما يقول أبو كف» ـ بتـاريخ الكفاح لثورة الصين وتاريخ «المسيرة الكبرى» لها ٠ فالرئيس «ماو» جاء الى منطقة الجبال فى عام 1927 مع أتباعه ، وخاض معهم معركة فاصلة تعرف باسم «معركة «هوانجيا نفجيه» ضد الكومنتانج وهذه المعركة كما يجمع المؤرخون ، كانت من المعارك الفاصلة التى حققت انتصارا فى الحرب الشعبية الصينية».وبعد سنوات طوال يعود الزعيم ماو الى جبال جينجقانج فى 1965 فيجد ما عبر عنه فى قصيدته من تغيير . ومن خلال قرية معينة يمكن سحب هذه الصورة على كل شبر فى الصين لان ما حدث فى هذه القرية هو رمز لما حدث من تغيير وتطور فى الصين .

2 ـ قصيدة : « حوار بين طائرين » .

يقول الزعيم «ماوتسى تونج » فيها :

نشـر الرخ جناحيـه
فارتفـع تسعين ألف « لى »
مفجـرا اعصارا هائـلا
نظر الى تحت يحمل السماء الزرقاء فوق ظهره
الأسـوار فى كل مكان فى الدنيـا
نيران المدافع تمـزق السماء
والقنابـل تدك الارض
من الخوف تسمر « دورى » فى أيكتـه
« يـا ويـلى !

آه .. على أن أطير بعيـدا »
أسالـك : أيـن تذهب ؟
أجاب « الدورى » :
« الى قصر المرمر فى جبل الجن
الا تعلم أن معاهدة ثلاثية قد عقدت قبل سنتين
فى الخريف المقمر الوضـاء
هنـاك أيضا الطعام الوفيـر
البطاطس المقلية
مع العجـل المحمـر » .
« كفـاك هـراء !
انظرا .. ان العالم ينقلب رأسا على عقب » .

وكما هو واضح فطائر الرخ يرمز الى المسيرة الكبرى للصين التى استطاعت أن تزيل كل العقبات وكل الذين وقفوا فى طريقها « فالدورى » طائر فى الصين ترتعد فرائصه رعبا حين ينشر الرخ جناحيه · ونلاحظ أن الرئيس الشاعر يستعمل أسماء مألوفة فى الصين «كقصر المرمر» و «جبل الجن» و «الـرخ» و « الدورى » . وبذلك يكون من الواضح أن الفكر الصينى يستخدم كل ما هو متاح من التراث . وأخيرا نورد رأى أحمد أبوكـف فى هـذه الحركة الفكريـة النشيطة فى الصين : « والواقع أن التجربة الصينية الفكرية فى حاجة الى القاء الاضواء ، وهى تجربة تشمل فضلا على الادب والرواية والمسرح والسنما ، كل وسائل الاتصال فى هذه القارة الهائلة ·· وداخل ذلك الانفجار السكانى الرهيـب » .

★ ★ ★

وخلاصة القول : انه لا حضارة لقوم لا يؤمنون «بالفعل» ، ولا فعـل بلا تربية ، ولا تربية بلا تخطيط ، ولا عزة لقوم فى غياب الفعل وصولة القول ·

إن الوطن العربى فى حاجة أكيدة اليوم الى زرع بذرة « الفعل » ـ بفضـل التربية ـ فى نفوس الجيل القادم حتى يقدر على التصدى لمحاولات الامتصاص والتضبيع . فالقول وحده أفقد العالم العربى مصداقيته ولا مناص من البحث عن التوازن حتى يثبت التوازن فى عالم يأكل القوى فيه الضعيف .

خميس جاء بالله

الأزمنة الأولى

فصل من رواية : حاتم النفاطي

استقامتك لا تهمنى ...
كونى جميلة وكونى حزينة وكفى
فان الدموع تزيد فى بهجة المحيا
كما يزن النهر منظر الطبيعة
وكما تزيد العاصفة فى بهجة الزهور
أحبك ... خاصة ... حين يفر الفرح
من جبينك المحطم
ويغرق قلبك فى الفظاعة

بـودلار

فتح عينيه على أسوار الخداع والموت وتورد رحيقه من فرط آلامه .

على سريره الشوكى كان مستلقيا وابهام يده اليسرى فى فمه يغترف من رحيقه علقمه ويشرع فى الامتصاص حتى ينسل من ابهامه المسكر فيسقط فى غيبـوبته .

ويبدأ فى سرد متاهاته . ذاكرته هى المخزون المتحرك يشدها ويجذ بهـا ساعة الامتصاص ... كل شىء فيه يوحى بالحبر والكشـف ... هـو بعـلامة النبوءة المتقاطرة من عينيه ... هو بمسحة الزهد المنتشرة على محياه . الحبر عنده والكشف من عمق عمقه يخرج ساعات امتصاص العضة .

تململ ـ شفاف ـ على شوك سريره واستقام رأسه على الوسادة ، امتص ابهامه بعنف فيضاني ۰۰۰. وطفرت عيناه دمعا سقى شوك السرير ۰ كان لا يسمع فى تلك الليلة ، وككل ليلة ، غير طقطقة ابهامه ونحيبه ۰

اشعل سجارته ونادى ثلاثا فى ظلمة الليل : أيتها الفاجرة ۰۰۰ يا أيتها الفاجرة۰۰۰يا فاجرة، هيا اخرجي لتوك من ظلمة الليل ومن تجاعيده الميتة۰۰ ابحثى عن ـ نور ـ ، ابحثى عنها فى كل مكان ... أريدها لتوي ... أريدها يا فاجرة .. أتسمعينني ؟. هيا ركبى أجنحتك ، انى على عجلة من أمرى .. هيا طيرى فى الحال ... لا تبطئى ، أنا انتظر ..

وتتراكم السحب على وجه الفاجرة وتمتطى زمنها وتهاجر الى ـ نور ـ تبحث فى كل مخابىء الزمن عن ظفائرها ويتواصل البحث بين الازقة المختنقة موتا ودعارة ... كانت تتهادى فى البحث بين الاسوار فى كثبان أحجارها .. كان الاستقصاء والبحث على أشده ... وتململت الفاجرة نافضة أجنحتها من غبار السفر المتوغل وبانت منها ابتسامة توحى للناظر العطشان بالماء وللعشب اليابس بالاخضرار ... فكرت طويلا قبل أن تنطلق .. حاولت ان ترفض غير أنها خشيت عينيه وشوك سريره وابهامه .

هى .. تذكر جيدا ساعة دنو هامته عند نومه ومداعبتها لقضيبه .. هى .. تذكر جيدا استفاقته وهروبه الى عمق السرير .. كان يمتص العضة وعيناه تصرخان بها : لا ۰ لا تقتربى ۰ انى وهبت نفسى للنور ۰

صرخ ليلتها :

ـ ها هو ابهامي ... ألا ترين ؟!..

وأطردتها عيناه ... وما استطاعت الا الفرار والانصياع للقوة الفائضة من عينيه تجر وراءها بحارا من الخوف والحب عصرتها الذاكرة وجرحتها فى أدغالها ۰۰ مسحت دموعها الفائضة ۰۰ وابتسمت مغمغمة ۰

ـ لا بد أن أجد ـ نور ـ انه ينتظر ...

وعاودتها الابتسامة وهى تقطع دروب الخوف والليل وألقت بنفسها داخل عالمها .

ـ روح الانتظار .. آه .. وآه .. كم عذبته .! الزمن يتحرك ـ شفاف ـ يسامره .. ما مله .. إما سئم غدره وما رضخ لمشيئته .. غلوه وعذبوه بسياط الزمن العلقم ۰ قالو له :

ـ من هنا يجب أن تبدأ .. من هنا يجب أن تبنى ما هـدمته ... من هـذا المكان المعزول ستبدأ ... أرخى رأسه ساعتها وغمغم ممتصا ابهامه .. دمعه كان يسافر كخنجر فى ثدى صبية ... يخترق العين ليحط بين شفتيه ويمتص الابهام ومخلوط الدمع ليقول :

ـ سأبدأ من جديد .. حتى وان وضعوا رأسى فى أعماق النتن ، سأبدأ .. سأبـدأ ...

ـ اعرفه جيداً وأعرف اصراره .. كنت متأكدة . ان عيون الكشف لا تخطىء ولا تسقط فى العمى .. أنا أعرفه وأعرف اصراره .. سوف يصارع الزمن ويأتينا بثوبه منضويا عن جسده .. سيأتينا بالبعث وباليوم الحافل بالسعد وبالفـرح .

سيعرف كيف يخرج ! سيعرف كيف يصارع ـ عزرائيل ـ وأعوانه !..

حين ذبحوا وريده ظنوا ان الفعل لا يمكن أن يجيء منقادا لرغبته ... ظنوا أن الموت سيأكله وان قسم العكس سيعود الى ظهره غارسا فيه أظافره ... لكنه أحكم شد حزامه واستوى على عرش القيادة مقسما : فلي التخطي...وكان له الفعل .. وتخطى .. وما سئم الانتظار .

أتراه يسأم انتظارى ؟!...

وطردت من رأسها كل الهواجس وواصلت طريقها لا تلوى على شىء ، تقلب عينيها فى الظلمة جاعلة منها أنيسة ورفيقة لوحدتها ... وحتى ان خشيت ما يأتيها به سوادها .. فالمهم أنها رفيقتها ويكفيها أن لها رفيقة واحدة فى هذه اللحظة تؤمن لها الطريق ... فالى الآن لم تر من سوادها ما يزعجها وما يزعج أجنحتها .. فلتكن اذن رفيقة الظلمـة ... ألـم يكـن ـ شفـاف ـ حبيـب الظلمـة ؟!.

ورفرفت أجنحتها فى الهواء ناشرة جوابا ضحكت منه حين سماعه :

ـ بل قولى عشيق الظلمة وحبيبها من الازل الى الابد !..

كيف نسيت هذا وكيف أهملت ذاكرتها ضكايات الظلمة ٠٠؟ أهما شيئان لا يمكن فصلهما ؟

أيهما أصوب ـ شفاف ـ أم الظلمة ؟

أيهما أعمق سرا وأخلص عرقا ؟ شفاف ؟ أم الظلمة ؟

اعترفت بصعوبة الحكم وعللت اهمالها بجهلها وقصر عقلها وقلة بحثها وفراغ ذهنها ٠٠ أتراها بسيطة لهذه الدرجة وتافهة كعود ثقاب يكسر بعد الاشعال؟ لم لم تقاومه ولم تغوه ؟!

أترى ـ نور ـ تفوقها قدا وبهجة واجلالا وأنـوارا .. أم .. أنهـا تافهـة بشهادة نفسها ؟

وتحلق فى اجواء الظلمة .. ثم تعود للسير بين الاسوار ... تبحث بكل ما لديها من قوة ٠٠ الافكار والهواجس والبحث والذكرى لعبت بها وحبل الزمن يجذبها فيضطرها البحث الى فتح كل الاقبية وكل الابـواب والنـوافذ ... ـ نور ـ هى غايتها و ـ شفاف ـ أراد هذا فلا مفر من قضائه ومن حكمته . هكذا هو محب للشيء عاشقه ... مجنون لا يعرف ردا للطلب ... رغبته لا بد من اصطياد كنهها .. لو طلب ماء الواق من جزيرة العطش يأتون به فى الحال والا فـ ... (...)

الرغبة تسكنه فى صدر صدره٠٠ فى عمق عمقه٠٠ والويل الويل لمن يخلف رغبته فنهايته تكون على يده .. وتبتسم نافضة جناح الجبر عنها مولولة :

ـ نهايته ستكون فى الرغبة ... فموته فى رغبته ... أعرفه جيدا هكـذا هو ٠٠ انه والله هكذا مجنون بالرغبة ٠

وتظهر فى آخر الزقاق فوانيس ترتقى على سطح الظلمة مباهية بمجدها الليلى جاعلة من نفسها مرشدة لعشاق الليل من خمارين وشعراء ومجانين ٠ ويجيء الصوت المعربد من منعطف الزقاق الجانبى مرددا أغنية العودة :

« يـا خليلـه غنـي

أنـا صـاحبى بعـد الجفـاء بـدلني

يـا عيـن ابكـي

والـزمـن هـالكنـي

يـا عيـن ابكـي
والـزمـن هـالكنـي » (*)

وتنزوى الفاجرة فى ركن من الزقاق مختفية فى أجنحتها طالبة الستر والمعونة.وأصبح بعدها الصوت صدى تردده الاسوار وتشرب روحه الفوانيس وتطمئن الفاجرة وتتنفس من جديد محررة اجنحتهـا من الجسـد ... كانت متأكدة من عدم السقوط فى حبال العربيد المغنى ولكن زمان العهر مجلبـة للغم والتعب .

هى تذكر لما طاردها البوليس خارج الاسوار ... تمزقت سترتهـا عنـد السقوط .. لكنها هربت .. بل أعانوها على الهرب . ثلاث سنين مرت على هذه الحادثة .. الا أن الحدث جر الحدث .. انها محصنة بحصنه وبكشفه .. وما دامت فى خدمته فلا خوف عليها .. تظهر لمن شاءت وتختفى متى شاءت ..

انها مقتنعة بخروجها حتى وان كانت مغلوبة على أمرها ... أرسلها شفاف الى ــ نور ــ فماذا عساها ان تقول ؟ فهى أدرى به ان طلب الشىء فهو أصله وان أمر فبالامر يحيا ... وهى تعرفه !! وتصدمهـا أولى خيـوط البيـاض ونسماته ... الفجر باتت أولى أنواره فالى متى ستظل تبحث ؟...

ــ على عجلة من أمرى أنا .. هيا طيري .. لا تبطئى .. أنا أنتظر ...

خطير أمره على ما يبدو فكلماته لا تزال ترن فى أذنيها بنبرات متشنجـة أوتارها نشاز ...

فما الامر يا ترى ؟ ــ نور ــ يريدها على عجل ؟!

وتتجه مسرعة فى الفضاء الرحب تستنشق نغمات الفجر وأغانيه ، تحكم مراقبة الممرات باحثة عن ــ نور ــ أصل تواجدها وانطلقت أبواب الاســوار لافظة دفعاتها البشرية الاولى ..

= يا فتاح يا رزاق يا كريم ... يجر عربته ويمضى .

(*) أغنية شعبية قيروانية (بتصرف) .

= آه .. آه .. آه .. يسعل من صدر صدره : ــ يا صاحبي ليلتنا طالت البارحة ، فكأني لم أشرب منذ سنوات ... ويواصلان السير .

* * *

= هيا يا بنات ، السيدة ــ مريم ــ أوصتني البارحة أن نأتي باكرا هذا اليوم ... فالزربية على وشك الانتهاء وعرس ــ هدى ــ على الابواب ...

وتدافع الناس .. فكرة .. فكرة .. أنموذجا .. وكأن الانوار أطردتهم بسياطها ... فمع كل شعاع دفعة جديدة ... الى أن امتلات الازقة والشوارع وتوالت الحركة تتلوها الحركة .. والصوت يتلوه الصوت .. والفاجرة تراقب كل ما يجرى باحثة عن ــ نور ــ .

وتتركز المراقبة ويشتد الحصار ... وتتتابع الوفود والفاجرة ترقب .. وترقب .. وتتساءل ..

ــ ماذا هناك يا ترى ؟ انها لم تأت الى .. هذه الساعة ؟!.. ليس من عادتها أن تتأخر .. هل قابلها في أول الطريق فقطعه عليها ؟!..

وتدير رأسها متأملة السماء ... فاذا الزرقة قد عمها الصفاء والبهجة والنقاء ... فينشرح صدرها وتنفض الاجنحة من عذاب سهر الامس وتعيد الطيران بسرعة مذهلة ... الاشعة الفضية تكتسح الطريق والضفائر عارقة في التيه والعجب والسماء تزغرد والنشوة تزهو من عينيها الفائضتين في (...) وتعبر الطريق مستقيمة الرأس تناجي السماء قاصدة عملها .

ويأتي الفرح ...

ــ نور .. نور .. يا صباح الخير والياسمين .

وتعيرها التفاتة لتلقى نظرة عليها وتنفرج شفتاها الورديتان :

ــ صبــاح الخيــر ...

وتواصل سيرها رافعة رأسها كان لم يكن ما كان ... فكأن البحث وأصوله والغامه ولياليه ووجعه تسقط في بئر النسيان ... وتطير الفاجرة ...

حـاتم النقـاطي

الموسيقى والتربية في الوطن العربي

بقلم: د. محمود قطاط

للموسيقى خاصيات تنفرد بها عن سائر الفنون الاخرى فهي لكونها فنا ولغة وعلما ، اقدم الفنون التي عرفها الانسان وان لم يكن هو صانعها كغيرها من الفنون، اذ نبهته الطبيعة اليها فاهتدى إليها وخاض فيخصائصهاعنطريق التقليد والمحاكاة .. فهي في مفهومها الوجداني ثم الفني قد واكبت نمو الانسان على مر العصور في تدرج مسترسل يتماشى مع نضج تفكيره وتطور احساسه بالجمال وادراكه الى حسن استغلال وتطويع ما يحيط به الكون من مواد وامكانيات .

فالموسيقى كتعبير حي عن المشاعر ، كان لها على الدوام مكانة مرموقة تتنوع أهميتها حسب تنوع الحضارات واختلاف الشعوب ،فنجدها منذ العصور الغابرة وحتى يومنا هذا لدى بعض المجتمعات تكتسى طابعا سحريا وطقوسيا جعلها تندمج اندماجا كليا في المعتقدات والعادات والتقاليد وهي على حد قول الفيلسوف الصيني كونفشيوس : « مرآة الحضارة عند الشعوب » .

ولقد تفطنت الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين ومصر والصين والهند واليونان وغيرها ، الى ما تتمتع به الموسيقى من قدرة فائقة على التعبير والتأثير على النفس والجسم ، فاستخدمتها في طقوسها الدينية واحتفالاتها التعبدية كوسيلة للارتفاع بالنفس الى اسمى الآفاق ··· واعتبرتها أداة أساسية من أدوات التربية قبل ان تكون فنا جميلا يبتغى لذاته ·

ولأهمية وخطورة الدور الذى تلعبه الموسيقى في تكوين الشخصية المتزنة المتناسقة وكذلك في تنمية ملكة الخلق والابتكار ، نجد ان اغلب هذه الحضارات قد جعلت للدولة حق الاشراف على كيفية استعمال هذا الفن والتعامل معه

وذلك بضبط قوانينه وتحديد اهدافه ... وها هو افلاطون يؤكد بأنه « اذا كانت الموسيقى هى الوسيلة التربوية الوحيدة الاكثر فائدة فمعنى ذلك ان الايقاع والتوافق يملكان القدرة العظيمة على تغذية الروح ، والعروج بها الى عالم الجمال ، شريطة ان تسلك التربية سيرها الطبيعى ، والا حصل النقيض»

هكذا ، فان التاريخ يقدم لنا نماذج حقيقية تجسد لنا تلك الحقائق .. وهو يزخر باسماء العلماء والفلاسفة الذين ساهموا منذ أقدم الازمنة وحتى عصرنا الحديث ، فى صياغة وتطوير نظريات الموسيقى الى جانب اسهامهم فى تطور العلوم الطبيعية والاجتماعية من أمثال : فيثاغورس ، وأقليدس ، والكندى ، والفارابى ، وابن سينا وغيرهم كثير ... بل ان اشهر عباقرة الرياضيات فى القرن العشرين « البرت اينشتين » كان عازفا ممتازا على آلة الكمان ... وهكذا فاننا نجد الموسيقى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلوم الطبيعية والاجتماعية ممتزجة ومتفاعلة مع احدث تطورات العلوم والتكناوجيا وهى فى نمو متواصل ومتكامل مع كل جديد فى فلسفة التربية ومناهج التعليم وعلوم الجمال والنفس والاجتماع وغيرها .. بل ونراها تقتحم باستحقاق ميادين العلاج النفسى والعضوى ونحن نعلم انها كانت ضمن الحكمة الرباعية / Quadrivium الى جانب الهندسة والحسابيات وعلم الفلك ..

واستنادا على تاريخ الحركة التربوية بصفة عامة . وان كان الجانب الموسيقى منها لم يحظ بعد بدراسة شاملة ومتعمقة يمكننا الاستدلال بشواهد عديدة تخص أعمال الكثير من المفكرين والمربين الذين اعتنوا بالتربية الموسيقية واستنبطوا لها المناهج واهتموا بالبحث فى أنواع الموسيقى المناسبة للتربية فى المراحل المختلفة ، واتاحة الفرصة لكل طفل لممارسة التعبير الذاتى بالاصوات والايقاعات الموسيقية ، وباستخدام انواع معينة من الغناء مع الحرص على تبسيط طرق التعليم حتى يستفيد النشء وتحصل الفائدة المرجوة التى هى تنمية المواهب والملكات الذهنية والجسمية والروحية بشكل منسجم متكامل .

والجدير بالاشارة اننا نجد لدى مختلف الحضارات تركيزا واضحا على الطريقة الشفوية والتطبيقية حيث التقليد والذاكرة يلعبان دورا أساسيا كما نلاحظ أن الصوت البشرى يشكل أهمية بالغة وبصورة خاصة داخل المجموعة أو الكورس ويؤكد بعض الفلاسفة « ان الذى لا يستطيع اثبات مكانته / صوته داخل المجموعة فهو عديم التربية فاسد المزاج » (افلاطون : **قوانين** ، ج 2 ، ص 654) .

وبالرغم من تعددها فان مختلف المناهج والطرق الموسيقية تؤكد على ضرورة الابتداء بدراسة الموسيقى عن طريق التدريب الصوتي والسمعي .. وعلى ان لا يتلقى الطفل مبادىء النظريات والترقيم الا بعد هذا التمهيد الحسي الطويل، اذ هي معلومات يجب ان تستمد تدريجيا من التطبيق .

وهذه الآراء بقيت منتشرة حتى بعد ان وقع اكتشاف الطباعة من قبل ڤوتنبرڤ (النصف الثاني من القرن الخامس عشر) ثم الطباعة الموسيقية من قبل الايطالي بتروسي بالبندقية سنة 1490 ، غير انه سرعان ما انتشرت النصوص الموسيقية والكتب النظرية ومصنفات الصولفاج ، الامر الذي جعل التطبيق الشفوي يفسح المجال شيئا فشيئا الى استعمال الكتابة خاصة بعد ارساء النظام التونالي بسلمه المعدل وأسلوبه البوليفوني ثم الهارموني في القرن السابع عشر واليوم نجد العديد من المختصين في التربية الموسيقية ينصحون بالرجوع الى الطريقة الاولى بل ومنهم من استنبط مناهج حديثة تعتمد أساسا على معطيات هذه الطريقة الحية .

***

والموسيقى العربية تعتمد أساسا على هذه الطريقة فكان العرب من قديم الزمان يولون اهتماما بالغا بالتعليم الموسيقي وكان المختصون يرون بأن لا يتعاطى هذا الفن الا من توفرت لديه موهبة فطرية وقدرة حقيقية على الخوض في مجالاته .. ذلك لان الموسيقى يقول لنا احمد بن الطيب السرخسي (يعرف بتلميذ الكندي) ت 285هـ/899م (كمال ادب الغناء، ص 21) وكذلك الفارابي « ليست الموسيقى من الصناعات التي اذا طلبها الانسان امكنه معرفتها ، وان عني به معلم حاذق في تفهيمه اياها أو كثر استماعه لها من المتقدمين فيها ، لانها تحتاج الى قوة في النفس قابلة لها وطبع سلس القياد فيها وسرعة لقن بما يمر منها ولطف تحصيل لغامض اجزائها ونسب مقاديرها في أوضاع نغمها وشدودها وازمنة ايقاعها ، وليس يغني التعليم فيها دون الطبع ولا الطبع دون التعليم ، فاذا اجتمعت لمن رامها طبيعة محمودة وقوة قابلة ومعلم حاذق ومران دائم وفراغ متصل وشهوة تامة فقل ما يكدى ، فان نقص من هذه الاسباب شيء دخل عليه من النقص بقدره ... »

ويقول الحسن الكاتب : « يجب ان يختار لتعليم الصناعة أكمل الناس فيها ، وقل ما يوجد من يكون مضطلعا بها مطبوعا فيها بين الصوت حسنة يخرج النغم من حلقه غير ناقصه ولا منقطعه ولا مستبشعه ، قد لقي الحذاق

واخذ عنهم وعرف مذاهبهم وانماطهم وقطع أكثر أوقاته معهم ، غير صغير السن ، فان الصغير السن لا يرجع اليه فى شىء منها لعمارته وانه لم يثبت على حال واحدة ، انما ينتقل من شىء الى شىء ومن مذهب الى مذهب ، فلا يدرى فيها الصواب بالكلية ، وقل ما يوجد عنده كثير فائدة ، واحرى به ان يؤدى تأدية صحيحة ان كان له معلم حاذق وطبع تام » .

ومن ناحية أخرى سئل ابن سريج عن الخطأ والصواب فى الغناء فأجاب : « اذا كان المغنى يشبع اللحون ويملأ الانفاس ويعدل الاوزان ويقيم الاعراب ويستوفى النغم الطوال ويحسن النغم القصار ويصيب مع ذلك اجناس الايقاعات فذلك هو المصيب » (الاغانى) .

كما يؤكد الحسن الكاتب كذلك فى حديثه عن أهمية الاستاذ بأنه يجب على هذا الاخير ان يصيب فى اختيار الاغانى التى تتماشى مع المساحة الصوتية للتلميذ وامكانية ادائه ذلك لان اساءة الاختيار من شأنها ان تنال من صوت المبتدىء ... والاستاذ يعد قدوة فى نظر التلميذ يعتمدها ويجتهد فى تقليدها. لذلك فهو يستفيد من مزاياها كما يرث من اخطائها اذا ما وجدت .

ومن اعتناء العرب بالتعليم الموسيقى نشير هنا الى المنهجية الرائدة التى استنبطها الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب (القرن الثالث هجرى / التاسع الميلادى) فى اختيار تلاميذه واختيار قدراتهم الموسيقية :

« وكان زرياب ـ يقول لنا المقرى فى **نفح الطيب** ـ اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه ، أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة ، وان يشد صوته جيدا اذا كان قوى الصوت،فان لينه أمره ان يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوى الصوت ، ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج على الفم ، فان كان ألص الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه ، أو كانت عادته زم اسنانه عند النطق ، راضه بان يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه ، وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره أن يصيح باقوى صوته : يا حجام ، أو يصيح : آه ، ويمد بها صوته ، فان سمع صوته بهما صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف ان سوف ينجب وأشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده » (المقرى : **نفح الطيب** : ج 5 ، ص 120 ـ 129) .

كما نرى ، فان الاهتمام بالتربية الموسيقية وباختيار عناصرها وبطرق تبليغها عرف اتجاهات ومحاولات عديدة .

وكم نحن فى حاجة الى دراسة تحليلية شاملة تعتمد المقارنة بين مختلف الاساليب المستنبطة فمثل هذه الدراسة ستساعدنا بلا شك ، على تحديد اختياراتنا البيداغوجية فى هذا العصر الذى تشعبت فيه المسائل وتنوعت فيه الوسائل .

وبايجاز ساحاول ان اتطرق الى بعض العراقيل التى ما انفكت تكبل تعليمنا الموسيقى وحتى لا ادخل فى فخ التكرار سوف لا أتوقف عند المسائل التى طالما تعرضت اليها دراسات ومناقشات سابقة تبعتها توصيات وقرارات عديدة بقى انجازها مع الاسف سجين النظريات والتعليمات الايديولوجية ورهين الضغوطات الاقتصادية والاجتماعية .. ذلك لان موضوع التربية الموسيقية موضوع أساسى وخطير بالدرجة الاولى ، وهو ما برح يشغل اهتمامات العديد من المختصين والعاملين فى القطاع الموسيقى فى مختلف اقطار العالم .

فى اعتقادى ان المسألة مرتبطة أساسا بتوضيح الاتجاه الموسيقى الذى نريده لانفسنا ، أى هل اننا مصممون على ان تكون لنا ذاتية ثقافية وهى الظاهرة الاساسية للذاتية القومية ، أو هل اننا نفضل ان نصبح فى يوم ما نكرة من النكرات نعيش على التبعية والذوبان فى شخصية الغير ...؟ واختيارى يتجه بطبيعة الحال الى الاتجاه الاول ، وهذا الاختيار ليس وليد العاطفة او التعصب بل هو نتيجة حقيقة موضوعية مختلفة الاوجه ، أخص منها المادة الموسيقية ذاتها .. فانه على عكس الاعتقاد الشائع ، فان الموسيقى ليست لغة عالمية ، انما لغات مختلفة ، واذا كانت من حيث أساسها واحدة فى كل مكان باعتبار كونها تنسيقا للاصوات بصورة محببة للاذان وانها — من حيث أصولها — مرتبطة بمعتقدات الانسان وطباعه .. وهى لغة الروح والمشاعر والخواطر.. فانها بالنظر الى شكلها، تنقسم الى عدة لغات متباينة فى تقنياتها وفى مفاهيمها الجمالية . واستنادا على ذلك تطلق احكام خاطئة بشأن هذه الموسيقى أو تلك يصدرها المستمع بحسب تقاليده ، ذلك لان الاستماع يستند الى العادات والحكم يقوم على مقاييس وعلى قواعد مألوفة ضمن نمط معين من التقاليد .. وتختلف شتى هذه الاستنادات والمراجع الى حد كبير بحسب اللغات الموسيقية اذ ان لكل واحدة منها أدوات تستخدم ومميزات تكون تعبيرا

عن عبقرية وخصوصية كل شعب متناسبة فى ذلك مع حاجاته الحقيقة وراسخة تتحدى الزمن .

واذا ما تركنا جانبا الخاصيات المحلية المتعلقة بكيفية الاداء (الصوتى أو الآلى) يمكن لنا تحديد خريطة للعالم طبقا لجهات كبرى نجد داخلها لغة موسيقية مشتركة بين عدة تقاليد موسيقية ، وفى حدود هذه المساحات يستطيع الفنان التقليدى ان يعبر اعتمادا على لهجته الموسيقية الخاصة ويلقى تعبيره هذا اقبالا غير محدود . وهذا امر واضح مثلا ، فى الموسيقى العربية فهى تعبر فى نفس الوقت على وجود وحدة قومية تشمل كل الاقطار العربية ، كما تؤكد فى نفس الآن على أهمية تقاليد محلية وحتى جهوية خاصة بكل بلد على حدة ، ذلك ان الاساليب المحلية ترتبط ـ بالرغم من ايناعها داخل حدود ضيقة ـ بأصل ايديولوجى حضرى مشترك اوسع منها بكثير ٠

هكذا ، فان كل مساحة موسيقية كبرى تسبح فى عالم « نغمى ـ ايقاعى » خاص تخضع فيه بنياته الداخلية الفضائية منها والزمنية الى مجموعة من القوانين التى تفرضها التقاليد والذوق كما يفرضها كل ما تفرزه اللهجات والاصوات المقترنة بعبقرية كل مجموعة اجتماعية .

لهذه الاسباب فانه قبل التفكير فى أى تخطيط بيداغوجى او تطوير تطبيقى يجدر بنا ان ندرك بصورة عميقة جميع الخصائص المتعلقة بالمساحة الموسيقية التى ننتمى اليها ، وهى خاصيات تكمن فى المادة الموسيقية ذاتها : السلم الموسيقى ، الابعاد ، صحة أو نسبة الصوت، المقامات، الزخارف، وحدة اللحن أو تعدده ، تنظيم الايقاعات ، أشكال التلحين ، تقنيات الآداء الصوتى والآلى ، التأويل الصادق أو الارتجال ، التبليغ الشفوى او المكتوب ، الآلات الموسيقية، الوظيفة الاجتماعية ، الاعتبارات العقائدية والجمالية ... الخ .

واذا كان من المحبذ ان نلم بالتقاليد الاخرى المقترنة بالمساحات الكبرى التى ننتمى اليها وذلك من أجل تصور شمولى متكامل للمادة الموسيقية التى نعتمدها ، فمن المفروض علينا كذلك ان ننحو هذا النحو كلما اردنا الاستلهام من خاصيات ومناهج لغة موسيقية تنتمى الى مساحة اخرى٠ وهو امر لا مندوحة عنه سواء من حيث المحافظة على الطابع القومى لموسيقانا او من حيث اثراء هذا الطابع وتطويره مع الحرص على أن نترك جانبا كل العناصر غير الملائمة التى قد تشوه وتلحق بها الشوائب . وانه لمن المعروف ان الموسيقى العربية تنتمى الى

المساحة الكبرى المسماة بالاسرة المقامية والتى تعتمد على التراث الشفوى وهى تشمل التقاليد الموسيقية الموجودة فى كل العالم العربى وفى آسيا الوسطى (الهند وباكستان وسيلان والنيبال وايران وافغانستان والجمهوريات الاشتراكية السوفياتية) وكذلك فى تركيا وشرق اليونان وفى جزء من يوغسلافيا وخاصة منطقة بوسنى وفى بلاد القوقاز حتى اذربيجان في الاتحاد السوفياتى .. كما يمكن اضافة موسيقى عدد من الجهات الاسلامية بجنوب صحراء افريقيا . ذلك مما يمنعنا من ان نعتبر او نقيم الموسيقى العربية من زاوية الاعتبارات الجمالية واللغوية الخاصة بالموسيقى الغربية التى تخضع الى قواعد ومقاييس تختلف تمام الاختلاف .

فاذا كانت الموسيقى الغربية تقوم على النظام التونالى والسلم الثابت والكتابة التوافقية العمودية باستعمال مقامى الكبير والصغير والنظام الايقاعى التناظرى ... الخ . فان الموسيقى العربية تعتمد على النظام المقامى ـ الشفوى الذى من خاصياته المقام وهو بايجاز :

ـ ★ مصطلح يدل فى نفس الوقت على سلم موسيقى خاص له مميزاته وعلاقاته السيكلوجية ـ الفزيلوجية التى يؤثر بها على المخلوقات عامة والانسان خاصة حسب كل مقام وهو ما لا يمكن مقارنته بالمفهوم الغربى للسلم الذى هو عبارة عن تعدد درجات تنطلق من درجة الاساس الى جوابها وفى هذا الاطار تكتسى الدرجات اهمية متباينة حسب دورها داخل المركبات التوافقية وقواعد الكتابة التوافقية المقامة أساسا على السلم المعدل او الثابت ، بينما درجات السلم فى الموسيقى العربية تعود فيزائيا الى النمط المسمى «فيثاغورى» (وان كان اقدم من فيثاغورس بكثير) وهو مستخرج من التسلسل الناتج عن دائرة الخامات لـذلك فهـو السلم اللحنى (الميلـودى) المتميز يتـركب أساسا من خلايا أو عقود (اثنين فأكثر يكون واحد منهم الاساس) تتراوح مسافتها من الثلاثية الى الخماسية وتكون اما متصلة واما منفصلة ببعد طنينى كما تستعمل هذه المقامات نوع السلالم القائم على تسلسل العقود أو على النوع الخماسى أو على الاثنين معا .

ـ ★ امكانية اختلاف بعض درجات السلم عند النـزول على ما هى عليه فى الصعـود .

ـ ★ أهمية العلاقة الكائنة بين الدرجات وتحديد اهميتها منها :

• درجة القرار وهى المحور الاساسى الذى يحوم حوله ويبنى على أساسه سير اللحن وهى تبرز فى كل القفلات وتعطى احيانا اسمها للمقام المرتكز عليهـا .

• المراكز أو الغمازات وهى تتغير حسب نوعية العقود المكونة للمقام .

• المبدأ أو المدخل : وهى ذات أهميـة فى ابتداء الحـركة اللحنيـة هـذا بالاضافة الى كل القواعد القائلة بتجنب بعض الدرجات او الالحاح فى ابـراز البعض الآخر ·· وهو ما يختلف من مقام الى آخر ويفرز بين مقامات لها نفس الدرجات والسلم .

- ★ كل مقام يتميز بجمل لحنية وأحيانا لحنية - ايقاعية هى بمثابة طابع المقام وبصماته الخاصة وتسمى «روح المقام / الخانات» ·

- ★ لكل مقام قدرة تعبيرية وتاثيرية خاصة . وهذا من العناصر التى بدأت تضمحل رغم اهميتها حيث نجدها مثلا القاعدة الاساسية لشجرة الطبوع فى النوبة المغربية ·

- ★ من المميزات الاخرى نذكر الزخارف الخاصة التى تشكـل - مثـل الارتجال - ظاهرة حيوية وابداعية هائلة فى الموسيقى المقامية .. هذا باضافة التقنيات الصوتية والآلية والتلوينات المقامية والايقاعية ··· الخ ·

نتعرض بايجاز لبعض هذه النقاط كى نبين بان المسالة ليست بالهينة··ولا يحق علينا ان نرمى بكل هذه المميزات الاساسية عـرض الحـائط ونسـلك الطريق السهل ونقتبس لغة وأساليب الغير دون دراية واضحة او دراسة وتنقيب متعمق وجاد ... خاصة وان كل ما نحن بصـدد اقتبـاسه مـن آلات وعناصر موسيقية هى بالنسبة للغرب حصيلة تطور منطقى متكامل يخضع الى واقع لغة موسيقية معينة وتقاليد اجتماعية وتيارات اديولوجية مختلفة ·· ثم ان الموسيقيين الغربيين انفسهم اصبحوا يؤمنون بأن النظام التونـالى بكـل مـا يحتويه من عناصر التقييد (من درجات سلمـه وحـدات ايقـاعه وطـريقة ترقيمه ...) يحتوى على عوامل انحلاله . لقد لاح هذا النظام فى عهد مؤلفى البوليفونية الايطاليين فى القرن السادس عشر ، ثم ركزه وحـدده نظريـا « رامـو» و « جان سبستيان باخ » وبلغ اوجه فى عهد كبار منتزعى النزعة الكلاسيكة « هايدن » و « موزارت » و « بيتهوفن » قبل ان ينحل فى عهـد

بيتهوفن نفسه وخاصة فى عهد فاغنر وليست وديبوسى .. وكما يقول الملحن الفرنسى « جلبار آمى » : لم يعد اى عالم نظرى يستطيع ان يدعى اليوم ان النظام التونالى الثابت ينطوى على عناصر تجديده . وما التيارات التى ما فتئت تبرز الى الوجود منذ القرن التاسع عشر من «لاتونالية»، «دوديكافونية» ، « سريالية » ، « طبيعية » ، « الكترونية » ، « الكتروكوستيكية » .. وكذلك مختلف انواع «الجاز» و «البوب» . الخ ، الا دليل قاطع على ذلك .. هذا مع العلم ان من الامور التى ما زالت لا تسمح من التخلى على السلم المعدل وهى الضغوطات التجارية والاقتصادية المتمثلة فى وجود عدد غفير من المؤسسات التى صنعت وما زالت تصنع الآلاف من الآلات الثابتة وهو ما يسبب خسارة مادية وتشغيلية جسيمة اذا ما تخلى على هذه الآلات . كما انه ليس من صالح الغرب ان يتخلى عن انجح وسيلة تمكنه يوما بعد يوم من توسيع هيمنته الثقافية والتجارية وفرض بضاعته الموسيقية على اغلب مناطق المعمورة باسم التقدم والتعصر .. ألم تصبح موسيقاه وبالتالى ثقافته عملة عالمية .؟

هكذا ، فى الوقت الذى يسعى فيه الموسيقى الغربى ــ وقد اقتنع منذ زمن طويل بعدم نفاذ هذا النظام ــ الى تطوير موسيقاه من حيث اشكالها واسلوبها وانماطها التعبيرية وعناصرها اللغوية ، نرى الفنان العربى فى أغلب الحالات مرتميا أكثر فأكثر فى احضان موسيقى « متغربة » .. ومنساقا الى نظام وأساليب اخنى عليها الدهر..متناسيا ــ اذا لم يكن جاهلا ــ ما يوجد بين يديه من مادة موسيقية زاخرة لا ينقصها الا الاعتناء الذكى والقدرة الفنية والعلمية اللازمة .. فبهذا الموقف الازدواجى المتمثل فى التشبث بالوطنية فى المجال السياسى والتنكر لها فى المجال الثقافى ، اننا بصدد تنفيذ الخطة الاستعمارية الاوربية الهادفة الى استعمار البلاد العربية ثقافيا بعد ان فشلت سياسيا وان خطر الاول لافدح من الثانى اذ انه ينفذ مباشرة الى ذات العربى وكيانه وروحه .. ولا مناص لنا من الوقوع فى شباك هذا التخطيط الشيطانى الا اذا اقتنعنا بأن التقدم لا يعنى التبعية واجتهدنا فى كيفية استغلال المكتسبات المنهجية والتكنلوجية المعاصرة والعمل على تطويع ما يصلح منها لتحقيق اهدافنا الثقافية والحضارية فى كنف الاصالة .. لكل هذه الاسباب تكتسى التربية والثقافة بصورة عامة فى وطننا العربى أهمية بالغة ولنبقى فى التربية الموسيقية ، نشير بانه قد اصبح من الواضح بأن الطرق التى تستعملها التربية الموسيقية الكلاسيكية فى الغرب لم تعد ملائمة حتى للموسيقى الغربية ذاتها..

وقد بحكم التجارب قد اتضح لحد الآن انها تلحق فادح الضرر بالتقاليد الموسيقية الغير الاوربية . وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال تجارب حدثت فى مجال علم ، النفس الحديث ومن خلال الدراسات التى شملت وظائف الدماغ والذاكرة وهو ما ادخل ثورة على تعليم اللغات .

فعلا ، فان كانت هذه الطرق لم تعد تناسب الموسيقى الغربية نفسها القائمة على التقاليد المكتوبة (التى تطلب التطبيق الحرفى لما كتب حسب التقريب اعتمادا على ذاكرة ذات اتجاه واحد غير مدمجة ضمن نظام ثابت ودقيق) . فكيف يمكن لها اذن ، ان تناسب موسيقى شفوية التقاليد (تقوم على ذاكرة متعددة الاتجاهات ومدمجة تبعا لعادات متأصلة ضمن نظام حى وذات صيغ متعددة ومبادىء وفنيات جربت طويلا وهى مزيج بين المقدرة المكتسبة والابداع وبين الارتجال والتأليف) ... لذلك نرى الطريقة التقليدية للموسيقى المقامية تتجه مباشرة من المعلم الى المتعلم ويبذل هذا الاخير مجهودا يتضاعف تدريجيا لفهم وهضم العمل الفنى فى اكمل شكله ويأنس بذلك لقواعد اللغةويكتسب فى نفس الآن ذوقا واحساسا وقدرة على الابداع ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بالاستماع الى فنان حقيقى والسير على منواله ولا بتلقى دروس جافة من معلم مدرسة .. كما لا يمكن ان يصبح المرء شاعرا بمجرد درسه لعلم العروض ومعرفته لبحور الشعر . وهنا تأتى التفرقة بين التربية الموسيقية التى تهدف الى تكوين فنانين مبدعين داخل المعاهد المختصة والتربية الموسيقية التى تهدف الى التثقيف والتوعية الموسيقية ضمن التكوين العام .

ولا غرابة فى ان عظماء من تدارسوا الموسيقى من الاقدمين عندنا امثال الكندى والفارابى واخوان الصفا ، وابن سينا .. وغيرهم كثير .. قد تجنبوا عمدا وضع ترقيم مدقق وجاف يكون بمثابة تحنيط لفن روحى وحيوى كالموسيقى ، حيث يلعب الارتجال والابداع والذاكرة وسعة الخيال دورا أساسيًا وهو ما يتطلب من الموسيقى الاصولى الكثير من الوقت والمثابرة والصبر اذ ان الغناء والعزف والنظرّيات والتحليل وبالتالى الابداع فى الارتجال والتلحين ، كلها عناصر تتماشى مع بعض ويستمد بعضها من بعض .

هذا وان نظريات التعليم النشيط المحدث من قبل بعض أهل الاختصاص بالغرب أمثال : « سلطان كوداى » ، و « كارل أورف » و « موريس مارتنو » وغيرهم ما هى فى واقع الامر الا محاولة محتشمة اذا ما قارناها بالطريقة التقليدية الشفوية المباشرة فى الموسيقى المقامية .

المشكل الوحيد يكمن فى ان مشاغل هذا العصر الذى نعيشـه يصعب ان تطبق فيه مثل هذه الطريقة اذ انها تتطلب تعايشا يكاد يكون مستمـرا بين المعلم والمتعلم لذلك فاننا نرى انه من الضرورى الوصول الى حل وسط بين هذه الطريقة الشفوية المباشرة وبين بعض المحاولات البيداغوجية الحديثة مع شرطين أساسيين لا بد من الحفاظ عليهما فى المراحل الاولى من هذا التعليم عـلى الاقـل :

ـ الاعتماد أساسا على عناصر اللغة الموسيقية القومية .

ـ استعمال النظريات كنتيجة للتمارين العملية (صوتية أو آلية) والترقيم الموسيقى كمعين للذاكرة لا كنص أساسى يجب اعتماده حرفيا .

* * *

وكما يقول المثل الشائع : « ان الاستماع للموسيقى أيسر من تدريسها »*.

وتدريس الموسيقى فى مراحل التعليم المختلفة وخاصة فى مرحلة الطفولة ، ليس بالعمل اليسير انه يتطلب دراية واسعة من المعلم لان التربية الموسيقية فى هذه المرحلة بالذات تشكل عنصرا أساسيا فى خلق انسان الغـد الـذى ننشده شكلا ومضمونا ... عقلا وسلوكا وخلقا .

د. محمـود قطـاط

(*) المـــراجــــع :

ـ أبو الفرج الاصفهانى : **الاغانى** ، ط. بيروت 1970

ـ **التربية والثقافة الموسيقية فى الوطن العربى** (المؤتمر السابع للمجمع العـربى) .

ـ الحسن الكاتب : **كمال ادب الغناء** ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، القاهرة 1975 .

ـ الفارابي : **كتاب الموسيقى الكبير** ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، القاهرة 1967 .

ـ قطاط (محمود) : «التجديد في الانتاج الموسيقى العربي المعاصر» ، **آفاق عربية** ، عدد 5 ، بغداد 1981 ؛ **الحياة الثقافية** ، عدد 24 ، تونس 1982 .

ـ قطاط (محمود) : « اتجاهات الاغنية العربية المعاصرة » ، **الحياة الثقافية** ، عدد 19 ـ 20 ، تونس 1982 .

ـ قطاط (محمود) : « التربية الموسيقية في الوطن العربي » ، **مجلة الموسيقى العربية** ، عدد 3 ، المجمع العربي للموسيقى ، بغداد 1983 .

ـ المقري : **نفح الطيب** ، تحقيق د. احسان عباس ، ط. بيروت 1968 .

ـ **مجلة الموسيقى العربية** (المجمع العربي للموسيقى) عدد 3 ، بغداد 1983 .

المراجع باللغة الفرنسية

BAUDOT Alain : Musiciens romains de l'Antiquite, Paris klincksiek 1973.

GOEUROY Andre : La musique et le Peuple, Paris-Stock 1941

FAVRE Georges : Ecrits sur la Musique et l'Education musicale Paris-Durand 1966.

GAGNARD (Madeleine) : l'initiation musicale des jeunes. Paris Casterman 1971.

GUETTAT Mahmoud : L'Education musicale dans le monde arabe et plus particulièrement en Tunisie », Centre Breton d'Art Populaire, Brest, 1980.

DAVIGNAC Albert : L'Education musicale, Paris-Delagrave,1902

RICHE Pierre : L'Education musicale, trait d'union entre les peuples, Prague, Orbis, 1937.

La Musique dans L'Education, Paris-Unesco-Armand Colin, 1955.

Education musicale (V) :Revue mensuelle 3 Rue des Ecole 77530 Bois-Le Roi (FRANCE)

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

ما من « توجيه » إلا وهو سد لأبواب وتعطيل لمواهب وإمكانات ، وهو من ثم تحريف وتشويه .

التربية الحق ليست توجيها ولا إملاء ولا تكييفا ، لا ولا صناعة فى معمل أو مخبر ، بل هى تحسس ذكى لمواهب الفرد وتبين دقيق لميوله الاصلية العميقة ، ومساعدة للانسان على وجدان ذاته وعلى أن يكون .

***

بعضهم يموت ويفنى قبل موته ، لا فرق بين موته والحياة .

وبعضهم يدخل الموت ويتخطاه حيا قائم الذات ... توقدا ونشاطا .. جهدا وإبداعا ، حتى كان لا موت اصلا ولا علم بالنظر اليه ؟ إنما توقف فقط عن العيش ... شبه إجازة أو استراحة ، واستمر وجوده اضعافا متزايدة .. خصبا مليئا كاخصب واملا ما يكون .

***

خصوصية الاثر الادبى لا تتمثل فى ميزاته الظاهرة ودلالاته الخفية فحسب ، بل هى تكمن ايضا فى ذلك الصوت الخفى المهموس وهو بعض من جوهره وسر روعته وسحره .. فى تلك النغمة الشيقة الاخاذة ترافق النص كمرافقة العزف للغناء ، تلزمه التحاما واتحادا حتى كأنها بمثابة النفس (*) للجسد والروح المكيان .

***

(*) بفتح الفاء .

من نكد الدمامة وشؤمها أن يزداد صاحبها مع التزين والتظرف سخفا وسماجة ، لكأنه بذلك صورة مسخ من ذاته مضاعفة مكثفة .

***

ليكن اللفظ منك عينا نفاذه .. عين نسر تجوس الاجواء والآفاق ، تتحدى الشمس ولا تعييها حجب الظلام .

ليكن اللفظ منك جناحا تدرك به الفكر رأسا فتقبض على كنه الوجود .. غيثا مدرارا يحيا به موات الحس وتزدهر له صحارى الروح .

***

الحب فى الكهولة !

أهو صيحة حرمان .. تصاب وتهتك وخلع للقيود ؟

أم استبقاء جاهد للشباب ، ومدافعة لشبح الفناء والشيخوخة ؟

***

للجمال سطوة للجمال صولة !

حذار من خدعة الاستحسان والتذوق ، وغرور التملي والاعجاب !

للاعجاب نشوة توهم بالقرب واليسر ، والقدرة والبلوغ .

الاعجاب ضرب من الامتلاك ، وصورة من صور الوصال .

***

الثقافة ربط وثيق وصلة مباشرة حميمة بين الوعى واللاوعى ... بين فكر المرء واعماقه .

الثقافة أن تصنع من الحياة فكرا ، ومن الفكرة حياة .

البشير المجدوب

هُنا خبّأت قلبي

شعر: عبدالرزاق فريحه

— 1 —

من أول امرأة عرفتُ
لآخر امرأة أحاولُ
ما اختلقتُ حديقة كي نلتقي
أو موعدا كي نفترق

— 2 —

سوّت مفاتنها ونامت في سريري
– باكرا نامت كعادتها –
وظل الدفءُ يجذبني إلى أخرى
تبللني فأصلبها على ..
خشب الورق

— 3 —

قدمان في قدمين / مملكتان
سوّرتا دمي
خصرٌ همى رقصا
كحيل العين
والعينان مغمضتان من أرق
– أراك . ولا أراك . –
حملتُ خطاي مؤتزرا مناحاتي
ومرتجفا أحدّدُ مركزا لجنونها
ما طاوعتني
واستبدت مرتين
وبعثرت شبقي على
دلتا القلق

عبثا أحاولها

وصدري ضيّقٌ
خبّأت قلبي في القصيد
ولُذتُ أنقشها على حجر السؤال

«آه من امرأة لها ..
نزق القصيدة ! »

ومن الصمت أصداء

بقلم: محمد مصمولي

المرتحلة العائدة

①

فليذهب نهر الوقت الى الحلم
فى لحظة الاشتهاء ،
وقد نسي ارتداء ملابس الليل
الموشاة بالاقمار
والأضواء ..
يا الممارسة فى دمي ،
طقوس الأسئلة ،
عندما تجيئين ، كالمعتاد ،
بعد المواعيد ..
دون ميعاد ..
فى لحظة الانتماء
بين غفوتي والسهاد ،
يا للانتشاء !!

* * *

②

مرتحلة عائدة .. مني إلي ،
دائما ، بين حضور وغياب ،
وفى ابتعاد واقتراب ،
هل ضاع ما قبل وما بعد
الشباب ؟
فى قهقهة من سراب !؟
يا جسدا من ضباب ،
يا كاسا من شراب
ولا .. اياب ..
بعد ذهاب ..

* * *

③

فلتتساقط من وجع
الليل ،
الرسائل الغامضة منك إلي ،
أيتها الباحثة فى مرآة الليل ،
عن وجهها ووجهى ،
الآتية بعد كل المواعيد ،
دونما ميعاد ..
بلا تفعيلة ولا افتعال ،
قصيدة على غير سابق مثال ،
اكتبها على انفتاحة الجرح ،
سؤالا على شفرة السؤال ،
وتحيلنى على المحال شيئا
من بال الخيال ..
محالا من المحال ..

أخطاء شائعة ..

بقلم : أبوبكر العيادي

الخطأ الذى تتورط فيه الاقلام هذه الايام ليس من قبيل اللحن بمعناه الضيق أو ليس من قبيل الخطأ فى اعراب الكلمات فان هذا الضرب من الخطأ أصبح اليوم يسيرا هينا بجانب ما يرتكب من ألوان الخطأ الآخر فى الصيغ والدلالة والتركيب .

يكتب الادباء : « الشريعة السمحاء » والصواب : « **الشريعة السمحة** » ويكتبون : « انهكه التعب » والصواب : « **نهكه التعب** » ويكتبون : « خطة طموحة » والصواب : « **خطة طموح** » ويكتبون : « تتالف البناية من طوابق ثلاثة والصواب : «**تتالف البناية من طبقات ثلاث**» .

واما الخطأ فى المعنى فهو ناجم عن استعمال بعض الالفاظ فى غير ما وضعت له من المعانى .

فالادباء يكتبون : «اسدى اليه الشكر» بدلا من : «**شكره**» غافلين عن أن « أسدى » معناه : « أحسن » فنحن نقول : « أسدى اليه معروفا » ، وهم يكتبون « أسره الخبر » بدلا من « **سره** » ناسين أن : « **أسر** » بمعنى : « كتم » أو : « أخفى » ، ومنها قوله تعالى : « فأسرها يوسف فى نفسه » أو أخفاها .

وهم يكتبون : «سنذهب سوية» بدل : «**سنذهب معا**» غير ملتفتين الى ان «سوية» مؤنث سوى ، بمعنى «مستقيم» كانهم بعبارتهم أرادوا : « سنذهب مستويين لا عوج فينا » .

وهم يكتبون : « اختص فلان بالكيمياء فهو مختص بها » بدل : « **تخصص فلان بالكيمياء** » فهو متخصص ، لان « اختص بالكيمياء » تعنى : « انفرد بها »

ولم يشركه بها أحد ، وليس الامر كذلك فهناك مئات يشاركونه العلم بهـذا الموضـوع .

وهم يكتبون : « هذه ألوان باهتة » بدل : « **ألـوان حـائلة** » غير مدركين ان « باهتـة » تعني « كاذبـة » وأن « بهـت » بمعنى « كذب » المصدر منه « البهتـان » .

وأما الخطأ في التركيب فهو أكثر شيوعا فيما يكتبه الادباء اليوم، فهم يكتبون مثلا : « **هل أبوك سافر ؟** » مقدمين الاسم على الفعل غافلين عن أن « **هـل** » لا تدخل على اسم بعده فعل . فالصواب اذن أن يكتب : « **هل سافر أبوك؟** »

ويكتبون أيضا : « هل تذهب الآن ؟ » والصواب : « **اتـذهب الآن ؟** » لأن « **هـل** » اذا دخلت على المضارع تخصصه بالاستقبال .

ويكتبون : « هل سيشفى المريض؟ » والصواب : « **هل يشفى المريض ؟** » لان « هل » تعنى الاستقبال فلا ضرورة لدخول السين على الفعل .

ويكتبون : « هل لم يقم أخوك ؟ » والصواب : « **الم يقـم اخـوك ؟** » لان « هل » لا يليها فعل منفي .

ويكتبون : « هل أن الصورة واضحة ؟» والصواب : « **هـل الصـورة واضحة ؟** » لان « هل » لا تدخل على « أن » للتناقض الذى يحصل فى الكلام فـ « هل » تفيد الاستفهام عن شيء لا يعرف وقوعه أو عدمه و « أن » تفيد ان الكلام بعدها مؤكد الوقوع .

ويكتبون : « والاهم من ذلك أن كذا ... » غير مدركين ان اسم التفضيل المعرف بـ « ال » لا تأتى بعده « من » الجارة والصواب : أن يكتبوا :« **والاهم ان كذا ...** » .

ابو بكر العيادى

ابراهيم بوجادوره

قصة : محفوظ الزعبي

سيارة خضراء عائلية ، تنساب فى سهل أجرد ، فسيح ، تنزلق عجلاتها على رمل رطب ، يتطاير منه غبار خفيف وكثيف فيحجب الأفق ، تنعرج السيارة ، تعلو وتهبط، تظهر وتحتجب، تقترب وتبتعد، انها تسرع فى اتجاه قبة بيضاء منتصبة على سفح «جبال فائض» الزرقاء التى تمتد الى الافق على شكل التواءات وانحناءات٠٠ داخل السيارة وجوه عديدة ، مختلفة، امرأة فى منتصف العمر، ملتحفة ، جالسة قرب السائق علوان النوفى ، وخلفهما أجسام مرصوصة ، اختلطت فيها الايدى والارجل ، وتحاكت الرؤوس ببعضها البعض فى تمايل٠٠ العرق ينضح ليمتزج بحبات الغبار المتسربة من خلال الشقوق والثقوب٠٠هدير السيارة يتجاوب مع صياح خروف مشدود فوق سطح السيارة ، يحاول التملص والافلات ، رافعا رأسه ثم لا يلبث أن يرتخى منصاعا للقيد الذى أوثق أرجله ٠٠

كانت المرأة تتمتم وقد بدا ذلك من طرف اللحاف الذى غطت به فمها ، ترفع عينيها الى فوق مبتهلة فى خشوع ومذلة ، ثم لا تلبث أن تستسلم لأفكارها وهواجسها ، منشغلة بعض الشىء بما يدور فى السيارة من حديث حول ابراهيم بوجادوره ، ذلك الولى الذى أصبح يستقطب أحاديث القرية ، فكم من حكاية تعبر عن معجزاته وتنبؤاته ! وكم من قصة تروى صدق أحاديثه ٠٠ ! ابراهيم بوجادوره أصبح اسمه على طرف كل لسان ، وفى قلوب العذارى ، وفى أفئدة العاقرات .. فى احلام الصبية ونظرات الشيوخ .. كان ابراهيم بوجادوره فى أواخر الاربعينات شابا ريفيا وسيما ، هاجر الى تونس العاصمة واندمج فى أوساطها ، وتعرف على بعض العائلات فى حمام الأنف وباردو والمرسى ، ووقع انتدابه جنانا فى بساتين عائلة تنتمى الى البايات ، وأصبح فى مدة وجيزة ابن

الدار كما يقولون ، يتقابل مع النساء ، والبنات ، يصاحبهن للتنزه ، يسامرهن ويسليهن بطرائفه المضحكة ، لم يكن يعرف هناك بابراهيم بو جادوره ، فاسمه الحقيقى ابراهيم الخليفى نسبة الى سيدى خليف وهو الولى الموجود على سفح سلسلة جبال فائض الزرقاء .. ابراهيم فارع الطول ، غزير الشعر ، عريض الشاربين ، واسع العينين ، يختلف وجهه عن وجوه شباب المدينة ، لونه الاسمر الريفى يزيده مهابة ورجولة ، وأسنانه الطبيعية ناصعة البياض بدون استمال مواد التنظيف ..

كان ينكب على حديقة المنزل ، يشذب الأشجار ، ويقلم الأزهار ، ويعزق التربة ، ويسقى الغرس ، ويطبخ الشاى تحت الصفصافة العالية .. وينام فى غرفة مخصصة له .. لم يكن ابراهيم يدخن ، أو يعاقر الخمرة أو يرتاد الماخور ، أو حتى يفكر فى مطارحة الغرام مع أية بنت كانت مهما بلغت من الحسن والجمال ، وهو الريفى الحريص على عفته واستقامته وعدم خيانة الماء والملح.. ولكنه بدأ يحس أن أشياء كثيرة تختلف حوله عما كان يشعر ويؤمن به ، يرى ولا يكاد يصدق ، ويسمع ولا يقبل الاقتناع بسهولة .. لم يعد يفكر جيدا فى قرية سيدى خليف ولا فى مزارعها أو هضابها وأوديتها ، فى طيبة أهاليها ورقتهم ، وعذوبتهم ، فى جمالها وعذريتها .. غرق ابراهيم فى تلك الاسرة التى انعمت عليه ، وفسحت له مجال العيش والحياة وأنسته فى أبيه وأمه .. تغير ابراهيم فى هيئته ، فى مشيته ، فى لغته ، فى حركاته وفى كل شىء . وهو يتفنن ويبدع فى رعاية ذلك البستان ، والذوبان فى ابرازه كأحسن البساتين التى تفتخر بها الاسر الغنية فى العاصمة .. رفيقة فتاة المنزل الفاخر وابنة سيده ، لم تكتمل بعد سنتها السابعة عشرة ، هى زهرة الحى وفاتنته .. قد رزق أبوها بخمسة أطفال ، ثم انجبتها أمها ، فكانت قرة عينيها وبهجة آمالها ، تربت فى دلال وبحبوحة عيش الى أن اصبحت شابة ، يافعة ، تنطبق عليها كل مقاييس الجمال ، تلهت بها العيون منذ طفولتها وخطبها شبان موسرون ولكن أباها كان فى كل مرة يرفض معللا ان ابنته ما زالت صغيرة ولم يحن بعد التفكير فى خطبتها أو زواجها .. -

— صباح الخير يا ابراهيم ..

يرفع ابراهيم رأسه ويسوى من انحناءته ممسكا بمقص الاشجار ، تفاجئه صاحبة الصوت بابتسامة تذيب الكبد، وبعينين صافيتين أنقى من لون السماء تجذبهما رموش سارحة .. انبهر بهذا الكدس من الفتنة والروعة .. وتزحلقت

عيناه عبر الفم القرمزى المحائر الى العنق البلورى الطويل ، الى فسحة صغيرة على الصدر حيث يحضن أعلى الفستان ارنبين صغيرين متوثبين ، وقفز نظره الى الابطين حيث يطل سفحا النهدين فى تمرد وجبروت .. وغاب قليلا فى بحر من التصورات والافكار :

ــ يسعد صباحك يا رفيقة ، كيف الحال يا عروسة ؟

وانتظر ابراهيم قليلا لكن رفيقة ظلت صامتة ، مكتوفة اليدين ، سارحة بعينيها فى أشجار الحديقة كأنها تريد أن تلتهم العالم بحدقتيها .. وكانت خصلات شعرها الناعم تضطرب على جبينها ، وتنحدر الى كتفيها فى شكل أمواج مثيرة ..

ابتسم ابراهيم فى حيرة ، ورماها بنظرة فاحصة ، فتأملته من الرأس الى القدمين :

ــ إنى قلقة يا أبراهيم .

ــ أنا فى خدمتك ، هل تطلبين شيئا ؟

ــ لقد طلبت من أبى أن يسمح لى بالذهاب الى الشاطىء ، ولكنه بدا متخوفا ولم يوافق الا بعد تفكير طويل ثم اقترح ان تصطحبنى الى الشاطىء ، فهو يثق فيك كثيرا .. هل توافق ؟

ماذا تقول هذه الفتاة ؟ أى سحر هبط على من السماء ؟ أى قنبلة ؟ أى حظ اصطفانى وجعلنى أظفر بهذا الكنز ؟ بلع ريقه وقال :

« .. كما تشائين يا رفيقة .. »

على الشاطىء الأخضر الجميل الممتد الى البعيد تتمدد أجسام مختلفة النعومة والخشونة ، تتغذى من الشمس المتدفقة حرارة ، وفى الماء الصافى المائج تستلذ اجسام أخرى..لغط وهرج ومرج ، صياح باعة «القلوب» والمشاميم يزيد المكان أنسا وحركة .. ابراهيم يحذق التأقلم مع كل الأجواء ، فالذى لا يعرفه يحسبه ابن العاصمة ، زيادة على حسن بداهته وذكائه .. سحبت رفيقة ثوبها وبدت كسمكة منتزعة من البحر، وبان جسمها المرد كأنه قطعة من النور وتاه ابراهيم فى جاذبيته وكاد يفقد عقله ، طلبت منه أن يخلع ثيابه للسباحة معها ، وشعر برواسب الخجل تغلف وجهه ، لكنه تغلب عليها وخاف من الاستخفاف ، وسرعان ما لبى الدعوة..وكانت برودة الماء تنفذ اليهما،فغطسا،وامتدت الايدى الى بعضها البعض ، أحس بقشعريرة تغمره ، وأحست بعالم جديد تكتشفه ..

ولبت المشاعر النداء ودخل ابراهيم ورفيقة فى حلم لا نهاية له٠٠تسلل أحدهما الى الآخر عبر عالمين متعطشين للقاء ، عبر صدره القوى ذى الشعر الكثيف ، وعبر صدرها المتوهج ، النابض بالدفء ، الصارخ بجنة الحياة .. تعلم ابراهيم التدخين من رفيقة،وأصبحت تغدق عليه السجائر الرفيعة،وتعلم أشياء أخرى أصناف القبل وألوان المداعبات ، وكلمات العشق ، ومطارحـات الغـرام .. وتطورت العلاقة الى أكثر من ذلك .. أصبح يقاسمها النوم فى فراش واحد دون أن يفطن به أحد .. لكنه من الخوف لم يتجرأ على افقادها أعز شىء لديها ، رغم انصياعها وانهيارها ، بل كان يحملها الى دنيا اللذة والدوخة فقط ٠٠

تقدم لخطبة رفيقة شاب ينتمى الى عائلة معروفة ، ذات يسر وجاه ، ووافق الاب ، واصطدمت رفيقة بمرارة ، اذ انها لم تكن متحمسة كثيرا لهذا الزواج الذى سيخرجها من جنتها القديمة ، لكن تأثير أمها عليها جعلها ترضخ ، وتفارق السعادة المتنامية التى عرفتها فى ابراهيم ٠٠ وجد ابراهيم نفسه فى فراغ قاتل بعد أن رحلت رفيقة ، أصبحت الحديقة عنده فجاجا لا تعطى الا الملح ، ولا تمنح الا الجدب ، لم يعد يظفر بأية ابتسامة عذبة فى الصباح ، وأصبح البيت عنده موحشا قفرا ٠٠ ساءت صحته ، وانقطع عن تناول الطعام ، وانهارت قواه ، وأصبح شبه عاجز عن العمل٠٠ داهمه السل بشبحه المفزع ، وعشش فى كيانه ودخل المستشفى ، ثم عاد الى سيده٠٠ لم يكن متحمسا هذه المرة اليه، اقترح عليه أن يعود الى القرية للاستجمام والراحة ، وأن يتغذى من هوائها ونقاوتها ، وكان ينوى ابعاده والتخلص منه ، وفارق ابراهيم فردوسه ، وعاد الى القرية حاملا أحزان المرض وهشيم الذكريات .. زار به أهله سيدى خليف ، وقبل التابوت ، وهناك اندمج فى ذلك الجو الصوفى المتأمل ٠٠ ليستريح بعقله ، ويدخل فى متاهات أخرى من التفرغ والضياع ، نسى العاصمة ، وتناساه المنزل الذى قضى فيه أجمل فترات العمر ، وتغافلت عنه الحديقة ، وضيعتـه رفيقة خلف بيتها الجديد ، وداسته الأيام ، وغمره الزمن وقيـده فى ذلـك الجبل الأزرق الشاهق ، يسرح بين تلك الصخور الصلبة ، ونباتات المثنان والحلفاء ..

.. كانت السيارة الخضراء تتسلق الربوة شيئا فشيئا ، متعلقـة بالثنية الرملية المتعرجة .. صياح الخروف يملأ ذلك المكان .. تتوقـف السيـارة ، ويصمت المحرك .. ينزل علوان النوفى ويسرع لفتح الباب الايمن ، وتخرج المرأة الملتحفة ببطء ، تنفرج وجوه بقية الركاب ، فيبادرون بالخروج ، يمسحون العرق ويقتنصون الهواء ٠٠ ينزل بعضهم الخروف ويفكون أسره فى انتظار

ذبحه .. عمك بلقاسم الزارعى حفيظ المقام يتقدم لاستقبال أصحاب السيارة ، كان يلبس زيا عربيا أبيض ، وعلى رأسه قلنسوة مثقوبة ، وعلى عينيه القطيتين نظارة متدحرجة الىطرفالانف ذاتزجاج مستديرأبيض سميك شارباهمعقوفان الى الأعلى تنمان عن المهارة فى التصيد والتشمم ، وكان يدير بيده مروحة من السعف ، وبالاخرى سبحة يمرر حباتها بأصابعه النحيفة ، بينما انسدلت على كتفيه جيلية مطرزة ، تدلت منها سلسلة فضية تفضى الى ساعة غاطسة فى احد الجيوب ، اما السروال العربى الفضفاض فقد شده بدكة حول حزامه ، بينما هبطت قندليسته فى شكل الدلو او ألية الخروف ، وهو ينتعل فردتى بلغة اكتفى بادخال المشطين فيهما.. كان بلقاسم الزارعى يطنب فى تقبيل الجماعة، وحسن الاستقبال، وحرارة الترحيب، ويصلى على الرسول، ويقبل يده ويضعها على جبينه فى خشوع ملفق .. أختلى بعلوان النوفى خلف شجرة متآكلة الجذع من أربطة الدواب ، تكدس الروث تحتها تكديسا ، وتهافت عليها الذباب علوان النوفى كهل فى الخمسين ، له صابة من البنات ، ولم يرزقه الله طفلا ، عقد النية ، وجاء لزيارة سيدى خليف ، وتلمس البركة للمن عليه ،بولد يكون قرة عينه ، ويخلفه بعد الممات ..

تلهى عبد الله بن مبارك ومعاوية لجدع بذبح الخروف ، وسلخه ، وتقطيعه كان نصيب بلقاسم الزارعى منه : الجلد والرأس والدوارة وطابق من اللحم .. وانتصبت الجماعة تحت الخروبة، بعد أن افترشوا ملاءات من الصوف وانهمكت المرأة فى اعداد الفطور وشى اللحم .. كان علوان النوفى قلقا لا يساهم مع الجماعة فى الاحاديث المتنوعة الا نادرا ، كان منشغلا عن هذرهم وضحكهم .. يحتسى كأس الشاى دفعة واحدة ويرجعه دون أن يشعر لمن يسلمه .. يفحص بعينيه الضائعتين كتلة الجبل الزرقاء ، الطاغية بثقلها ، كأنه ينتظر شيئا هاما يتفقده من حين لآخر بلقاسم الزارعى ، ويطمئنه ، ويهمس اليه ثم ينصرف جارا بعينيه الضائعتين كتلة الجبل الزرقاء ، الطاغية بثقلها ، كأنه ينتظر شيئا هاما ويشتد النبض .. وتنتبه العينان ، وتتنصت الأذنان ، ويكف الجميع عن الحديث وتسكن المرأة فى مكانها .. صليل سلسلة يأتى من بعيد منبعثا من وراء أغراس الهندى ونباتات الحلفاء اليابسة .. يبرز شبح أسود ، يكاد يخفيه الشعر المشوب بالبياض ، تطل منه عينان جاحظتان ضائعتان تحملان حرقة العذاب ، وأحزان العمر الدامى .. كان الشبح يتقدم متباطئا ، يجر سلسلة حديدية غليظة ذات رنين فاجع ، كانت تستعمل لقيد الجمال، يتبخر الجسم مع الزمن داخل عباءة صوفية سوداء مطلية بالقذارة .. جثم الشبح بعيدا بعض الشىء ،

عاملا أصابعه الكالحة فى ثنايا اللحية الكثة المسترسلة الى الصدر ، وظل هائما يلتهم الجماعة بعينيه الفائضتين .. وكان بلقاسم الزارعى يشير الى الجماعة أن يظلوا صامتين ، منتبهين الى الشبح ، وتحليل حركاته أو كلماته ان قام و نطق بها .. كان الصمت مقبرة يتجمد فيها الجميع ، لم يخرج عن ناموسها الا الذباب أو هرج الزائرين من بعيد .. تحرك الشبح ، تقدم شيئا فشيئا ثم ارتمى على علوان النوفى ، وطرحه ، وقبض على عورته قبضا شديدا حتى كاد يقلعها ، وأغمى على الرجل ، وتهافت عليه الجماعة لجذبه الى الخلف .. وأقبل بلقاسم الزراعى متثاقل الخطوات ، يدفع ساقيه العاجزتين عن التقدم ، وكان متشنج الوجه ، تلوح عليه علامات الاضطراب ، وصاح : «يكفى يا ابراهيم .. انزع يدك .. لقد نال الرجل مقصوده » .

فتح أبراهيم بوجادورة قبضته وتأخر متناثر الشعر ، يحبو ويلتفت الى الوراء ، يتضاءل رنين سلسلته الثقيلة ، ويتعد خياله العالى شيئا فشيئا ليذوب فى كتل الصخر الثقيلة ..

تفرغ المرأة سطل ماء على زوجها ليستفيق ، ويهنئه بلقاسم الزارعى شارحا ومحللا ما قام به ابراهيم بوجادورة : « سعدك يا رب ! »

لقد قبض ابراهيم «شايلله» على ذكرك يا علوان .. الحمد لله ، لقد فهم ولد سيدى خليف مقصودك ، فهو يشير بذلك على أن الله سيمن عليك بمولود ذكر .. أبشر يا علوان .. » .

انفرجت أسارير علوان وهو يسرع باخراج ورقة نقدية ، ودسها فى جيب فرملة بلقاسم الزارعى ..

فى المساء ، كانت السيارة الخضراء تطلق الغبار فى تلك الحقول الصهباء وجوه متراصة تلتصق ببعضها البعض ينضح منها العرق،امرأة منشرحةتدحرج خلفها اللحاف ترسل نظرات مشبعة بالامل من خلال البلور.. علوان النوفى يحرك المقود ذات اليمين والشمال ، يسترسل فى أحلامه ، بعد أن اقتنى تذكرة الدخول فى عوالم ابراهيم بوجادوره .

محفوظ الزعيبى

رحلة النّار والطيب

شعر : سمير الخياري

أحبّ الزّمان الذي فيه كنتِ
ويغرسني اسمي
على شفتيكِ ضراما وطيبا
فإنّي أنا الساكن الآن في مقلتيكِ
يحمّلني النّار حبك
يحمّلني العطر حبّكْ
فأقتاد روحي .. وأعمار طهري
قرابين وجدكْ
وأغرس فيك على ألق الضوء
رحلة صبوه
ورمح استفاقهْ
ولحن فداءْ
تعزّ على الحياة ولكن لأجل العيون
الّتي أفرزتها السماء
سأجعل عمري وقودَ لياليك
حين يجيءُ الشّتاء
سأفتح حضني وأفتح قلبي
لينشد لحن الهوى والصبابه
سأرْكعُ .. أسجدُ .. أفرحْ
برغم العناقيدِ فوق شفاهي
تحلّب ريقي مراره
سأفرحُ ... أفتح للعيد بابا
لك الحبّ منّي
لك الضوء منّي
فحبّي الضياء الذي ليس يخفي
ولو حاولت سمل عينيه أيُّ سحابه
سأعرف كيف أقيم الوجود إليك
مدارج ورد
وأعرف كيف أقيم الحقيقة فيك
صحائف شمس
وأعرف كيف أردّ لياليك
نغمة حلم ورقصة عرسْ
لينهزم الرعد فيك
لينهزم الرعد فيك

الهادي العبيدي
الأديب المصلح والصحفي الرائد

بقلم: محمد أنور بوسنينه

شيعت الاوساط الثقافية والفنية والسياسية يوم الاربعاء السابع عشر من شهر افريل خمس وثمانيـن وتسعمائة والف جثمـان الفقيد الراحل عميـد الصحافة الاستاذ الهادى العبيدى ٠ ونشرت جريدة الصباح كلمة لصاحب هذه الاسطر متضمنة خواطر عابرة وسريعة حول شخصية الهادى العبيدى ومدى الرزء الذى اصيبت به تونس فى فقدانها مثل هذا الرجل العصامى الـذى قدم الكثير للصحافة والادب والفن والاجتماع . وانى اذ اباشر الكتابـة مرة ثانية وبعد مرور أيام أخر شعرت خلالها بهدوء النفس والابتعاد قليلا عن الشعور بالالم الممض والحسرة اللاذعة فلكى أزيد للرجل حقه فى التعريف ولكى أوضح بعض الملامح وبعض الابعاد من حيث تكوينـه وثقافته ومـن حيـث المؤثرات والعوامل التى جعلت من ذلك الاديب الكاتب رجلا ناجحا فى خلـق مدرسة صحفية لها مريدوها وأتباعها ومناصروها وخلانها . .

ولد الفقيد بتونس العاصمة بنهج الطرودى زنقة الكاغـد رقم واحد يـوم السابع والعشرين من شهر جانفى سنـة 1911 ، وبعد أن اشتـد عوده التحق بكتاب النهج المذكور بحى باب سعدون ثم بكتاب نهج باب الاقواس حيث انتقلت عائلته ، فحفظ القرآن الكريم ثم التحق بالمدرسة العرفانية الراجعـة بالنظـر للجمعية الخيرية الاسلامية ثم التحق بالتعليم الزيتونى حيث قضى فى الدراسة بعض سنوات اذ لم تسمح ظروفه المادية بمواصلة التعلم . ولنا ان نشير فى هذا الصدد الى تأثره بأستاذيه فى الابتدائى والثانوى وهما الشاذلى بن ضيف والعربى الماجرى .

يقول فى حديث له نشر بمجلة الندوة العدد السادس السنة الرابعة جوان 1956 :

« كنت منذ طفولتي جشعا ونهما الى درجة مفرطة في المطالعة والتهام ما تصل اليه يدي من كتب التهاما قرأت المنفلوطي في البداية ثم عندما شببت لفت انتباهي أدباء المهجر وفي طليعتهم جبران والريحاني ونعيمة وأبـو ماضي ، ثم الدكتور طه حسين والمازني والعقاد وهيكل وطبقتهم » .

اذن من خلال ما تقدم يمكن ان نلاحظ بان الفقيد العبيدي قد أطل على مسرح الوجود منذ شبابه متأثرا بهؤلاء العمالقة في الادب سواء منهم مقيم الشرق أو المهجري وان تأثير اولئـك في مترجمنا وفي غيره ممن كـان لهم السبق في الميدان الادبي خلقا ودراسة ، بحثا ونقدا ، بين واضح في مثل الشابي والحداد وكرباكة وخريف وغيرهم . واذا كان لرواد الادب في الشرق والمهجر مذهب أو مدرسة الا ان الاستاذ الهادي العبيدي لا ينهج منهاجها ولا يؤمن الا بالادب الجوهر الصادق النزيه يقول :

« أما المذاهب الادبية فأنا لا أومن بها ولا أتأثر الا بالادب الصادق الصميم بقطع النظر على ما يخلعون عليه من أسماء كأسماء الازياء . »

وسوف نبسط فيما يلي بعض الملامح مـن حيث الوجهة الادبيـة الفنية التي غلبت في البداية على مترجمنا شعرا وزجلا ثم الكتابة للمسرح ثم العودة الى الصحافة الى آخر رمق من حياته .

يقول العبيـــدي :

« عالجت قرض الشعر وأنا في المدرسة الابتدائية وقد تلقيت أبجديته عن الاستاذ الحبيب جاء وحده مدرس الفرنسية يومئذ وهو شاعر موهوب ساخر لذع ظريف (1) . وكان أول مقطع نظمته في هجاء أحد زملائي التلاميذ دفاعا عن زميل آخر ، أما الزجل فعالجته بمناسبة تعبئة لاسطوانات جديدة للصديق البشير الرصايصي باسم شركته أم الحسن » .

لقد زامل العبيدي فيمن زامل الاديب الساخر محمود بيرم التونسي وأن من يلقى نظرة على ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية التي رانت في الثلث الاول

---

(1) انظر مزيدا عن حياته كتاب « في الادب التونسي » لمحمد الحليوي ــ كلمة وفاء ــ ص 156 . الدار التونسية للنشر ــ 1969 مع الملاحظ وان وفاة الحبيب جاء وحده كانت في 7 ــ 2 ــ 1967 .

من هذا القرن يدرك تلك الرغبة الملحة فى ذينك الرجلين كى يخاطبا عقول الجماهير ووجدانها بلغة هى أقرب الى لغة التخاطب وانطلاقا من لغة الشعب الحقيقية التى تستمد من اصالته العريقة ومن كيانه الحق فكان بيرم بشعره العربى الفصيح وبازجاله العامية التى سارت فى كل الاصقاع وكان العبيدى أيضا بتلك القصائد التى رددتها أجيال متعاقبة وهى بلسان الشعب بكل ما فيه من اعتزاز ونخوة للحفاظ على الذاتية والدفاع عنها ورغبة فى التمسك بجذور التراث حتى لا ينحل رباط العقد الذى يربط الماضى بالحاضر من أجل المستقبل ٠ انهما صنوان متشابهان لولا الاول قد تفرغ لهذا النوع من الشعر الشبى كليا حيث أعلنها أحمد شوقى مدوية « أنا لا أخشى على الشعب العربى طغيان احد أو شىء الا بيرم وأدبه الشعبى،٠وانها لظروف كان الشعب العربى عامة متجذرا فى لغته اليومية نظرا لقلة انتشار التعليم فى كل مكان واذ نعود للعبيدى فلكى نسجل له هذا الميل الى الكتابة شعرا بالعامية فى محيط يفرض عليه أن يخاطب الشعب بلغة هىأقربللفهم والافصاح عما يجيش بصدر قائلة كى يرشد ويوجه ويحرك سواكن النائمين الذين يغطون فى احلامهم بلا حراك . وانه لعذر مشفوع بما هو ملاحظ سابقا حتى ندرك مدى الرغبة فى التوجيه والتقويم والارشاد والاصلاح فبيرم بز غيره من فحول الشعراء بالعربية الفصحى والعبيدى أيضا كان له فى هذا الميدان صولة وجولة ٠ وما وقوفه أمام جثمان الفقيد الراحل الطاهر الحداد بقصيد مطلعه :

قفوا حيوا لمجاهد والعميدا (2) وصلوا فالنبوغ قضى شهيدا
قفوا وابكوا الرجولة والمبادى فذا معناهما امسى لحيدا

الا دليل على طول باعه وشاعريته أيضا وبالمناسبة يقول فى آخر القصيد :

اخى ان سامك السفهاء سوءا وكان زمانكم نذلا كنودا
فلا تحزن فذا التاريخ عدل سيمنح اسمكم منه الخلودا
وموت فى مبادئكم حياة تفيض على الدنى فجرا جديدا
خيالك خالد فى كل قلب وذكراكم ستغدو [!] لدينا [!] عيدا

(2) نشرت القصيدة بمجلة العالم الادبى السنة الرابعة العدد 17 فى 16 12 ــ 1935 بعنوان « النبوغ الشهيد » .

وتوضيحا للعلاقة المتينة بين هذين الرجلين المصلحين نشير الى أن الصداقة كانت وثيقة بينهما رفقة أحمد الدرعي وعبد الرزاق كرباكة والشابي والسنوسي وبيرم وغيرهم ممن لم نذكر . وبالمناسبة نلاحظ الى ان العبيدي وقف الى جانب الحداد منذ الخصومة التي اشتعل أوار لهيبها بمناسبة صدور كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » يقول العبيدي في مقال له بعنوان : للحقيقة والتاريخ (2) . لم يكد يصدر كتاب امرأتنا حتى كان الجو قد تم تسميمه ضده وشاعت الاقاويل التي لفقها خصوم الحداد على السنة الناس والعامة فاخذوا يرددونها دون أن يطلعوا على ما في الكتاب وهنا تتجسم الجريمة التي اقترفت ضد الحق وازاء هذه الحملة الطاغية التي استخدم فيها الخصوم سلاح الدين ليستفزوا شعور المواطنين في ذلك الحين ، ازاء ذلك قررنا نحن اصدقاء الحداد الذين نشاطره آراءه في القضية اقامة حفل تكريم له بمناسبة صدور الكتاب حتى لا يهضم الفكر الاصلاحي في تونس وحتى نرد الفعل فلا نترك الرأى العام نهبا في أيدي أولئك الخصوم . وكان الحفل في قاعة الكازينو البلدي بالبلفدار واجتمع عدد كبير من النخبة التونسية والقيت الخطب والقصائد في تمجيد الطاهر الحداد وعمله البليغ رغم دعايات الخصوم ورغم ما بيتوه من الاعتداء على اشخاصنا عند ذهابنا الى الحفل حيث جمعوا عددا من الفلتاء ووزعوهم تحت أشجار حديقة البلفدار حتى اذا ما مر احد في طريقه الى الكازينو انقضوا عليه وعبثوا به ، ولكن الحفل تم على الوجه الذى أردناه وكتبت عنه صحف ذلك العصر حسب أهوائها وحسب اسهامها أو بعدها عن الجريمة كما كتبت الصحف في الخارج .

الى أن يقول العبيدي :

وذات مساء كنا جلوسا بمقهى القصبة في الصائفة فاذا ببعضهم يتحكك بنا ويوجه لنا الشتائم ونعوت الكفر والالحاد بل ويحاول الاعتداء المادي علينا ، واذا بجمع من أصدقائنا يتصدون لهم ويعملون فيهم ضربا ولكما وتتطاير كراسي المقهى لتبلغ ثكنة القصبة وتدور معركة حامية الى أن يتدخل الجند الفرنسي المرابط بالثكنة ليوقف المعركة .. »

هذه عينة مادية من مناصرة العبيدي للحداد وللفكر الحر النزيه ، ووقوف المترجم له بجانب الحق الى النهاية ، ولنا أن نشير بأن العبيدي كان من الرواد

(3) نشر المقال بكتاب الطاهر الحداد حياته تراثه ، محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، ص 265 . دار بوسلامة للنشر — تونس ، بدون تاريخ .

الاول الذين طرقوا موضوع المرأة فى أوساط العشرينات بجريدة الصواب التى كان يديرها الاستاذ محمد الجعايبى وكانت له أيضا مساهمات ملاحظة فى ميدان الادب حيث دعا الى التجديد والنظر اليه بمنظار العصر والواقعية والابتعاد عن التقليد الذى لا غاية من ورائه ولا هدف .

وعودة الى مراحل حياة هذا الصحفى الاديب لنشير الى أنه منذ البداية كان عصاميا فى حياته وما كانت مبارحته التعليم الا نتيجة ضغوط مادية قاهرة حيث أحس بأن الاسرة فى أشد الحاجة اليه وقد توفى والده وهو فى الخامسة من عمره فشعر بوجوب ولوج معترك الحياة والاخذ من معينها الذى لا ينضب مادة وفكرا ، خلقا وابداعا واستقر به الامر فى سن السادسة عشرة من عمره وهو فى عز الشباب وفورته بالعمل فى احدى المطابع يقول :

« لما فارقت الدرس بالجامع فى سنة 1927 بدافع الفقر والحاجة الى المال فكرت فى أن ألتحق باحدى المطابع العربية لاتعلم صناعة تكون فيما بعد مصدر رزق لى ثم – وهو المهم – لاطلع على مهنة الصحافة وكيف تصنع هـذه الصحف التى أقرؤها ، وفى المطبعة الاهلية بنهج الديوان (4) . بـدأت أتعـرف بى المطبعة ثم على الصحافة وكيف تصنع وهناك التقيت بأستاذى المنعم المبرور عميد الصحافة العربية الاستاذ محمد الجعايبى صاحب جريدة الصواب (5) الزاهرة وبالاستاذ حسين الجزيرى صاحب النديم (6) وبالشيخ البشير الخنقى صاحب جريدة : لسان الشعب (7) فكانت سعادتى بذلك لا توصف وبعد زمن قصير ثارت فى صدرى هوايتى القديمة للصحافة فتجرأت وفاتحت الاستاذ الجعايبى برغبتى الملحة فى التمرن على الكتابة فى الصحافة فقابلنى بكل لطف وتشجيع وكان قبوله ذاك حافزا لى على الدخـول فى التجربة بمحاولـة تحـرير بعض المواضيع الاجتماعية وبعد ان اشار العبيدى الى ما كتبه حول قضية اصلاح التعليم بجامع الزيتونة وتحرير المرأة قال :

« وقد مارست الصحافة فى جميع فنونها وأبوابها منذ ذلك العهد حتى اليوم : مصححا – محررا – ناقدا فنيا ، وأديبا ، سكرتيرا للتحريـر ، مديـرا لبعض

---

(4) كانت ملكا للاستاذ زين العابدين النسوسى .
(5) تأسست سنة 1322 هـ – 1904 م .
(6) تأسست سنة 1339 هـ – 1921 م .
(7) تأسست سنة 1339 هـ – 1921 م .

صحف ، رئيس تحرير ، ومارست كل هذا فى الصحف الاسبوعية واليومية ، والمجلات والنشرات الدورية .. وقد عشت الحركة الوطنية والحركة النقابية من ذلك العهد وعاصرت تطوراتها حتى اليوم .. » (8) .

هذا ولنا أن نشير الى بعض الصحف التى باشرفيها التحرير مثـل الزمان التى أصدرها محمد بنيس سنة 1929 .

والسرور : أصدرها علي الدوعاجى 1355 ــ 1936 .

السردوك : أصدرها الشاذلى الفهرى 1340 ــ 1921 .

الوطن : اصدرها محمد بن فضيلة ــ 1355 ــ 1936 .

الزهرة : أصدرها عبد الرحمان الصنادلى 1307 ــ 1890 .

مجلة الثريا لنور الدين بن محمود 1363 ــ 1943 .

وأخيرا جريدة الاسبوع لابن محمود أيضا 1365 ــ 1945 .

أما جريدتا الصريح (1949) والفرززو 1955 اللتان أصدرهما مترجمنا ذاته فانهما لم يعمرا طويلا نظرا لعسر الامكانيات المادية وصعوبة مواجهة مصاريف الطباعـة .

وهكذا يبدو جليا ما كان لهذا الرجل من باع فى ميدان الصحافة وما أولاها من اهتمام كلي وتفرغ وهيام الى حد بعيد .

أما جريدة الصباح التى أصدرها السيد الحبيب شيخ روحه سنة 1370 هـ 1951 م فقد أعطاها عصارة تجاربه من حين تأسيسها وقد ترأس تحريرها الى أوائل الثمانينات حتى أقعده المرض وأعجزه عن الكتابة وقد كان فارسها الذى لا يقارع وبطلها بدون منازع واتخذ فى أسلوبه الدقيق المعبر منحى الاختصار وعدم التطويل ومن كتاباته الموحية المعبرة قوله :

« لسنا ملومين فى شيء اذا نحن ركبنا مركبـا خشنا فى سبيـل تحقيق سيادتنا الكاملة » .

وقوله : « الاخذ من الثقافات الحيـة لا يعنى عجزا عن الابـداع » الى آخـر الامثلة على هذا النسق والمنوال .

---

(8) مجلة الندوة ، السنة الرابعة العدد السادس جوان 1956 .

ان العبيدى من الصحفيين القلائل الذين تفرغوا لمهنتهم وأعطوها كل الوقت وكل الجهد والبذل والعطاء وقد ملأ الفراغ الصحفى الذى عاشته بلادنا منذ مطلع الخمسينات واضحى يمثل مدرسة قائمة الـذات فى منهاجها وأصولهـا وسبيلها الجدى الذى لا يفتح مجال التسيب والمركب السهـل ووسم جريدة الصباح بسمة الجدية التى مازالت تتصف بها ونرجو الابقاء عليهـا ومواصلة المسيرة على الدرب الذى سطره لها منشئها الاول وعميدها ، وانى لاذكر ان أحد رفاق الدراسة بمعهد ابـن خلدون فى أواخر الخمسينات وحيـن التهيؤ لاجتياز مناظرة الجزء الثانى من شهادة التحصيـل يشترى جريدة الصبـاح يوميا ولا يتخلف عنها أبدا وكنا كزملاء نعيب عليه تـرك الدرس والمذاكرة الى قراءة الصحيفة فى ادمان عجيب فكان يجيب فى براءه عفوية : ان سانحة صباح الخير تغنينى عن قراءة الكتب وبفضلها تحسن اسلوبى وتحريرى وسأجتاز الامتحان بدون صعوبة .

هذا وان سر وعظمة فقيدنا تكمن فى تواضعه واقباله على العمل بدون غرور أو كبرياء ، وبدون حب تظاهر وتبجح وقد امضى عديد السنوات لا يمضى الا باسم مستعار فتارة باسم هدى أو يقظان وطورا باسم فتى المسرح أو رمزا بالاحرف مثل : هـ ـ ع وما ذاك الا نتيجة ما فى جوانح الرجل من رغبة لاعتبار الاعلام النزيه الصريح الصادق هو الغاية وهو المبتغى وليس حبا فى الظهور بالاسماء والالقاب .

ومن متناقضات هذه الشخصية انه بقدر حدة مزاجه وغضبه السريع وانفعاله المفاجىء وجديته المتناهية فانه فى اوساط الفن والتمثيل ذو صدر رحب وسعة بال ومرح وحبور وقد جالسته أواخر الخمسينات رفقة المرحومين على الجندوبى والتجانى الحداد فكنت أتعجب من هذا الانقلاب المفاجىء فى التعامل الانسانى وهذا الاقبال على الحياة بكل ما فيها من شوق وحنين وحب وطرب لها .

وبالمناسبة نذكر ما كان لهذا الرجل مـن باع فى ميدان المسرح وقـد ألف واقتبس من ذلك رواية «عبد المؤمن بن علي» التى فازت بالجائزة الاولى التى رصدتها جمعية الاتحاد المسرحى لموسم سنتى 1939 ـ 1940 وتـرجم روايـة «سالومى» بالاشتراك مع الاستاذ البشير المتهنى، أما المسرحيات المقتبسةفنذكر منها : ضاع صوابى ـ ولد اشكون ها المغبون ـ الغيرة تذهب الشيرة ـ وهذه نالت نجاحا كبيرا .. هذا ولم يكتف العبيدى بالكتابة بل اهتم بالتمثيل وساهم به شخصيا كما أدار فرقة تمثيلية بالاذاعة وانتج مجموعة من البرامج الاذاعية ذات الصبغة الادبية .

يقول عن هوايته للمسرح :

هوايتى الثانية (بعد الصحافة) التى نشأت معى هى حب المسرح ويعود تاريخها الى المدرسة الابتدائية حيث كنت مفتونا بالتمثيل وكنت أعمد فى أوقات الفراغ بالمدرسة ـ وقد عشت فيها نصف بيات ـ الى جمع عدد من زملائى التلامذة واوزع عليهم أدوار مسرحية « صلاح الدين الايوبى » لنجيب الحداد واشرع فى تمرينهم عليها مع الاحتفاظ لنفسى بدور صلاح الدين .. » .

وبقيت الهواية متمكنة فيه فانضم الى فرقة فضيلة ختمى ثم المستقبل التمثيلى ، ثم التمثيل العربى ، فجمعية المسرح ، ثم أنشأ جمعية الاتحاد المسرحى ثم جمعية تونس المسرحية . وهكذا نلاحظ بأن مترجمنا أدرك الغاية من هذا الفن النبيل فن التمثيل واتخاذه وسيلة للنهوض بالامة والوطن والحفاظ على لغة الضاد والدفاع عن الثقافة العربية عموما وصد المستعمر لرغبته فى طمس معالم القومية والذاتية العربية هذا ولا بأس أن نشير فى هذا الصدد لما كان أيضا من تأثير صاحب جريدة الصواب الاستاذ محمد الجعايبى على مترجمنا وقد ألف أول مسرحية بعنوان « عبد الحميد بين جدران يلدز » والتى مثلت فى مطلع هذا القرن .

ومن نشاط العبيدى الدائب اشرافه على تنظيم أول اذاعة عربية بتونس فى الثلاثينات وكان ذلك فى المحطة المحلية المعروفة باسم « مذياع تونس » وكان اول من اسمع التونسيين تلاوة القرآن الكريم واول من ابتكر مدفع الافطار فى رمضان ، كل هذا قبل انشاء المحطة الرسمية للاذاعة التى التحق بها فيما بعد كمحاضر وكمخرج للتمثيليات ثم سكرتيرا فى ادارة القسم العربى وقد كثر نشاطه ـ رفقة زميله المرحوم عثمان الكعاك ـ كان مترجمنا صديقا وفيا لكل رفقائه وخلانه وكان يتأثر لفقدانهم فلا يتأخر عن تأبينهم والاشادة بما قدموا وعملوا وضحوا ، ولكم كان تأثره واضحا وألمه ممضا حين فقدان أحد رفاق الشباب وأعنى به الشاعر الاديب جمال الدين بوسنينة (8) . فقد كان أول المؤبنين له فى كلمة أحتفظ بنسخة منها كاملة قالها العبيدى حين مواراة جمال

---

(8) جمال الدين بوسنينة ، كاتب وشاعر ، ولد سنة 1899 وتوفى فى 7 ماى 1945 ، له دراسات ومجموعة مقالات فى مواضيع مختلفة وابرزها فى ميدان المسرح والموسيقى وكان فى طليعة المؤسسين لجمعية الرشيدية وجمعية النادى الافريقى الرياضية ، قريبا باذن الله سننشر دراسة مفصلة عن انتاجه الفكرى .

الدين التراب ويشير في ثناياها الى خسارة تونس لا في جمال الدين فقط ،ل وأيضا في رفيقين عزيزين هما عبد الرزاق كرباكة (9) وعبد الرحمان الكعاك .

بقــول العبيــدي :

« وأنت أيتها الخضراء العزيزة هذا ثالث ثلاثة من ابنائك الابرار ونبغائك الاخيار تنكبين فيهم في أيـام معدودات حتى لكأن الدهـر يجاريـك في عتو وضغينة فيقتطف بين الحين والحين أنضر زهراتك واشهى ثمراتك حسدا منه .

أي جمال الدين أخي :

مالك اليوم تشيح عنا بوجهك ويضيق بحياتنا صدرك فتفر هاربا منها في سرعة وعجلة دون ان تودعنا شأنك كلما هممت بالرحيل أفضلت عـن محبتنا لقاء صديقيك عبد الرزاق كرباكة وعبد الرحمان الكعاك فبادرت اليهما وتركتنا ـ بعدكم ـ لدنيانا نقاسي أهوالهـا .. وننوء بحمـل أثقالهـا .. هنيئا لـك ولصاحبيك نومكم المطمئن ومقركم الآمن وطوبى لكم وحسن مآب » .

وانظر معي في هذا الجواب عن سؤال طرح عليه حول الشباب الطامح للأدب والفن والسياسة يقول :

« ان اغلى ما اقدمه للشباب الصاعد من نصح هو أن يتحلى بالنزاهة والجرأة في تفكيره وعمله وان يحافظ على صفات الرجولة فلا يكون امعـة وان لا يمل الكفاح في سبيل استقلاله الذاتي وتكوين شخصيته وان لا يتخاذل امام العقبات والمشاكل التي قد تعرض له فلا ورد بدون اشواك » (10) .

وهكذا كانت حياة العبيدي صراعا من أجل تحقيق الهوية الوطنية واستقلال أمة كبلتها قيود الظلم والبطش والعدوان ، وان تحديد ملامح هذه الشخصية يعسر القيام به في مجال مقتضب وانه على ناشئتنا من ذوي العزائم الصادقة أن يعطوا لهذا الرجل بعض الحق والواجب لاستكناه سر الحزم والعزم والتضحية والفداء من أجل أمته وبلاده وشكرا لسعي وزارة الثقافة قصد جمع تراث هذا المصلح الاديب ونشره حتى تعم الفائدة الجميع فنكون بذلك قد وفينا للرجل حقه حيا وميتا ولله الامر من قبل ومن بعد .

محمد أنور بوسنينـه

---

(9) عبد الرزاق كرباكة 1904 ـ 15 مارس 1945 . انظر تأبيـن كرباكة لمحمد الحليوي ـ مجلة الثريا ـ افريـل 1945 ونفس التأبين نشـر بكتاب في الادب التونسي ـ محمد الحليوي ـ وفي سلسلة أعلام المغرب العربي دراسة لأبي القاسم محمد كـرو .

(10) مجلة الندوة ـ العدد الرابع 1956 .

صدى الليلة الفاصلة

شعر : محمد البقلوطي

فصولٌ فصُولْ ..
خريفٌ، شتاءٌ، ربيعٌ فصَيْفْ ...
وكيفَ أُقسِّمُ نفسيَ كيفْ
يَجيءُ الخريفْ
فأَبْكي لِسُمْرِ السَّنابلِ حتّى
العيَاءْ
ويأتي الشتاءُ فأَعوى
ولا شيءَ إلا العَرَاءْ
وعند الرّبيعْ ...
أُفتِّحُ أبوابَ بيْتي ولكنْ ...
يَمُرُّ الرّبيعْ .
ومِسْكُ الختامْ ...
هو الصّيفُ مِسْكُ الختَامْ
تَجفّ الأَمَاني
ويَبْقَى الكَلامْ

* * *

فُصُولٌ فُصُولْ ..
خريفٌ ، شتاءٌ ، ربيعٌ فصيفْ
وكيفَ الرّحِيلُ
وكيفَ الوصُولْ
وكيفَ اللجوءُ لقلبِ الحبيبةِ كيفْ
هل البحرُ أقربُ منّي ؟
هل الشمس أقربُ منّي ؟
فذا البحرُ ، لَوْ يتعبُ البحرُ يوما
تُغنّي لدى البحرِ من أوّل الليلِ
حتّى الصباحْ
وذي الشمسُ ، لَوْ تَسقُطُ الشمسْ
أراها تمدّ إليها الجناحْ
ووَحدي أنا ...
أُسامرُ حُلْمي ، ويَكْبُرُ حُلْمي
ولكنْ
لدى الفجْرِ تعْرَى الجِراحْ

* * *

فُصُولٌ فُصُولْ..
وأنْتِ الحبيبةُ أنْتِ
أَجيءُ إليْكِ ؟

وكيفَ أجيءُ إليكِ وكيفَ وكيفَ
وكيفْ !؟
فقطْ ...
بصدْرِي ومُضْغةُ شعرْ
سهرْتُ الليالي أسامرُها
أهدّئُ أعصابَها
وأحلُمُ .. أحلُمُ لي ولَها
وفي الليلةِ الفاصلهْ ...
أبحَرْتُ لهَا البحرْ
فعانقَتِ البحرْ
وعانقَهَا البحرْ
فكانَ اخضرارٌ وماءْ
وفجرٌ يُسابِقُ فجرْ
وكانَ انسيابُ الشّذا مِن هنا
بيْنَ قلبِي ... وذاكَ الصّدَى
وحينَ انْتَبَهْنَا ...

مدَدْتُ يدِي
تلمَّسْتُ وجْهِي
فنادَيْتُ : يا أُمّ هلْ تعشقِينَ
المطَرْ ؟
أيا أمّ ذا الدمْعُ يجْرِي كما
يشتهِيهِ الشّجرْ
أيا أمّ إنّي تعوّدْتُ مِثلَ اليتامَى
جَمِيلَ الوعُودِ وحُلْوَ الصوَرْ
ولكنّني الآنَ أيْقنْتُ أنّ
المسافاتِ في الصّحْوِ
لا تُختصَرْ

* * *

فصُولٌ فصُولْ ..
فصُولٌ فصُولْ ..
خريفٌ ، شتاءٌ ، ربيعٌ فصيفْ
وكيْفَ أقسّمُ نفسِي كيْفْ؟

محمد البقلوطي

كل عام و « الفكر » بخير

بهذا العدد تنهي « الفكر » سنتها الثلاثين وتدخل فى إجازة الصيف راجية لقرائها الكرام صيفا ممتعا والى اللقاء فى مستهل الموسم الثقافى القادم مع حلول شهر أكتوبر 1985 .

الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس

بقلم : د. محمد الصالح الجابري

– 3 – (*)

لقد اعتبر الشعراء الجزائريون الطرقية والزوايا وانتشار الدجل من أفظع الاخطار التى كانت تستهدف الكيان الجزائرى وتهدده فى مقوماته الاسلامية . فالطرقية كانت تقف حائلا دون أى اصلاح غايته تجديد الفكر الاسلامى ، كما كانت مدعمة بقوة من طرف الاستعمار مهيمنة على عقول ونفسيات البسطاء والسذج الذين أبقاهم هذا الاستعمار على جهلهم وجعلهم فريسة للوقوع فى الخرافات وبين براثن المشعوذين .

وكرد على استشراء هذه الظاهرة وانتشارها وما أصبح لها من السلطان (1) قام العلماء والمفكرون والشعراء بالتصدى للطرقية والمرابطية وغير ذلك من

(*) انظر « الفكر » ع : 9 – س : 30 – جوان 1985 .

(1) يذكر الشاعر التونسى (سعيد ابو بكر) الذى كان زار شرق وجنوب الجزائر سنة 1927 فى رحلته التى نشرها بجريدة (لسان الشعب) التونسية صورة من نضال الادباء والشعراء الجزائريين ضد الطرقية والزوايا قائلا : «شاهدت فى بسكرة جماعة اصلاحية قوية على راسها الاستاذ الطيب العقبى وعضداه السيدان الامين العمودى الوكيل ، ومحمد العيد أحد خريجى جامع الزيتونة . واهم ما ترمى اليه هذه الجمعية القضاء على الخرافات القديمة والتنقيص مما يعلمه الناس عن الطرق والزوايا للقضاء عليها بعد ذلك بتاتا ، وهو أمر تعهد به العقبى الذى لا يترك فرصة تمر بدون أن يكون فيها خطيبا لا فرق عنده أكان ذلك فى طريق او مقهى أو حانوت عطار ، وقد حضرت عليه – أى العقبى – يتباحث مع اناس فى هذا الموضوع كان فى امكانه اقناعهم لو لم يقرن حديثه الصحيح ببعض التهكم الامر الذى جعل محدثيه يصرون على أفكارهم عنادا – رغم كونهم يظهر عليهم أنهم ادركوا الحقيقة» .

مظاهر الانحراف الديني (2) ، ونقلوا هذه المعركة ضد الطرقية وربيباتها الى الصحافة التونسية للتدليل على أن المثقف الجزائري يعي تمام الوعي ضروب ما يهدد كيانه وعقيدة آله من الاخطار والدسائس .

فقد أسهم خريجو الزيتونة اسهاما كبيرا في مقاومة الطرق ، وكانوا عماد جمعية العلماء مع ثلة من الافاضل امثال (البشير الابراهيمي) و(الطيب العقبي) و(الامين العمودي) ، ويأتي في مقدمة المصلحين من خريجي الجامعة الزيتونية (عبد الحميد بن باديس) و(مبارك الميلي) و(السعيد الزاهري) و(حمزة بوكوشة) وغيرهم .

ولم يكتف هؤلاء بالتنديد في كتاباتهم المعروفة بهذه الطرق والزوايا لكننا نراهم يوسعون نشاطهم الى نشر العلم الذي كان وسيلتهم الرادعة للحد من توسع الطرقية متخذين مختلف أنماط التعبير نثرا وشعرا ، حوارا وارشادا وتوجيها .

يقول (حمزة بوكوشة) مجادلا اتباع الطرقيين داعيا اياهم الى اتباع السلف الصالح ونبذ الخرافات والانحرافات :

رأينا الذي تدعونه الشيخ جاهلا عدوا لاهل العلم قد خرق الخلقا
بربك ما هذا التجاهل ؟ والعمى وما هو ذا الطغيان قدر زادك الحمقا
انرضى انحطاطا والشعوب تقدمت وبالحزم نالت كل مكرمة تبقى
الا جددوا عهدا مضى اهله وقد بنوا لكم مجدا على السنن الانقى (1)

وهو في مناسبة مماثلة يشيد بشباب (وادي سوف) ممن تصدوا لمقاومة الطرقية ، وشرفوا الوادي وأهله وشقوا عصا الطاعة في وجه المشائخ وحاكموهم :

---

(2) راجع في هذا الصدد أطروحة الدكتور ركيبي (الشعر الديني الجزائري الحديث) ص 513 . والفصل المتعلق بهذا الموضوع من كتاب (الشعر الجزائري) للدكتور صالح خرفي ص 31 و(الحركة الوطنية) للدكتور سعد الله ص 460 .

(1) (الوزير) 15 نوفمبر 1928 .

بنى الوادى المكرم لاعلمتم شبابا عانق السمر العوالى
شباب باتباع الدين مغرى وللبدع الشنيعة هو قال
وكم قد عاكسته شيوخ سوء ! وكم قد هددته على التوالى !
نعم قد أبعدوه بكل سوء وهل تحت الذباب ذرى الجبال(2)

وقد خصص (حمزة بوكوشة) عددا من : (زفراته) (1) التى كان يكتبها بانتظام لجريدة (الوزير) التونسية ، سواء عند اقامته بتونس او بعد عودته الى الجزائر لفضح أساليب (الطرقيين) وتوجيه سهام نقده (للمفسدين) الذين انتصبوا لنقد كل مصلح ، والتألب عليه مما يدل على شدة المعركة واتساع دائرتها وباع الطرقيين فيها وصلابة عريكة المصلحين للظفر فيها :

لقد شغفت بالنقد فى القطر فرقة وليس لها نقد سوى احرف الجر
وما ضرنى أن قلت بت متيما بليلاى أشكو الله عن ألم الهجر
أليس هدى القرآن خيرا لمهتد تنوب حروف عن حروف بلا نكر
وكم مفسد بالقطر ينقد مصلحا بسبه ، والتجهيل ، والرمى بالكفر
فمن لى بأن يدرى بأنه مفسد (ومن لى بأن يدرى بانه لايدرى)(2)

(2) (الوزير) 21 جويلية 1932 .

(1) تجدر الاشارة بهذا الصدد الى ان عددا من الشعراء كانوا يقومون برثاء العلماء المصلحين أو مدحهم تقديرا لمكانتهم واغاضة للطرقيين منوهين بمناقب هؤلاء وبنظرتهم الاصلاحية . ومن بين الشعراء الذين رثوا أو شاركوا فى امتداح لهذه الغاية نجد السعيد الزاهرى الذى رثى الشيخ الهاشمى بجريدة (النهضة) 8 اكتوبر 1923 ، ومكى جنيدى بن أحمد الجزائرى الذى رثى العالم الشيخ سرية ، الذى كان ينشر الاسلام فى افريقيا ومات هناك ونشر هذا الرثاء (بالزهرة) 18 مارس 1924 . وكذلك حمزة بوكوشة الذى نجده يكتب فى الذكرى الاولى لوفاة والده قصيدا بجريدة (الوزير) 22 مارس 34 يعدد مناقب هذا الوالد الذى علمه أن يحارب العادات ومشائخ السوء كما نجده يتعرض للطرقيين فى قصيدة الذى استقبل به عمار الازعر . حين عاد من الحج ونشر (بالوزير) 27 جويلية 1933 .

(2) (الوزير) 10 أوت 1933 .

وهو يشير فى هذا الصدد الى أن الطرقيين كانوا يتخذون من الهزء والسخرية بالمجددين وسيلة للطعن فى ثقافتهم ومعارفهم ، بالانتقاص مما يكتبون واعلان ذلك فى الناس حتى ينفضوا من حولهم ، ويتشككوا فى مواهبهم وعقيدتهم • وقد أدى تألب الطرقيين فى بادى الامر بالشيخ حمزة بوكوشة الى اليأس من وضع شعبه ، وهو يراه ينقاد الى الدجالين ويبيح لهم امتصاص دمه وعرقه ، وذلك قبل ان يحسم الموقف لصالح الحركة الاصلاحية:

برمت من الاقامة فى بلاد ... يؤول أهلها الكفر الصريحا
يقودهم المدجل للزوايا ... وياخذ منهم الثمن الربيحا
ليعطيهم من الجنات قصرا ... ويمنعهم اذا قدر أتيحا
وينفسهم من العلماء قوم ... بترك الدين يشرون المديحا
ويخشون اليهود مع النصارى ... ولا يخشون منخلق المسيحا(1)

وهكذا نرى (حمزة بوكوشة) يواصل حملاته على الطرقيين نثرا (2) وشعرا طوال سنوات متعددة على صفحات الجرائد التونسية ، وخاصة جريدة (الوزير) معضدا فى ذلك الجهد الذى يقوم به زملاؤه خريجو جامع الزيتونة الذين باشروا حملتهم دون هوادة على صفحات جرائد جمعية العلماء منذ العشرينات امثال محمد العيد ، والسعيد الزاهرى ، ومحمد اللقانى السائح ، ورمضان حمود وغيرهم •

على أن الدعوة الى نبذ الطرقية ومحاربتها وفضح أهدافها اقترنت بمشاعر روحانية اسلامية أشعت فى هذا الشعر لتفصح عن مدى تغلغل العقيدة الدينية فى نفوس شعرائه الذين كانوا يعبرون بلسان الشعب الجزائرى جميعه ،

---

(1) (الوزير) 20 ديسمبر 1930 .

(2) من مقالاته فى حملته على الطرقية ما نشره بالوزير فى 10 ـ 1 ـ 1928 و 10 ـ 5 ـ 1928 و 8 ـ 3 ـ 1928 • كما نطالع بهذا الصدد مقاله للبشير العلوى بن داود فى مهاجمة الطرقية بجريدة (الوزير) 21 ـ 6 ـ 1928 ؛ كما كان ساهم فى هذه الحملة على الطرقية من التونسيين الشاعر حسين الجزيرى صاحب جريدة (النديم) فى اعداد جريدته خلال أشهر ماى ، جوان ، جويلية 1923 حيث شن حملة على الشيخ احمد بن عليوة المستغانمى ناعتا اياه (بديوان الضلال) محذرا أهل عنابة من الانتساب الى حلقاته.

باعتباره شعبا مسلما وباعتبار البعد الاسلامي ركنا أساسيا من أركان الكيان الجزائري . فكان هؤلاء الشعراء يهتبلون المناسبات الدينية ليبثوا مشاعرهم من خلال القصائد مخاطبين في الشعب احساسه وعقيدته ومكارم رسوله المتمثلة في الحث على النهوض وتحطيم أغلال الجهل والاستعمار ، مثلما فعل ذلك (ابو بكر مصطفى بن رحمون) في ذكرى مولد الرسول حين توجه الى الشعب الجزائري المسلم يخاطبه في هذه المناسبة الخالدة بحماسة ومشاعر فياضة ، مبلغا اليه شكوى الرسول من أمته ونداءه اليها بالنهوض :

ايها المسلمون ان رسول الله منا يشكو الونى والخمولا
وعلى منبر الخلود ينادى أمتى حطمى عليك الغلولا
كنت لم تسع امة فى مجال المجد الا وقد تقدمت ميلا
لربى العز كنت تسعين عدوا بينما الغير كان يسعى زميلا
كنت فى قبة المعارف شمسا بينما الغير كان نجما ضئيلا
كيف أمسى منك التقدم احجاما ، وأمسى الصداح منك هديلا
وغدا فى شعوبك الدين غضبان وأمسى اللسان فيهم دخيلا (1)

وللتاكيد علىهذه المعاني وتزكيتها نرى الشاعر يضمن شعره شيئا من المعاني القرآنية كى يبدو أكثر تأثيرا واقناعا :

وارى الله لا يغير ما بالقوم حتى يحاولوا التحويلا
كيف يرجو الوصول يا قوم من لم ينو سعيا ولم يحاول رحيلا
سنة الله فى البرايا ولن تلقوا لما سن ربنا تبديلا

وعلى نفس النسق نرى الشاعر (عبد الله شريط) في ذكرى المولد النبوى الشريف يتذكر وضع أمته ، وما يكتنفه من المآسى والاحزان ، فتهزه الذكرى التي تثير في نفسه الجوى فيخاطب ما تخيله نجمة الذكرى بقلب مفعم بالالم، ويدعوها الى تملى هذه الحالة البئيسة علها تنقل صورة عنها الى الرسول عن الابناء الذين غدر بهم الدهر ، وعاكستهم الاحوال :

---

(1) (الصريح) 21 ديسمبر 1949 .

ذكرى الرسول لانت نجمتنـا التى ... بقيت تطـل وحيـدة بين الدجـى
فلكم تثيـرين الجـوى فى انفس ... بـاتـت مصفـدة باغـلال البـلا
ترنـو اليـك بـذلـة وكـآبـة ... وبعينها قلـب يسيـل مـن البكـا
ويد الظلام تـروح تخنـق صـوتها ... فتبيـت مثقلـة بـانـات الشجـا
ايه انظرى يا نجمة الذكرى انظرى ... هذى النفوس وما تعانى من شقـا
واذا رجعـت كليـلـة مـرتـاعـة ... وبوجهك الذاوى أخاديـد الاسـى
ورآك احـمـد دمـعـة منسـابـة ... من مقلـة الاسلام يدفعهـا القـلى
قولى لـه مـا قـد رأيت بارضنـا ... وصفى له دنيا يزعـزعها الضـوى
وصفـى له اهليـه فى غفـلاتهم ... والدهر يرقصهم كاوراق الغثا (1)

واذا كان الشاعران السالفان قد نظرا الى هذه الذكرى نظـرة اسـلامية روحانية ، واستلهما من وحيها ما يستلهمه الشاعر الثائر المتألم لاوضاع شعبه فان شاعرا آخر هو السعيد الزاهرى كان أسبـق الى أن يـرى فى ذكـرى الرسول مناسبة عظيمة لاستنفار العروبة والاسـلام معا ، ولوصـل النسب بين الجزائرى العربى المسلم كيانا وأرومة وجذورا وبين هذا القحطانى العربى الذى أضاء مولده الارض ، فكان هلالا انجابت بنوره سحب العالم وانبعثت العروبة من مرقدها لتصبح احدى الامم التى يفاخر الجزائرى بالانتماء اليها دماء وحضارة وعترة ونسبا :

هلّال عل الدنيا استهل فاشـرقت ... بهالارض وانجابت عنالعالمالسحب
فاصبح من بين الكـواكب رافـلا ... وليس لها الا هلال الهـدى قطـب
رآه ابـن قحطـان فايقـن انـه ... هدى ليس فيما قـد تيقنـه ريـب
فنادى به فى العرب هذا هـداكم ... فاقبل سـرب منهم بعـده سـرب
اذا كـان سعـدا للعـروبة طـالعا ... فـانا وان غـارت طـوالعنا عـرب
وانـا وان هنـا وهـانت ديـارنـا ... هوانا، فما زلنا الى عزة نصبو (2)

---

(1) (المباحث) 11 فيفرى 1945 .

(2) (وادى ميزاب) 28 سبتمبر 1928 .

هذا الاحساس بالنخوة والقوة ، واتخاذ الدين رغم هوان المسلمن وانحطاطهم وسيلة تحريض واستنهاض ومظهر اعتزاز ، لم يظهر بجلاء فى هذا الشعر الجزائرى المهاجر الا منذ ظهور الحركة الاصلاحية فى العشرينات وبعدها ، اذ نجد قبل مطالعة هذه القصائد المفعمة بمعانى الظفر والشدة شعرا يشكو غربة الدين الاسلامى ، وقلة انصاره فى بكاء وحرقة محملا الغرب كل ما اصاب هذا الدين واهله من اضطراب وشتات على غرار ما كتبه الشاعر (مصطفى محمود التبسى الجزائرى) فى سنة 1920 (الدين والانصار) قائلا فى شكوى الضعيف المستضعف :

الدين من قلة الانصار فى كدر ومن حوادث هذا العصر فى ضجر
اضحى غريبا عن الاوطان فى حرج يمسى ويصبح فى الالام والضرر
لهفى على الدين فالغبراء فى قلق مذ بان عنها فغاب نجمها الزهر(1)

والقصيدة لا تكتفى بالشكوى المريرة من قلة الانصار الدين يمكن ان يهبوا لنصرة هذا الدين ومد يد العون له ، ولكنها تحمل مسؤولية ما حدث للدين الاسلامى وأهله (أوربا الغادرة) التى نزعت نزعتها الاستعمارية الصليبية لتبسط نفوذها على جميع العالم الاسلامى وتوهن عزائم اهليه .

والاسلام فى شعر بعض هؤلاء الشعراء لا يجسم فقط الركن المكين من الكيان الجزائرى بقدر ما هو رابطة متينة وعروة وثقى تشد أبناء القطر الشمالى كله وتوحد بين شعوبه المتآخية اضافة الى ما يوحد بينها من الامشاج العربية .

هذه الفكرة برزت فى القصيدة التى خاطب فيها الشاعر (عبد الرشيد مصطفاى) طلبة شمال افريقيا المسلمين فى مؤتمرهم الذى عقد بتونس شهر اوت 1931 ، حين وقف بذكرهم بالوشائج الاسلامية وبنور الاسلام الذى ليس يخبو ، ولم ينفك هاديا وأمانا لوحدة شعوب هذه الاقطار المغربية :

أرى الاسلام نورا ليس يخبو ولم ينفك للهادى اماما
لقد ضم الجزائر وهى خود الى الخضرا ومراكش ضماما

(1) (الوزير) 24 جوان 1920 .

فكن به فرائد ساحرات رايت التاج يسطع والحزاما
وكان لهن من ابناء سام اسود شرى عزيز ان تراما
فالف بينهم دين دُعاهم لينزلهم من الخلد المقاما (2)

هكذا حمل الشعر الجزائرى المهاجر قبل الثورة هموم الوطن الجزائرى وافصح بحرية وانطلاق وشجاعة عن ارتباطات هذا الوطن القومية والاسلامية سعيا منه الى اغاضة المستعمر الذى عمل كل ما فى وسعه على قتل الشخصية الجزائرية وطمس معالمها ، ومحاولة فرنستها وتشويه لغتها ، وتلويث عقيدتها بافساح المجال للمشعوذين واصحاب الطرق ٠ كما سعى هذا الشعر الى بث روح النخوة والهمة وتثوير الشعب الجزائرى باحياء تاريخه المجيد وتبصيره بسيرة أسلافه الذين خاضوا المعارك الظافرة وبسطوا نفوذهم شرقا وغربا ٠

وقد استمر هذا العمل الاستنهاضى متواصلا منذ مطلع القرن بظهور عمر بن قدور وأضرابه وحتى الجيل الذى عاش مرحلة الثورة ، وكان أحد اصواتها البارزة عبر الصحافة التونسية ، والذى تمثلت رسالته لا فى الدعوة الوطنية والعروبة وتاكيد البعد الاسلامى للشخصية الجزائرية فقط ، ولكنه نهض بازاء كل ذلك بمهمة الاستنهاض وبث الحماس وتعبئة المشاعر ضد المستعمر، والدعوة الى مواجهته بكل أشكال المواجهة السلمية منها والعسكرية ٠

د٠ محمد صالح الجابرى

---

(2) نشرة (محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين) تونس 1931 ـ المطبعة الاهلية نهج الديوان 5 تونس ص II ٠

أنقاض طائر الجمر

شعر: هشام المممّدي

- 1 -

حَجَرٌ ..
وَطِينٌ ،،
وجنونٌ ينتقي غضب الجُنُون ،،
وَرَمَادُ اللَّيلِ
على لحْدِ المَدَى ...
والغُربةُ الأولى ..
لا تؤدّي
إلى لوْحِ الصّدى ...
وَيَدٌ ..
تَنْتَقِي جُثَثَ المَوْتَى

- 2 -

وحلّ ، ..
رَحِيلٌ
ولظَى ...

* * *

هَذِي
يَدِي مقْهَى
وبَابٌ ،،
سُحُبٌ ،،
خرَابٌ ،،

* * *

هَذِي
يَدِي خشب الجنون ،،
غُدَدٌ
كِتَابٌ
وَالرّيحُ شَدَا .. ،،

- 3 -

سقطت
أنقاضي ..
والماضي ..
شَجَرٌ ..
وَرَقٌ ..
حُفَرٌ ..

- 4 -

لاَ النَّارُ نَارٌ

والمقفّى غَضَبٌ
لا َ إخوتي .. إخوتي ..
عُشبُ الحَصَى
يَدخلُ المقهى وَحيدا
والظلّ
مفترَقَ الكلامْ .. ،
وعَذارَى الصّمتِ
على أنقاضي تَنام .. ،،

— 5 —

وَحلٌ ،،
ضَبابٌ .
وَحلٌ ،،
رحيلٌ ،
وَلظى ...

— 6 —

هلكتْ زَوايَا العمرِ
مرّ الماءُ
مبتهجا ،،
ونوق الرؤية اندثرتْ ...
وأنا السياحُ
مرّتين ،،
ومرّتين أنا الهلاكُ
وأنا المطرُ الآتي

في دمي تصطفّ نجومٌ
وحمّى البوحِ
على شفتي قمرٌ ..
أدخلُ المنفى وحيدا
والحلمُ متضح الغمامْ
عصفورة الدفلى ،
ورائي .. ،
وأمامي
لَظى المطر ،، .
والماءُ في قلبي ..
وقلبي يَمّحي
والحُبُ .. حَصى .. !
والغربة الأولى ،
لا تؤدي
إلى فجّ الصدى .. ،

— 7 —

هذا أنا ، لغتي الغيمُ
والرّملُ
وَجهي ،
وَدَليلي
أقواسُ الشذا .. ،
أفتحُ ، الآن أنقاضي ...
وأضمّ طيورَ الغيبِ إلى وجعي المضاء

صَوتي على وجهي
وجْهِي على صوتي
صَوْتِي على صَوْتِي
وَجْهِي على وَجْهِي
وبُخَارُ المنْفَى .
يَخْتَرِقُ السَّمَاءْ .. ! ،

— 8 —

مَنَحَتْنِي قَامَةُ الأنْقَاضِ
أبْعادَ الرحيلِ المرّ
عَلَى عشبِ الضبابِ
مَنَحَتْنِي على سُحُبِ اللّيْلِ
مُقْتَرَحَ الجَفافِ ،،
والضَوءَ
عَلَى قَيْحِ الخرابْ .. ،
مَنَعَتْ
لُغَتِي ، عَنِّي .. ،
وَدَمِي عَنِّي ،
وَعَذَارَى البُرْتُقَالْ .. ،

— 9 —

وَحَلّ
حَبَّاتُ وَجْهِي
ولَظَى دَقَّاتُ قلبِي ،
وقَلْبِي ..
يمَّحِي ..
وأنَا أمْشِي /
وَحَوْلِي البحرُ /
يمشي
وطني /
وَأنَا أمشِي ...
وَنُحَاسُ الماءِ على الحطبِ المكسور
في لوحِ الرمالِ
وَدَمِي أعشاب شمسٍ
وأقراص ريحٍ
تَنْتَهِي ..
تَنْتَهِي
أنْتَهِي
شَهْوَتِي
وعذارى البرتقالِ سَوْف تُخْفِي
تَعَبِي ،

— 10 —

شَاعِرٌ ..
هذا المَدَى .. ،
شاعِرٌ ... هذا المَسَا ..
شاعِرٌ .. حتَّى .. أنَا .. ،
وَعَذَارَى الرّيحِ .. رِيحٌ وَشَذَا ..

هشام المحمدي

هى الاقــــوى

قصة : عايده عبد الحميد

لم تحاول فى يوم ان تجرح كبرياءه أو ان تسىء الى مشاعره رغم انها كانت تلاحظ استخدامه المستمر ، للكلمات القاسية فى تعبيره وفى تصويره لاحاسيسه ..

كان حوارهما ـ حتى وان كان غزلا ـ سمفونية حزن تتغلغل حتى الاعماق ، كان كل منهما يقسو على نفسه وعلى من حوله ، كل منهما كان يعيش الكلمة القاسية التى كانت تجعلهما ينزفان على ممر الايام .. وتجعل اعماقهما تئن حتى تقل غربة ضارية ..

صراخ يعلو حتى الشفاه ولا يخلف غير الصدى .. الصدى المدوى فى صمت .. الصدى المرعب المدمر ـ كان ذلك ما جمعهما زيادة عن انها كانت مثله طفلة فى حاجة اكيدة الى يد حانية تسندها .. فى حاجة الى من يصرخ معها ويقول : «لقد أسانا الى هذا الزمن .. أسأنا اليه باساءتنا الى كلمتين عملاقتين عليهما يقوم العالم منذ الازل :

كلمة «الحب» وكلمة «الحضارة» .

كلمتان فى حجم الزمان أهدرناهما واهنا نبل ما تهدفان اليه ..

هو الآخر اختصاصه «حضارة» .. لعله يفهم اكثر من غيره فى العلاقات الانسانية لعله يحرص اكثر من غيره على الا يهين كلماته وعلى الا يهين مشاعره وعلى الا يجعل للعقل الكلمة الفصل فى كل شىء فاحيانا تكون العاطفة اوضح رؤيا وأنضج قرارا ..

علمها ان شرف المرء رجلا كان او امراة انما هو الصدق ..

صدق القول وصدق الفعل ..

علمها أن الرجل الفطن لا يجعل من امراته حيوانا غبيا يرقد بين قدميه .. بل يجعل منها شريكة له وندا وانه يعجب بعقلها وبذكائها وبمواقفها فى الحياة اكثر مما يعجب بجسدها وبلون عينيها ..

كم مرة قال لها : انه فى حاجة الى رأيها !

نفذت كلماته الى اعماقها فاسكنت للحظة الصراع الذى كان بينها وبين الرجل لم يشعرها فى يوم بانها دونه فى شىء .. على العكس كان يهرع اليها فى كل مشكلة صغيرة كانت أو كبيرة يستعين برأيها فيها .

وربما أرضى ذلك غرورها ولكنها لم تحس فى يوم انه اضعف منها .. ان عينيه تمتلكان قوة عميقة ترضى لديها شيئا ..

كانت نظرة الاحتياج فى عينيه اليها تصر لا على انها الاقوى بل على ان شيئا قويا عنيفا كان يجمع بينهما ..

* * *

احست انه مثل الاطفال يفرح ويحزن ويضحك ويندهش وينبهر ويغضب كانت له ـ مثلها تماما ـ آمال وطموحات وتطلعات اغتالت الظروف بعضها ولا يزال الأمل يراوده فى ان يعطى الحياة للبعض الآخر .. قليلون هم الذين تشعر ـ وأنت معهم ـ بالثقة والامان والاطمئنان .. عندما تراه تشعر وكانها قد عثرت على الوجه الذى يعيدها الى طفولتها ، الى الايام البكر ، الايام التى لم تعرف فيها الخوف او القلق او التردد .. منذ اول يوم راته فيه ، شعرت انها مثله تبحث عن مرفأ يريحها من عناء الطريق .. كان مثلها يبحث عن مستقر .. عن ظل ظليل يريحه من عناء مبهم ..

« لقد تعبت وتعبت جيادى » كلمات كان يلقى بها بين الحين والحين فترد عليه ضاحكة «انت الذى أتعبت الجياد وأتعبت نفسك» .

فيحتمى .. بها وتحتمى .. به ..

كانا سعيدين رغم قسوة الكلمات بينهما ..

الذى يراهما ـ وهما معا ـ يقول : «ان بينهما صداقة شبه خرافية» والا فلم كل هذا الخوف ، خوف كل منهما على صاحبه من ان تقتحم حياته صداقة جديدة ..

كان عيبهما انهما يبنيان فى كل يوم احلاما اكبر من طاقة اى انسان ٠٠ وكان الذى يدور سرا فى داخلها والذى يدور سرا فى داخله ، كانت لهما القدرة على معرفته دون أن يجهرا به وكانت تلك أبرز علامات عظمة العلاقة التى ٠٠ بينهما ٠٠.

بالرغم من كل ذلك فهناك وحش مخيف مرعب يداهمها عدة مرات فى اليوم : المفروض والواجب ..

عقلها اليقظ يشدها باستمرار الى صور من واقعهما الكئيب ٠٠

لماذا تحس احيانا انها الاقوى عندما يتعلق الامر بالآخرين ٠٠ ترى نفسها الأقوى .. .. انه لا يجرؤ على مواجهتهم .. من هم هؤلاء الذين اعطوا انفسهم الحق فى ٠٠ ان يتدخلوا فى حياته ؟

لماذا يشيرون عليه بان افعل كذا ولا تفعل ذا ٠٠ ؟

لماذا لا يكون هو الذى يشير عليهم ٠٠ ؟

حملقت فى .. الواقع تمتحن رفيقها .. اليست الحياة سلسلة امتحانات متسلسلة ؟

اخفت وجهها وبقيت بعيدا تختبر هذا الذى اصبح شيئا منها ٠٠ جزءا لا يتجزأ من كيانها ومن اعصابها ومن دمها ٠٠

★ ★ ★

دبت الاصوات ٠٠ بعضها همس وبعضها نظرات لاسعة فى صمت ٠٠ فى حزن مقيت قالت لها جارتها العجوز :

«لماذا لا تتزوجين يا ابنتى ٠٠ انك لا تزالين شابة وفى مقتبل العمر ٠٠ جارنا سالم يريدك وله مثلك طفل»

شىء لاسع مر يحرق حلقها ٠٠

«اتزوج جارنا سالم يا خاله ٠٠ لماذا ٠٠ الأنه غنى ٠٠ ألاننى تزوجت مرة ولم أوفق ٠٠ ألأن لى طفلين شعرت بمسؤوليتى ازاءهما فأخذتهما ليعيشا معى ٠٠ ثم الا تعلمين ان وحيد يريدنى ٠٠ واننى احب وحيد» ؟

قولى .. يا خالة : ماذا سمعت.. ماذا قالت لك أم وحيد ؟ تكلمى.. ارجوك ! كانت الجارة العجوز واقفة تحملق فى الفضاء ساكتة خرساء ..

طال الوقت وهى على هذه الحال ٠٠ لم تقل كلمة واحدة وقبل ان تمضى وتتركها قالت :

« فكرى فيما قلته لك يا ابنتى .. وحيد اعزب وانت معك طفلان » .

احست بها تختفى رويدا ٠٠ رويدا ٠٠ ومعها كان يختفى صوتها شيئـا فشيئا فلا يخلف وراءه غير صفير حاد مؤلم وغير الحيرة والدوار ..

لماذا تستهين بخبرة جارتها العجوز وبخبرة كل من حولها لتدور فى فلك مبادىء ونظريات لايمكن تطبيقها فى واقعنا ٠٠

ولكن وحيد ٠٠ ايمكن ان يكون مثلهم ٠٠ ما ذنبها ان كان وحيد اعزب وان كان معها طفلان ؟

ايطيح وحيد بضميره وبتفكيره الحر المستقل ليخضع لمن حوله ؟

هل يعتنق مثلهم تفكيرا زائفا ليعيش بينهم بوجه غير حقيقى ؟

اليس هو الذى علمها كيف تمارس الصدق والعدل والحب والحرية مـع كل من حولها ؟

اليس هو الذى كان يلح على تلاميذه وتلميذاته بان تكون لهم استقـلالية الرأى فى تعبيرهم وبأن تكون مواقفهم نتيجة نشاطهم الذهنى ، الخاص وبان يرفضوا اذا أرادوا أن يرفضوا ويصيحوا أن أرادوا أن يصيحوا حتى لا يكون تفكيرهم زائفا ورغباتهم زائفة وافعالهم زائفة ٠٠ ؟

هذه الثورة ، الثورة ضد التبعية والمسخ والغاء الذات وبان تكون انت اينما كنت اليس ذلك ما قربها اليه وجعلها تحرص على رفقته حتى فى احلك الظروف ٠٠ هذا الطيف الذى تعرفه اعماقها تعرف نظرة عينيه وتعرف نبرة صوته وتعرف شكل أصابعه .. أين تجده .. كيف تمسك به فى هذا العالم الواسع المزدحم ؟

لماذا ينفتح لها معه عالم واسع جديد ثم يتركها ويذهب ٠٠ ؟

انه الوحيد الذى اشعرها بان المراة تحتوى فى اعماقها على رجل وان الرجل يخفى بين ضلوعه امراة ٠٠

قال : إنه لا يمكن أن نفصل أحدهما عن الآخر .. أحست أنه مثلها صاح ونظيف فاحبته وآمنت به ٠٠ لم تتصور انها ستفقد ايمانها به ذات يوم ٠٠

لماذا يفتح الناس افواههم فى دهشة ؟ لماذا يتهامسون ؟

أليس من البديهى ان تسـأل عنه وكيف تسـأل عنه وهو الـذى تركهـا ليندس بين الآخرين ٠٠ ؟ وليضيع فى الزحمة ؟

كانت ترمقه وهو يسير موليا لها ظهره وسط جموع محتشدة من البشر٠٠ يبدو انه قد فقد القدرة على النطق فنطقوا بداله ٠٠ كأنها تشفق عليه ٠٠ لماذا .. لماذا يخذلها .. لماذا لا يكون وحيد الذى عرفته ؟..

فى هذا اليوم أحست بأنها الاقوى بالـرغم مما خلفـه وراءه من مـرارة وبالرغم من قسوة الكلمات بينهما فيما مضى من ايام فانها احست انها الاقوى لانها تستمد قوتها من ذاتها .. من ارادتها ومن اختيـاراتها .. لا المكـان ولا الزمان ولا الناس فى مقدورهم ان يفرضوا عليها شيئا هى لا تريده ولا تؤمن به أساسا ..

نظرات حادة كالخناجر ترشقها .. كان بامكانها أن تفعل مثله لتظفر بوجه اجتماعى يعجب الجميع ولكن لا .. ليقل الناس ما يقولـون .. أليس المهم أن يكون معها رجل أو أن يكون المرشح طبيبا أو محاميا أو ذا مال وسلطـة .. الاهم ان تحتوى رفيقها وأن يحتويها احتواء كاملا .. أن يشعرها انها نـد له وشريك ضرورى ، لا يمكن أن يستغنى عنه فى شىء ٠٠ أن تشعر انها تحبه فوق القوة وفوق الحب ..

أين هذا الرجل الذى ارادته فى يوم من الايام .. لقد ضاع منها فى زحمة أفكار ساقها الخوف المقيت . وتلاشت بضياعه أجمـل أحلامها معه .. الاحلام الممكنة والاحلام المستحيلة .. وعادت حياتها الى رتابتها بعد ان فقدت حركيتها انها تركت كل شىء .. النوم والاحلام ..

* * *

لم يعد فى مقدورها ان تفعل شيئا .. ما عدا الهرب ..

مجموعة مبادىء تقول : انها مبادىء رفيعـة ولكنهـا لا تنسجـم وواقـع الناس .. لماذا تكـون مبادؤهـا هى التى قضت عليهـا .. هى التى امتصت عمرها وهى التى جعلتها فى صراع دائم مع الواقع .؟ شىء مؤلم جدا .. كان عليها أن تفقد احترامها لنفسها لتحظى باحترام الآخرين ..

ماذا كان يجرى لو انها وضعت قناعا كما تفعل الاخريات ؟

لو انها كانت امراة .. مجرد امراة كما يقولون .. اللحظات لديها متشابهة والرجال كل الرجال سواسية لا فرق بين هذا أو ذاك الا بما كسب وامتلك.. امرأة لا تعرف ما نوع العلاقة التى بينها وبين رجلها .. الذى تعلمه أن هناك علاقة بينهما .. ما داما يعيشان معا .. وما دامت بينهما مصالح مشتركة .. وما دام بينهما أطفال .. امراة لها اسرار يجب ان تخفيها ولها أفكار لا تكشف عنها الا لجاراتها وبعض قريباتها ولها احلام تنتفى واحلام بعلها تلك هى حياة اثنين حياة تكثر فيها المجاملات ان لم أقل الكذب وتكثر فيها الاقنعة ويشتد فيها الضجر وتراعى فيها المصلحة .. مصلحة المال والعيال .. قاعدة أساسية ، للاستمرار معا ، ماء عكر لا يصلح لغير الضفادع التى وان كانت تقضى يومها كله تنقنق فهى عاجزة عن ان تتطلع الى السماء ..

واستها هذه الحقيقة بعض الشىء !

أحست أن الحقيقة معها وأنها صاحية ، بل أحست أنها اقوى وأعظم من الذكر نفسه لأنه عاجز مثل ضفادعه عن ان يطير ..

ان القيود تكبل رجليه ويديه وتسلسله سلاسل من ذهب .. ينطوى تحتها صاغرا ليخفى بين ضلوعه كيانا كئيبا وآمالا مسحوقة ، بالرغم من كل ما يتظاهر به من قوة وغطرسة وحب فى الامتلاك ..

* * *

ـ الهرب ، ومتى كان الهرب حلا أفضل لما يعتمل فى النفس من أوجاع ؟

ـ انني اختنق .. اختنق يا رجاء ..

ـ عيبك انك لا تبكين ..! انك صديقتى يا سعاد واعرفك جيدا .. لو بكيت لاسترحت ولكنك اقدر على التفكير ..

ساد الغرفة صمت .. انحنت رجاء لتحتضن رفيقتها قالت :

ـ كيف تحتمل نفسك كل هذا ؟

قالت سعاد فى ألم وكأنها تحدث نفسها .

ـ فكرت فى السفر يارجاء علّه يحملنى بعيدا عن نفسى ..

ساعتها شعرت بالخوف .. كانت خفت ان يتوقف قلبى عن المقاومة .. وهو الذى تعود ان يكون ثابتا فى كل الحالات ..

ـ لماذا تحاولين الهرب ياسعاد .. ومن أى شيء ستهربين ؟ أتهربين من نفسك .. من أشياء لصقت بكيانك وسارت مع دمائك ؟ أتحملين كـل هـذا وتقولين : إن السفر سيحملك بعيدا ؟

ـ لم تعد لى القدرة .. لم تعد ..

ـ اذن فانت شبيهة بالاخريات .. تنقادين لمفاهيم خاطئة وتتأثرين بأفكار ضحلة لم تنضج بعد .. أين هى أفكارك النابعة من ذاتك .. أين هى نفسك.. يبدو انك قد فقدتها وسط هذا الصراع الحاد بينك وبينهم . صعب ، صعب يا رجاء ان تشعرى انك فوق العادة .. فوق المألوف .. هذا الصعود الى فوق يجعل المرء يفقد انتماءه الى من هم حوله ويشعر أكثر بالوحدة وبالضياع وبالتشـــرد ..

فرغم تلك القدرة النفسية التى تساعدنا على ان نستخدم عقلنا وتفكيرنـا لنحظى باستقلاليتنا وليكون لنا موقف فنحن نضيع فى كل مرة نصطدم فيها بتلك النظرات المحدقة بنا والتى بها ألف سؤال وسؤال ..

كاننا بين أهلنا غرباء .

ـ ولكن الاغرب انك تشعرين بقوة ازاء هذه النظرات وازاء اصحابها ..

ـ بل ، أفليسوا هم الذين أصيبوا بمرض فقدان الذات ومن ساعتها لـم يعرفوا غير الانحناء ..

ـ اذن ، فلم كل هذا الحزن ؟

ـ كيف لى يا رجاء أن أواجه الجديد وتفكيرى مشدود الى الوراء !؟ كيف لى أن أتعامل مع المستقبل بدون خوف وأنا كلي قلق على مـا مضى وعلى مـا سيـأتى ؟

وحيد فى حد ذاته لم يعد يعنى شيئا بالنسبة لى يا رجاء .. ولكن وحيـد كمحتوى ، كفكرة .. كتجربة .. لا يمكن أن يموت مرة ثانية ..

وحيد الذى تعرفينه يا رجاء تافه رغم قوة عضلاته ورغم أفكاره التى بهرنى بها فى أكثر من مرة ، بل من قال انها افكاره .. وانها نابعة عن مواقفه وعن احساساته .. اننى بت أشك ، فى كل شيء .. أرأيت .. كان وحيد وهو معى لا يكف عن الحركة وعن الضجيج وعن التفكير وعن الابتكـار وكنت أحـب ضجيجه وأحب حركته وأحب أفكاره وابتكاراته رغم ما فيها من ازعاج ..

لماذا نراه اليوم وقد فقد السمع والبصر والكلام وليس حوله غير سكون القبور ؟

ـ تنبهت اذن الى انك قد أضعت شوطا من عمرك فى صراع لا أرض له .. من أجل من .. من أجل كائن زائف .. ورغبة زائفة وأمل ليست له جذور ..

ـ أجل يا رجاء .. ولقد قادتنى هذه الحقيقة الى احساس رائع .. احساسى بأننى لم أضيع شيئا جديرا بأن آسف عليه ٠

فى هذه اللحظة يا رجاء تعود بى الذاكرة الى وراء .. وراء جدا .. فيتراءى لى عبر الغيوم طيف لا يهمنى تركيبه ولا مضمونه .. الاهم اننى أحس كلما أذكره بيد حانية تحضر لتمسح حبات العرق عن جبينى ..

انه احساس دفين بوجود قوة تعيش فى أعماقى منذ أبعد الازمان ،تجعلنى أفتح صدري لهواء نقي ليس فيه ما يلوثه كلما أحسست بالاختناق !

امسكت حقيبتها ووقفت .. كانت الدموع تنهمر من عينيها حارة غزيرة .. قالت لها صديقتها وهى تقبلها :

ـ ألم أقل لك يا سعاد .. إنك تضيعين عمرك فى هذه المعارك .. ارفقى بنفسك .. ولا تظلميها أكثر .

تركتها وخرجت . صديقتها بالرغم من أنهـا تحاول ان تفهم فهى لا تفهـم شيئا .. لانها هى الاخرى نسخة من جداتها وجاراتها وعماتها ، ولكنها أفضل منهن بقليل لانها تسمعها الى النهاية دون ان تتذمر منها وفى كل مرة تعيـد عليها ما سمعته منها اليوم : « ارفقى بنفسك ولا تظلميها أكثر » .

* * *

عادت الى البيت كطفلة تشتاق الى أهلها ..

بالبيت طعم جديد .. كانها لم تكن به منذ سويعات .. لماذا احست بانهـا قد عادت اليه وكانها آتية من بعيد ..!؟

كل شىء بالبيت جميل .. اتجهت الى النافذة تفتحها .. تطلعت منها فرأت سماء آمنة تكسو ما فوقها وخضرة طبيعية يانعة تغلف الارض احست ساعتها بالحياة تدب فى أوصالها وتمنحها الامن والدفء والرضى .. وأيقنت ساعتها وهى بين أهلها أن المرأة التى ترفض ان تغير وجهها وان تتنازل عن آرائهـا كانسان شريف له كلمة وله موقف وله كيان هى المـرأة الاصـل .. المـرأة الطبيعية التى يكون تفاعلها مع من حولها تفاعلا صادقا ومثمرا .. وهى المرأة الأسعد لانها تعيش لحظة الصدق عبر كل اللحظات وانها المرأة التى يمكـن للدول أن تعتمد عليها فى بناء حضاراتها لانها المرأة الاقوى ..

تسابقت إذذاك الى ذهنها أسماء عديدة لنساء صنعن التاريخ فابتسمت .

عـايده عبـد الحميـد

صوت الفقراء لبودلار

تعريب : محمد بن صابر

سخر الدهر ففي الموت عزاء
غاية العيش وقد بات الرجاء
هو كالإكسير يحيينا انتشاء
وبه سرنا إلى حد المساء

كان في الإعصار والثلج الكئيب
نورنا الأسنى على الافق الرهيب
نُزلنا الرائع في الغيب القريب
حيث في الرّاحة والأكل نصيب

بنان السحر قد جاء الملاك
لك بالنوم وبالحلم سباك
بوطاء أيها العاري حباك

يا جلال الله يا كنز السّماء
تالد الأوطان ذخرُ الفقراء
أنت بابٌ فيه للغيب ارتقاء

دور الأدب العربي في مواجهة التحديات

بقلم : د . نور الدين بلقاسم

– 3 – (*)

1 – تناقض رجال الفكر بين القول والفعل :

أدى هذا التناقض الى عدم ثقة الواعين من الجمهور القارىء بالفكر ، وهو ما دفع بالكثيرين الى نشدان الوفرة والكسب على حساب العلم والثقافة . فقد اعطى انطباعا سيئا للناس كثير من الذين يدعون التقدمية من رجال الفكر ، ويركزون مفهومهم للتقدمية على معارضة الدولة ، فاذا ما أتاحت لهم الدولة نفسها فرصة الاندماج فيها ، فانهم يبدأون بالامتثال وينتهون بالتماثل . فاذا ما أصبح الفنان شريكا للدولة فانه يسقط في تبرير عنف السلطة ، و « العنف ليس هو البوليس والجيش فقط . هو الصحيفة الرسمية ، الكتاب الرسمي ، الاذاعة ، التلفزيون ، المدرسة ، البيت ، المعمل ، المتجر » . (55) .

فعنف السلطة هو كل ما يعلن الاخصاء والعقم والانسداد .

والفنان الذي يبرر هذا العنف هو فنان غير واع وغير مبدع وغير منتج ، وهو عادة ما يكون اما من اليمين المتخلف ، او من اليسار الانتهازي .

ان الفنان الحق مكلف بالانطلاق من تحرير حيزه الاجتماعي لكي يتوصل الى تحرير حيزه الايديولوجي ، وعندما يبلغ الفنان هذه المرحلة يكف فنه عن أن يكون جزءا من العملية الاستلابية التي تقوم بها السلطة ، وعندها يتمكن من انتاج النص المضاد للنص السائد المتهرىء (56) .

(*) أنظر الفكر ع : 6 و 7 – س 30 – 1985 .

(55) نفس المرجع السابق : 63 .

(56) محيي الدين صبحي – مضادات ثقافية – مجلة الكفاح العربي : 63 .

هذا الفنان القادر على تحرير ذاتـه وتحريـر حيـزه الاجتماعي هو الذى سيكون الانموذج والمثال للانســان العربـي المقبـل ، وهو الذى سيكـون المبشر بنمط الحضارة العربية القادمة ، وبأسلوب بنائها وبطرق السلـوك اليهـــا .

2 ــ جر الشعب الى السطحية والابتذال الثقافـي :

وما سبق ذكره يندرج فـي نطاق جـر النــاس ــ بما فيهم رجـال الفـن والادب ــ الى الابتذال والسطحية الثقافية ، فهناك أقليات كثيرة على رأسها بعض الاقليات من أصحـاب رؤوس الاموال وأصحـاب القرار السياسـي ، تحاول أن تتفـه الشعب بجره الى الابتذال والسطحيـة الفكريـة والهـزال الثقافي . فتعمد الاقليات المذكورة الى فرض أدبائها وفنانيها ومفكريها الذين يخدمون مصالحها ، فتمكنهم من الاذاعة والتلفزة والسنما والصحافة ، وهى تعلم أن قيمهم وانماط سلوكهم لا تمت الى الشعب بصلة ، لانهم تجار فكـر وثقافة ، لا تشكل قيم الشعب الاصلية فى نظرهم أكثـر من ألفاظ مستهلكة وهم فى انتاجهم الادبـي والفني كلاميون وطفيليون يبحثـون عـن الشهـرة والصدارة لا عن الحـــق .

وسوق الناس الى الهزال الثقافى هـى حيلة ابتكرتها الطبقـة المسيطرة للاحتفاظ بامتيازاتها غير المبـررة ، ولتغطية الصراع الاجتماعـي الحاد ــ بين الاصيل وغير الاصيل ، وبين الثابت والمتحـول ــ بفئة ممن يتصفـون بالفكر ، برغم أن هذه الفئة لا تمثل فى الواقع الا القشـرة الثقـافية فى الفن والادب ان لم أقل فى السياسة كذلك (57) .

ولعل هذا ما جعل كثيرا من المفكرين العـرب الممتازيـن يعيشون فـي الظل والتعتيم ، لانهم لا يخدمون بفكرهم الاقليـات العليا ، وانمـا يخدمون الشعب وقيم الشعب ، ويحاولون برغم الضغوط ــ تحريك الركود المخيف فى الواقع الاجتماعي ، ومحاربة عقلية : « ليكن الطوفان مـا دمت فى مـأمن منـه » .

---

(57) الياس لحود ــ أدب الابتذال ــ مجلة الكفاح العربى : 69 ، العـدد 50 ــ 733 ، السنة 5 ، الاثنين 28 ايار ــ 3 حزيران (يونيو) 1979 م.

3 ـ **سيادة الامية احطت من شان الادب :**

ومما أدى الى الهزال الثقافى والتسيب الفكرى سيادة الامية فى الوطن العربى « فنسبة الامية بين الذكور 60،5٪ ، ونسبة الامية بين الاناث 85،7٪ ، فيكون المجموع العام بين الاناث والذكور 73٪ من الاميين . » (58)

ان امة فيها هذه النسبة من الامية لا يمكن أن تنتشر فيها قراءة الادب انتشارا واسعا ، ولذلك لا يمكن للادب ان يؤثر فيها .

فالادب فى هذه الحالة لا قيمة له ما دامت الجماهير غير متعلمة لانها لا تستطيع القراءة والكتابة ، وهذا يجعل الجماهير نفسها غير واعية بالواقع غير محيطة به لتخلفها الذهنى والتوعوى . وقد زاد فى الطين بلة سببان آخران هما :

أ ـ معاناة الجماهير من سيطرة السلطة وتحجيمها لكل مناضل شريف

ب ـ الفقر المدقع الذى تعانيه نسبة كبيرة من هذه الجماهير ـ رغم كثرة الموارد والسيولة المالية خاصة فى الاقطار العربية البترولية ـ وهو ما جعل الجماهير نفسها تتلهى بالضرورات اليومية ، فلا تعنيها ـ لذلك ـ الثقافة ، كما لا يعنيها الفكر بكل مناحيه لان مطلب الخبز عندها فوق كل اعتبار .

وافتعال الخصاصة الاقتصادية ـ التى تعيشها نسبة من الجماهير ـ هى حيلة أخرى ابتدعتها الاقليات الصانعة للقرار ـ بالاضافة الى رداءة الظروف الاقتصادية العالمية ـ سيرا على القاعدة : « اذا جوعت كلبك يتبعك » .

وقد قلل من شأن الادب كذلك سببان آخران هما :

أ ـ الفهم الخاطىء للمعاصرة .

ب ـ والفهم الخاطىء لعالمية الادب .

أ ـ معنى المعاصرة الادبية :

يؤكد أعداء الحضارة العربية أن المعاصرة هى الارتباط كليا بحضارة الغرب ، لان الغرب سبقنا بمراحل كبيرة وطويلة ... علينا كى نحذو حذوه

(58) نور الدين بن بلقاسم ـ العربية بين الواقع والامكان ـ مجلة الحياة الثقافية التونسية : 71 .

ونلحق بركبه أن نخطو خطواته ، بل علينا القفز عشر خطوات أو مائة خطوة مقابل كل خطوة يخطوها الغرب ، كـي نصل الـى ما وصل اليـه ، ويؤكد أعـداء الحضـارة العـربية أن علينـا ـ كي تتم هذه الخطوة ـ رفض السلفي والتقليدي من الفكر عندنا حتى تكون المعاصرة هـي المعادلـة الحضاريـة الانسانية على مختلف المستويات . (59) .

والحقيقة أن هذا خطأ فادح ، ومغالطة واضحة فالمعاصرة في الادب تعني الامور الثلاثة التالية :

1 ـ أن يكون النص الادبي مفيدا للعصر ولو كان قديما ، بحيث تدفـع هذه الافادة عجلة الفكر والتطور الى الامام باستمرار ، وعلى هـذا الاساس فان الفلسفة العربية والادب العربي القديم معاصران برغم قدمهما .

2 ـ أن يعيش الاديب مشاكل عصره وقضاياه بعمـق حتى يكون المفكـر الواعي والضمير الحـي المعبر بصدق عن هذه القضايا .

3 ـ المعاصرة تعني كذلك أن نواصل الطريق الذي بدأه أجدادنا العظام في فتح العالم وتحريره من الجهل والسقوط والانحدار ، وذلك بخلق مفهوم انساني شامل للحياة البشرية (60) على أساس التجذر في التراث واستلهامه ومحاورتـه واحيائـه .

فرجال الفكر العرب مطالبون ـ اليوم أكثر من اي وقت مضى ـ بمواصلة ما انقطع بين التـراث والمعاصـرة ، لان الحضـارة العربية شأنهـا شـأن الحضارات الاخرى هي عبارة عن خط بياني يمشـي صعـودا نحو الاعلى دون توقف ، بحيث يأخذ الجيل اللاحق عن السابق مهمة السير بالحضارة نحـو الاعلـى .

ان تشديد رجال الفكر على هذا هام مصيريا ، لاننا بهـذا نحقـق أصـالة أدبنا ومعاصرته في آن واحد ..

فلا يكون بذلك أدبنا مقلدا لادب الغرب كما نقلد نحن الآن أنماط العيـش وأساليب الحياة الغربيـة .

---

(59) ياسين رفاعية ـ أسبوعيات ـ مجلة الكفاح العربي : 59 ، العدد : 6 ـ 6729 السنة 5 ، الاثنين 30 نسيان (6 ايار) مايو 1979 .

ب ـ عالمية الادب فى قوميتـــه :

ومن التحديات التى تقف أمام الفكر العربى وتقلل من انتشاره تفـريـق البعض منا بين العالمية والمحلية فى الادب .

ففى رأى هذا الفريق أن الادب العالمى المعبر عـن القضايا الكبرى هـو الذى لا يرتبط بزمان ولا مكان . فالمفكر النابغة ـ حسب هذا الفريق ـ هو الذى يستطيع التحرر من سجن الارض التى ينتمى اليها (61) .

والحقيقة ان هذا خطأ نسجله على كثير من أدبائنا ، وهو ما جعل كتابات كثيرة فضفاضة معلقة فى الهواء لانها لا ترتبط بمشاكل انسانية معينة فى بيئة بعينها . ان انغراس الادب فى البيئة العربية وتصويره لمعاناة الانسان العربى فى حياته اليومية ، يجعل منه أدبا عالميا ، لانه لا تعارض بين الفكر القومى المنغرس فى بيئته وبين الفكر العالمى . أضف الى ذلك أن العالميـة فى الادب ترتكز على الابداع الفنى فى الاثر ، والفنان المبدع يمكـن له ان ينطلق من مشكلة محلية ليجعل منها مشكلة انسانيـة عامـة ، يجد القـراء فيها أنفسهم على اختلاف أزمانهم وأوطانهم .

فالابداع الحق هو السمو بالمحلية الى العالمية ، لان انغراس الادب فـى بيئته يكسبه خصوصية معينة هى نكهة الارض التى نبت فيها ، حيث تؤهله هذه الخصوصية ـ اعتمادا على قدرة الكاتب المبدع ـ كى يكون هذا الادب رافدا من روافـد الآداب العالميـة .

ذلك ان الفكر العالمى عبر التاريخ هو فكر قومـى .

---

(60) نفس المرجع السابق : 71 .

(61) صفوان قدسى ـ فى الخصوصية القوميـة . مجلة الكفـاح العربى : 59 ، العدد 6 ـ 729 ، السنة 5 ، الاثنيـن 30 نسيـان (6 ايار) مايـو 1979 م .

ففلسفة سقراط (470 ــ 399 ق . م) (62) وأرسطو (384 ــ 322 ق . م) (63) وأفلاطون (430 ــ 347 ق . م) (64) هي في جوهرها فلسفة اغريقية عبرت عن عبقريته الامة اليونانية في زمان معين ، وفي حقبة معينة ، وبرغم نشوئها في ظروف قومية خاصة ، واصطباغها بصبغة محلية خاصة فقد وجد فيها المفكرون عبر التاريخ فكرا تجاوز المحلية والقومية (65).وقل مثل ذلك في الفلسفة الالمانية عند نيتشه (1261هـ / 1844م ــ 1317هـ / 1900م) (61) وكانط

---

(62) سقراط (SOCRATE) : ولد في أثينا ، وعلم فيها الفلسفة ، كان يلقى دروسه في الازقة وبين الجماعات بأسلوب السؤال والجواب . قاوم تعاليم السفسطة ، وانتقد الحكم فاتهم بالزندقة وحكم عليه بالاعدام . فشرب السم في سجنه فمات . وصلت الينا تعاليمه عن طريق تلميذيه أفلاطون وكستينيون . (انظر : المنجد في الادب واللغة : 256 ــ بيروت 1960 م) .

(63) أرسطو (ARISTOTE) فيلسوف يوناني من مؤلفاته : الخطابة السماء والعالم ، الكون والفساد . (أنظر : المنجد في الادب واللغة والعلوم : 13 ــ بيروت 1906) .

(64) افلاطون (PLATON) : من مشاهير فلاسفة اليونان ، تلميذ سقراط ومعلم أرسطاطاليس أو أرسطو . أساس فلسفته « الصور » من مؤلفاته « الجمهورية » او « السياسة » . « المحاورات » (« كريتون Criton » ، « فيدون Phédon » ، « تيمه Timéo » الوليمة) (أنظر المنجد في الادب والعلوم : 28 ، بيروت 1960 م) .

(65) صفوان قدسي ــ في الخصوصية القومية ، مجلة الكفاح العربي . 59

(66) نيتشه (NIETCHE) : فيلسوف الماني . قال بأن الحق للقوة . والى تعاليمه يرجع كارل ماركس في وضع مبادىء الشيوعية المادية . من تآليفه « هكذا حدث زرادشت » . جن في أوائل 1316 هـ/1899 م ومن ثم بقي مذهول العقل منهوك الجسد طيلة اثنى عشر عاما الى أن توفي . (انظر المنجد في الادب والعلوم : 544 ــ بيروت 1960 م) .

عما نوئيل (1129هـ/1724م ـ 1209هـ/1804م) (67) وهيقل فردريك (1186 هـ/ 1770 م ـ 1247 هـ / 1831 م) (68) هذه الفلسفة برغم أنها تعبير عن نـزوع الامة الالمانية الى بناء دولتها القومية واحساسها بتفوقهـا ـ برغم ذلك فان هذه الفلسفة تجاوزت حدود الوطن الالماني وصارت ملكا انسانيا عاما . ولعل ذلك ما يحدوني الى مطالبة القـوم بأن يكـون الفكـر العـربي على اختـلاف منازعه قوميا ، ينطلق من تصوير مشاكل الانسان ومعاناته ونزوعه الدائـم الى الحق والعدالة والمساواة ، وتشوفه الى مجتمع متبـوع لا تابع ، يسوده العلم الصحيح ، والقانون المجمع عليه ، والاخـلاق الاصيلـة المأخوذة من تراث الامة لا المستوردة من مجتمع الاستهلاك .

ان الفكر العربي أو الادب العربي يصل بهذا الى هدفين :

الاول : أن يكون أدبا عالميا بانغراسه فـي القضايا القومية .

الثاني : أن يكون بتصويره للمعاناة التي يعيشها الانسـان العربي أدبـا تحريضيا يدفع الجماهير الى الوعي بذاتها وذلـك لتغيير النمط المجتمعـي القديم المتصارع المتنافس ، وبنـاء نمط جديد يرتضيه التطـور ، ويكـون كفيلا ببناء الحضارة وذلك بتعاون كل أطرافه في عملية البناء .

وبهذا يمكن أن يوظف دور الادب العربي فـي مواجهة كافة التحديـات . لان الادب الذي يخلق في مناخ كمناخنا هـذا تملؤه التفجرات والتناقضات ، وصارت فيه قيمنا وحضارتنا وحياتنا نفسها مهددة بالانقراض ـ هذا الادب لا بد أن يكون مقاتلا ومؤثرا في الواقع وقائـدا له وراسما لمسـاره . ولـن يتسنى لادبنا ذلك الا اذا تخلص من أمور لا تزال تشده الى الخلف وهـي :

---

(67) كانط (KANT) : فيلسوف الماني . قال بالحريـة وخلود النفس وبوجود الله . من كتبه « نقد العقل النظرى » و « نقد العقل العلمى » (انظر المنجد في الادب والعلوم : 432 ـ بيروت 1960 م) .

(68) هيقل : (HEGEL) : فيلسوف المانـي . قال ان الكائـن والفكر شيء واحد والفكرة تتطور على مراحل : الاثبات ثم النقض ثم الخلاصة ، من كتبه « المنطق الكبير » و « مبادىء فلسفة الحق » . (انظر المنجد في الادب والعلوم .

أ ـ الفن للفن .

ب ـ الغموض لاجل الغموض فى الادب .

ج ـ أصحاب المسوح الفكرية .

أ ـ ضرورة التخلي عن قضية الفن للفن :

ان هذه المسالة جعلت قسما هاما من أدبنا المعاصر سلوى يتلهى بها الواقفون على رصيف الحياة .

فنحن الآن أحوج ما نكون الى أدب مقاتل لا الى أدب مهادن يسترخى فى الاجواء الرومانسية الغائمة ويرقد فى ظلال الزيزفون .

فاذا جعلنا من أدبنا مهمازا للنائمين فاننا بذلك يمكن أن نساعد الجماهير على الوعى بذاتها ووضعها ، ويمكن أن ندفع بالناس الى معرفة واقعهم المتخلف ، فيسعون بدافع ذاتى الى التخلص من الجهل والمرض والخرافة والتسيب والاوضاع المحدودة ، هذه الآفات التى ما زالت تشدنا الى الخلف (69) .

ب ـ ضرورة الابتعاد عن الغموض لاجل الغموض فى الادب :

ان الادب الغامض المبهم المفكك هو تغريب للقارىء واستبلاه له . وان الادب الباحث عن الايقاع الموسيقى فى الالفاظ دون تركيز على المعانى هو أدب هروب لا يمكن أن يغير الواقع أو يتحاور معه ، لان الشاعر أو الناثر ـ فى هذه الحالة ـ يجعل بينه وبين العالم الخارجي ستارا من الرموز والصور القابلة للتأويل حتى لا ينكشف موقفه الحقيقى من الممارسات الخاطئة فى الواقع نفسه ، وذلك ايثارا للسلامة على التضحية .

اننا فى هذه المرحلة بالذات نحتاج الى أدب لا يقصد الغموض لذاته ـ تغطية لعجز صاحبه عن الايفاء بالعناصر الفنية اللازمة فى الاثر الفنى ، أو

---

(69) أحمد البطراوى ـ لقاء مع الشاعر التونسى الميدانى بن صالح ـ الاسبوع الثقافى الليبى : 7 العدد 415 ، الاثنين 9 جمادى الآخر 1399 هـ/ 7 ماى 1979 م .

تقيه من عقاب ـ انما نرغب فـي أدب واضح جلي يفضح الواقع ويعريـه ، بحيث يفهمه القارىء العادى مثلمايفهمه القارىء ذو الاطلاع الواسع .

انه لمن العبث أن يكتب الشعراء خاصة القصائد ، وينشرون المجموعـات فيستخدمون فيها الرموز ، ويجهدون أنفسهم فى تراكيب وصور يعجز حتى من ينتسب الى الثقافة عن فهمها أو ادراك مقاصدها . ان ظاهرة الغمـوض والانغلاق خاصة عند أدباء السبعينات والثمانينات هـى ظاهـرة لا جدوى فيها لانها لا تساير مرحلة النضال التى نعيشها باعصابنا .

فظاهرة الغموض المذكورة سابقا هى ظاهرة مستوردة ، قدمـت الينـا من أوروبـا مع التيار السريالى فى الادب والفـن ، وتلقفناهـا ، فنبتـت وتجذرت فى ديارنـــا .

وقد انعكس هذا التيـار السريالـى على أدبنا الحديـث ، فكان منا من يقصد الغموض لذاته لعجز فى البيان ، أو لخوف من المسؤوليـة ـ كمـا ذكرت آنفا ـ أو لعقد نفسية متأصلة فيـه ، فطفـت آثارها علـى انتاجـه الادبـــى .

ان الجماهير المعنية بالقراءة ما تزال أغلبيتهـا أمية ، ولكى نخدم هـذه الجماهير لا بد من الوضوح فى الادب ، على أن لا تؤول هذه السهولة الـى اسهـــال .

وعلى شعرائنا أن يقنعـوا الشعر بان يتخلـى عن ارستقراطيتـه ـ لان الشعر العربى فى أصله هو شعر الجماهير ـ وذلك بانزاله الـى الساحات العامة ، والى الشوارع كى يلعب مع أولاد الحارة ، ويضحك معهم ويبكـى معهـــم .

وعلى شعرائنا كذلك أن يرفعوا الكلفة بينهم وبيـن « لسـان العـرب » و « محيط المحيط » وأن يقنعوا القصيدة الحديثـة بأن تجلس مع النـاس فى المقاهى والحدائق العمومية ، وتتصادق مع التلاميذ والعمال والفلاحين وتقرأ الصحف اليومية حتى تكون لغتها فى متناول أذهان الناس (٧٠) .

---

(٧٠) نزار قبانى ـ كتاب قصتى مع الشعر : 121 ـ 122 ، الطبعة الاولى ـ بيروت 1973 م .

فالادب البسيط والعميق فى آن واحد هو الادب المستقبلى القادر على خلق جمهور واع بالواقع ، بحيث يستطيع التفاعل معه لتغييره ولازاحة التحديات القائمة أمامه .

اصحاب المسوح الفكرية :

هناك من أهل الفكر من يجعل من الكتابة ضربا من ضروب البذخ لا ضرورة من الضرورات التى يعيش بها ولها صاحب الفكر الحق .

والواقع ان هؤلاء هم الذين يلبسون مسوح الفكر ، لانهم لا يرتبطون بالواقع الاجتماعى والحضارى للامة ، ولا يتحسسون آلام الناس ومشاكلهم ولان الكتابة عندهم ترف ذهنى فانهم يبيعون مبادئهم فى أول فرصة . ولعل ذلك كان كذلك لان أغلب هؤلاء نشأوا فى بيئات ارستقراطية عربية ، وتعلموا فى بيئات أرستقراطية غربية، فتأثرت أفكارهم ورؤاهم بتلك البيئات التى نشأوا فيها وتعلموا . فصاروا ينظرون الى الشعب من فوق كما ينظر عابر السبيل الى مجتمع النمل .

هذا النوع من المفكرين هم الذين لا يقفون مواقف محددة من القضايا المطروحة على الساحة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لانهم يتلونون مع الظروف ، ولانهم يخافون من المسؤولية ، ويرهبون تبعاتها ، ولعل ذلك ما جعلهم يعرفون حاجة السوق الى التقليعات الادبية ، فيتلاعبون بأذواق الجماهير عن طريق الكلمة الحالمة ، والجمل المموسقة والمواقف المثيرة مثل التظاهر بالدفاع عن الحرية ، وترديد شعارات الثورية والتقدمية (71) .

ان هذا يستعملونه سلما للوصول الى أهدافهم وغاياتهم .

فأولئك هم الذين يحملون على الصعيد الفكرى المفاهيم الارستقراطية ، فيرون – كما رأت الارستقراطية الفكرية فى أوروبا – انالتاريخ يفسر على

---

(19) أحمد البطراوى 7– لقاء مع الشاعر التونسى الميدان بن صالح ، الاسبوع الثقافى الليبى : 7 ، العدد 415 ، الاثنين 9 جمادى الآخر 1399 هـ / 7 ماى 1979 م .

ضوء أعمال الشخصيات البارزة دون أدنى اعتبار للعوامل الاخرى الاساسية ، فلولا الفرد فى رأيهم لما تحرك التاريخ .

هذا ما جعل هؤلاء المفكرين يرتبطون باليمين السياسى والفكرى أو اليسار الانتهازى فى البلاد العربية .

فيسخرون لذلك أقلامهم لكل ما يوفر لهم الارباح والمناصب ، ويعكفون على عبادة الشخصية ، جاعلين من السلطان (ك) مثلا أكثر علما من ابن سينا ، وأكثر شاعرية من المتنبى ، بل وأكثر بطولة من خالد بن الوليد .

هؤلاء لا يستطيعون مواجهة التحديات الشرسة التى يواجهها العرب اليوم لانهم يموهون واقع الفكر ويزيفونه .

الأدب احساس بالواقع :

أكبر قضية من قضايا الادب العربى تتمثل فى السؤال التالى : كيف نواجه التحديات وكيف نعبر عن قضايا المجتمع الكبرى من الداخل تعبيرا لا تخنقه الشعارات ولا حدة التقرير السياسى ؟ .

الحق أقول ان الادب الحديث يعانى كذلك فى بعض نماذجه من « تورم » العنصر السياسى على حد تعبير غالى شكرى .

ولكن المشكلة الاخرى المطروحة هى أن السياسة جزء من الحياة العامة (72) ، فكيف نعبر عن هذا الجزء ونظهره فى تلاحمه مع بقية التفاصيل فى العمل الادبى ؟ .

« القضية تتمثل فى كيفية الاحساس بالعنصر السياسى ، وكيفية التعبير عنه دون أن نعتلى منصة الخطابة » (73) .

---

(72) يوسف القويرى ـ كتاب فى الادب والحياة : 87 ـ الطبعة الثانية ، الشركة العامة للنشر والاعلان طرابلس ـ ليبيا 1979 م .
(73) نفسه : 88 ـ 91 .

فالعمل الادبى « ليس محصورا فى كونه تخطيطا للواقع الذى ينبغى أن يكون ، بل يشمل كل جهد يبذل للنهوض بالواقع أو تغييره أو حثه على التقدم بمعزل عن » (74) السلبيات التى يتخبط فيها الواقع نفسه .

وبرغم أننا لا نسلم بأن الاعمال الادبية والفكرية غير قابلة للتطبيق كجدول أو برنامج ، الا اننا نؤمن بتأثير الادب فى الواقع على المدى القريب أو البعيد .

ولكن هذا التأثير بالنسبة للادب العربى سيظل محصورا فى نطاق الفئات المتعلمة التى تستطيع أن تقرأ وتتابع وتستوعب ، والتى امتصت بدرجة كافية أو غير كافية روح الحضارة الحديثة (75) .

ان هذا يعنى أن غالبية المجتمع العربى من فلاحين وعمال ستبقى بمعزل عن الارتباط بأعمال الادباء العرب ، وذلك لنسبة الامية المرتفعة والمنتشرة بين هذه الاغلبية كما ذكرنا ذلك سابقا . وهذا هو التحدى الاكبر أمام الفكر العربى المعاصر .

ولكن مهما يكن من امر فان ادبنا يمكن له ان يخوض معركة التحديات اذا ابتعد عن الغموض لذاته وعن قضية الفن للفن ، وتخلى الشعر عن ارستقراطيته ، وانغمس فى واقع الجماهير ليحرضها على تجاوزه وبنائه من جديد على أساس العلم الحديث .

وهذا يكون اذا توفرت الاسباب التالية :

أ ـ توظيف التراث فى خدمة أهداف الامة فى التحرر من كل الضغوط على أن لا تكون عملية احياء التراث تعنى قبوله دون تمحيص ومعرفة الصالح منه من غير الصالح .

---

(74) نفسه .

(75) يوسف القويرى ـ فى الادب والحياة : 93 .

ب ـ ربط قضية العودة الى التراث بقضية بناء الثقافة العربية ذات المحتوى المتوازن بين جميع الحقول المعرفية ، وذلك للقضاء على الثقافة الاستهلاكية ذات المحتوى الفارغ .

ج ـ القضاء على الازدواج النفسي داخل الثقافات الوطنية .

د ـ تأمين الحدود اللازمة لحرية التعبير .

هـ ـ الارتباط بقارىء ثابت وغير مزعزع .

و ـ القضاء على مشكلة الامية المكدرة لحياتنا ، والشديدة الخطر على التقدم الاقتصادي والاجتماعي في أمتنا .

ز ـ أن تكون مهمة الادب العربي المعاصر اكتشاف الطريق الى الحقيقة العاطفية والفكرية والواقعية للامة العربية .

ح ـ أن لا يعكر الحقيقة السابقة التفكير العقائدي والتحيز المشوه لمذهب من المذاهب ، أو لنمط من الانماط المتقلبة في الحياة السياسية والفكرية .

بحيث ، حين يتوفر هذا يمكن أن يكون الفكر العربي موظفا في معركة المصير ، ومعركة البناء الحضاري .

ووقتها يستطيع المفكرون العرب أن يفجروا ينابيع جديدة من الجرأة الادبية والجمالية لكي يصبح بالامكان محاربة طغيان المادية التي تمثل تحديا آخر لامتنا العربية المسلمة .

وعندها كذلك يمكن محاربة القصور والضيق في أفق التفكير العربي الذي نتجت عنه عقلية « ليكن الطوفان ما دمت في مأمن من الغرق » ، ونتج عنه الشعور بالاحباط وعبادة الشخصية .

وحينئذ يمكن لادبنا أن يحارب فساد الذوق والعادات البالية الراسخة والهجينة الغازية ، فيمثل بذلك روح العصر الجديد ، ويستخلص جوهره من التيارات المختلفة ، فينمو فيه الخيال ويقوى ويتجدد (76) ويعيد بذلك تأكيد القيم من خلال ما يطرحه من قضايا تلتصق بمصير الانسان .

نور الدين بلقاسم

---

(76) سلمى خضراء الجيوسي ـ كتاب الشعر ، طبع دار الثقافة ببيروت سنة 1961 .

مشروع للرحيل عبر بوابة الليل

شعر : ناصر العياري

ظامىءٌ قدحُ الروحِ ،
مستوحِش لشفاهِ الضفاف البعيده .
ومغتربٌ أنت ،
منفية فيك كلّ المواعيد .
كم عاشرتك المواجعُ !
كم مزّقتكِ سيوفُ الحنين الشّديده !
وها أنت كالشّجرِ المتحجرِ ؛
ترنو إلى هالة الحلم ، علّك تنسى
مورّطتانِ بصَهْدِ السّؤالات عيناك ،
ملتحف بالخرابِ مداكَ :
ولا شيء ينسيك ،
لا شيء يسرقك الآن
من لعنة اللحظاتِ الوقيده .
هو الليل : مأواك ،
منتجع الذات في سرّها
وانعتاق حدودك من وهمها الأزلي ...
هو اللّيل : بوابة للرّحيلْ
ألا اخلع على شاطئيه نعالك ،
وانزع عن الجسد / السّجن كابوسَه
واكتسح سدرة الأبدِ المستحيلْ .

كتاب "نظرية التطعيم الإيقاعي"

تأليف : البشير بن سلامة
عرض : حسني سيد لبيب

اللغة مثل الكائن الحى ، تنمو وتتجدد وتتطور ، لتكون قادرة على البقاء . وفارق كبير بين اللغات المنقرضة واللغات التى ما زالت مستعملة . ذلك أن اللغات المنقرضة ابتعدت عن واقع الناس ، فاشتقت لغات أو لهجات نمت وتطورت وصارت لها قواعدها وأصولها التى يتعامل بها الناس ، والمثال فى اللغة اللاتينية . أما اللغة العربية ، فهى اللغة الحية القادرة على النماء والتطور، ساعدها على ذلك أنها لغة القرآن الكريم . ولم تقدر اللهجات العربية العامية أن تحل مكانها ، وأن تعطى أثرها ۰ وقد دعا بعض الكتاب الى كتابة العربية بحروف لاتينية ، لكنها دعاوى انهزامية لاقت الصدود والفشل الذريع . كما دعا بعض الكتاب الى اللغة العامية المألوفة ، لكن أحدا لم يستنر بالدعوة ، وظلت العربية الفصحى عملاقا شامخا ، يعطى للعامية ويأخذ منها ، فى شكل تفاعل حيوى . فاللغة الفصحى ما كان لها أن تبقى لولا تفاعلها مع الواقع الحى .

وقد خاض بعض الادباء تجارب رائدة فى اللغة الوسطى ، التى هى عربية فصيحة ، وقريبة من العامية المتداولة . وكان تطعيم العربية الفصيحة

بكلمات عامية تخضع لقواعد اللغة وأصولها ، بمثابة عامل نجاح لأعمال أدبية . ومن يقرأ للمازني ويحيى حقي يلمس هذا النجاح . ثم ان القرآن الكريم هو الركن الركين للحفاظ على العربية الرصينة ، فحاجة العرب الى تدارس القرآن ، ومدلولاته اللفظية للمعاني ، خلق وعيا متقاربا ، أو علاقة تبادلية بين حاجة عامة الناس الى فهم أمور دينهم،وبين قريبهم من أصول اللغة وقواعدها . لذا كان مهما لكل من يتحدث العربية أن يكتب باللغة الفصيحة ، ولا يضير اللغة تطعيمها بما يستجد من الفاظ ومدلولات ، طالما خضعت للقياس اللغوى السليم . لهذا كانت العربية كائنا حيا تتجدد خلاياه ودماؤه ، فينمو ويتطور ، ويصير مواكبا لحاضر الناس ومعاشهم .

وقد صدر فى تونس كتاب قيم للاديب الكبير الاستاذ البشير بن سلامه بعنوان : (نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى) .

فى الفصل الاول (تطور الجملة العربية عند المولدين) ، أبرز حاجتنا الى قاموس لضبط تطور معانى الكلمات . كما دعا الى ضبط تطور الجملة العربية من حيث الاسلوب والشكل عند الكتاب البارزين فى مختلف العصور ، بمعنى « اخضاع الجملة العربية فى أطوارها المتعددة سواء النثرية منها أو الشعرية الى أحدث نظريات العلوم اللسانية وخاصة علم الاساليب » ص 16 . وعلل التفاوت الكبير بين الكلام واللغة الى أن تطور الجملة العربية الفصحى عند المولدين ، تأثر بلغات هؤلاء الكتاب والشعراء التى تمازجت مع لغة الكلام السائدة ، وأضفت على كتاباتهم موسيقى جديدة وايقاعات جديدة تطورت على أساسها الجملة العربية الفصحى .

ويتساءل المؤلف حول اللغة الفارسية التى حولها عبد الحميد الكاتب الى العربية : « ولكن أية لغة فارسية هذه وأى طور من أطوارها يعنى ؟ هل هى اللغة الفارسية القديمة المندثرة أو لغة الزند التى تطورت فيما بعد الى الفهارية أو لغة الفردوسى أصل الفارسية الحديثة » ص 18 . وقد مرت اللغة الفارسية بمراحل تطور ، ولم تثبت على شكل معين . وفى كتاب الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم (اللغة الفارسية) اشارة الى تطور اللغة الفارسية الى مراحل ثلاث هى :

1 ـ مرحلة اللغات الفارسية القديمة ، حيث تفرعت اللغات الايرانية عن المجموعة الآرية .

2 ـ مرحلة اللغات الفارسية الوسطى . وأهمها البهلوية والخوارزمية .

3 ـ مرحلة اللغات الفارسية الحديثة ، وأهمها اللغة الدرية أو الفارسية الحديثة التي تأثرت بالعربية واستعملت أبجديتها .

والواقع أن اللغة العربية أثرت في الفارسية تأثيرا كبيرا ، بينما أثرت الفارسية في اللغة العربية تأثيرا محدودا . ولعل القرآن الكريم كان السبب القوي لنفوذ العربية في لغة الفرس . حتى أنهم طعموا كتاباتهم الفارسية بكلمات وجمل عربية ، واضطرارهم الى الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأمثال عربية ، مما هو معروف في المؤلفات الفارسية ، وهي مرحلة ما بعد الاسلام .

أما أثر اللغة الفارسية في العربية ، فهو ورود كلمات مستحدثة لم يعرفها العرب ، وأخذوها عن الفرس ، وعربوها وأدخلوها ضمن اللغة العربية . على عكس الفرس الذين أخذوا الالفاظ العربية واستعملوها بنصها دون تغيير أو تعديل يتناسب مع لغتهم .

وهذا دليل قوي على حيوية اللغة العربية . فهي كمثل جسم الانسان ، الذي يقبل النسيج الخارجي فيلتئم معه ويصير جزءا حيا من كيانه . بينما عاملت الفارسية الكلمات العربية على أنها ألفاظ مضافة ، ولم تقولبها في الكيان اللغوي .

ولقد صمدت اللغة العربية ضد كل محاولات احلال العامية محلها . ورغم صعوبتها لما تتطلبه من الشكل ، الا أنها خضعت للمرونة والتطور ، وصارت « كالشجرة المباركة أصلها ثابت في الارض وفرعها في السماء ».

والفوارق بين الكتابة والكلام ، خلق صعوبة للكتاب ، حتى أن الكاتب وهو يمارس عملية الكتابة ، وكأنه يتقمص شخصية أخرى . ذلك أنه يتكلم لهجته العامية ، وكتابته باللغة الفصحى . وان كنت أرى أن الفوارق ليست كبيرة ، بالدرجة التي يرى المؤلف أنه حين يكتب فانه يتقمص شخصية أخرى . فرغم اختلاف اللهجات العربية ، الا أنها مشدودة بخيوط خفية الى اللغة الام. ولم يحدث أن تطورت لهجة عامية ، لتصلح للكتابة . ان بقاء الفصحى لغة للكتابة ، نشأ في رأيي لان العامية عاجزة عن أن تكون لغة كتابية ، فالعامية تختلف عن الفصحى في لهجات يقع أغلبها في اختلافات صوتية لاختصار الكلمة ، أو دمج كلمتين متلازمتين ، أو تخفيف نطق معين ، أو تبديل نطق أحد الحروف . وهي كلها حالات تخضع للاستعمال الصوتي للغة ، ولم تتطور أي عامية لتستقل بذاتها ، وتكون لها أجروميتها وقواعدها . وان كانت الكتابة العربية غير المشكولة ، تعد كما قال الاستاذ البشير بن سلامه ، كتابة

منقوصة ، يستطيع أن يتتبعها ويصل الى المعانى ، الملم بقواعد اللغة ، بينما تشكل صعوبة لعامة الناس الذين لم يدرسوا اللغة الدراسة الكافية .

ويرى البشير بن سلامه أن الفوارق بين الفصحى والعامية تعد كبيرة ، لذا ينبغى الحد من هذا التفاوت . فقد صارت الفصحى لغة الكتابة والعامية لغة الكلام . ولم تستطع الفصحى أن تصير لغة للكتابة والكلام معا ، ولم تستطع العامية ذلك .

وقد مرت اللغة العربية بخطوب كثيرة فصمدت لها . ولعل أهم مشكلة تواجهنا هى التفاوت بين لغة الكتابة والكلام . واستشهد المؤلف بالدكتور طه حسين الذى عرض حلين : أولا تيسير الكتابة والقراءة ، وثانيا تيسير النحو • وقد أرجع المؤلف تعثر اللغة العربية الى أنها لم تتحرر بعد من سلطان الذاكرة ، وكانت العربية أكثر نبوغها فى الشعر • وجاء القرآن ليحرر العربية من سلطان الذاكرة ، الى جانب الدين ، فاعتبر القرآن حدثا لغويا ، واعتبرها المؤلف ثورة لغوية لم تتواصل الا على أيدى قلة مثل : ابن المقفع والجاحظ وابن خلدون . ثم جاء طه حسين الذى تأسست عبقريته على النثر الادبى المتحرر من سلطان الذاكرة .. « وان عبقرية فقيد الادب العربى فى هذا الباب عجيبة لان الرجل كان من المفروض ـ وهو المكره على ذلك ـ أن يعتمد على ذاكرته أكثر من أى شىء آخر ولكن عبقريته لا تتمثل فى ما قدر عليه فقط من استيعاب الثقافات المتعددة بل فى تمكنه من التحرر من سلطان الذاكرة وكسر طوق الذاكرة المنشدة الى خلق نثر جديد » ص 40 .

وقد تأثرت لغة طه حسين بعاملين :

الاول : ملاءمة روح العصر ، واستيعاب كافة التيارات الفكرية والادبية واللغوية

والثانى : ثقته فى الثقافة القومية المصرية التى يقول عنها طه حسين : « ثم ستراها قد اتخذت اللغة العربية المصرية لها أداة مرنة أنيقة رشيقة لا تنبو عن الذوق ولا تتجافى عن الطابع ولا تكلف قارئها مشقة وجهدا ولا تقل ان اللغة العربية مشتركة بين مصر وغيرها من البلاد العربية فهذا حق ولكن لمصر مذهبها الخاص فى التعبير كما أن لها مذهبها الخاص فى التفكير والبلاد الاخرى تتأثر بمصر ولعلها تتنافس فى تأثير مصر فى تفكيرها وتعبيرها » ص 48 ، 49 .

وان ما يملى اللهجة العامية هو عادات الشعب وسلوكاته وتقاليده . فاللهجة العامية ترجمة لعديد من العوامل منها : الثقافة والسلوك والبيئة

والمعتقد وما الى ذلك . وكلما تقاربت هذه العوامل بين شعبين ، كانت اللهجتان متقاربتين اذا كانت لغتها واحدة .

فنثر طه حسين انبنى على التراث العربي الاسلامي والثقافات القديمة ، ومزجها بالثقافات العصرية متمشيا مع روح العصر ، بما في ذلك التشبع بالشخصية القومية ومقوماتها . واللهجة السائدة بموسيقاها ونبراتها وايقاعاتها ، بما ينعكس على طريقة كتابته بالفصحى . وكما يقول المؤلف : « فتتمازج موسيقى اللهجة مع هيكل الفصحى » ص 50 .

وكما تأثرت لغة طه حسين بثقافته المصرية ، فان نفس القياس دلل به الكاتب على لغة ابن المقفع التي يمكن ارجاعها الى أصله الفارسي ، وابن الرومي الى روميته ، وابن رشيق الى افريقيته ، وابن خلدون الى مؤثرات بيئته ، والشابي الى روح شعبه .

وعن فهم الاثر الادبي واستيعاب صورته الابداعية ، حدثنا عن ثلاثة عناصر :

- الانغراس في الجذور العميقة للشخصية القومية .
- الامتزاج الكامل بروح العصر .
- التجاوز المطلق الشامل المفتوح على المستقبل .

ويؤكد الاستاذ البشير بن سلامه على ضرورة تمسك الاديب بجذوره القومية ، أي بيئته وتراث شعبه وعادات أهله . ولا خير في أديب يكتب كلاما لا يمثل شخصيته القومية . وقد دلل على أصالة أدب ابن رشيق وأبوليوس الى تمسكهما بثقافتهما الافريقية . وإخال المؤلف حين تحدث عن العناصر الثلاثة ، قد تمثلها ضرورية للنمو كالنبات الاخضر ، في معرض حديثه عن الاثر الادبي الذي ننشد فيه الاصالة والمعاصرة . فالنبات يمد جذوره الى تربته ، تمتد الجذور في أعماق الارض ، وكلما امتدت الى العمق ، سمق النبت الاخضر ، تلك الجذور هي الشخصية القومية ، أو الانتماء للارض . كما أن النبات الاخضر ينمو ويشرئب الى العلا ، وهذا هو الاتجاه الى المستقبل . أما روح العصر ، فهو المناخ الصحي اللازم للنمو ، مثل الهواء والشمس والماء . ويشبه كاتبنا هذه العناصر بتشبيه آخر اذ يقول : « وهذه العناصر الثلاثة في تراكبها وتشابك أجزائها واختلاف معادنها كالجسم لا يستقيم ولا تعمره الحياة الا اذا سلمت أجزاؤه وتفاعل بعضها مع بعض ولم يتخاذل الهيكل العظمي ليشد من أزر العضلات ولم تستنكف الشرايين والعروق من مدها بالدم الصافي النقي » ص 57 .

كان الكاتب الافريقي أبوليوس يعتز بأصله الافريقي ، وميله الى المؤلفين الافارقة رغم أنه كان يكتب باللاتينية ، وقد تشبث بكل ما هو كلاسيكي ، مع ميل شديد لمقاومة الثقافة الكلاسيكية • وكان ابن رشيق يعتمد على ما توحيه اليه نفسه وما تمليه تجربته الشخصية .

وما دمنا نبحث عن روح العصر ، فاننا نتمثله في ايقاع اللغة العامية ، ونبضاتها وشحنتها الصوتية • ويقصد المؤلف بذلك أن لغة الكلام تنقل الصورة الحية للمجتمع بعفوية لا تصنع فيها . وما ينطقه اللسان ترجمان مباشر للاحاسيس البشرية ، لهذا كانت قضية الكاتب تقريب التفاوت بين لغة الكلام ولغة الكتابة ، أو بين العامية والفصحى • وأي أديب في المشرق العربي أو مغربه ، نجح في كتابة أثر أدبي يكتب له البقاء ، انما يرجع نجاحه الى أنه « عرف كيف يضمن لغة الخلق عنده ما في لغته العامية من ايقاعات ونبضات ونبرات وشحنة موسيقية من دون أن يدخل الضيم على الفصحى ويمس بعبقريتها » ص 73 .

ويتحدث البشير بن سلامه في الفصل الاخير عن نظريته الجديدة (التطعيم الايقاعي في الفصحى) ، منطلقا من اهتمامه بايقاع اللغة ومواكبتها للحياة ، وبموسيقى اللغة ونبراتها ، ومحاولته تضييق التفاوت بين لغة الكلام ولغة الكتابة . ولقد تسابق أهل العربية منذ القديم « في بحث طرق نمو اللغة ودراستها وما زالوا الى الآن ومعهم المستشرقون يستقصون أسرار العربية ويضبطون القوانين التي سمحت وتسمح بتنميتها وجعلها تواكب اللغات الحية الاخرى . واهتموا خاصة بالالفاظ وظواهر تغيرها وقالوا بالقياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والاقتراض وتوسعوا في هذه الظواهر بصورة مدهشة ، ولكنهم لم يولوا نفس العناية بالجملة وخاصة بنواميس تغيرها لا من حيث التراكيب بل من حيث موسيقاها ونبراتها وايقاعاتها وبكلمة أوضح بهذا الذي يجعل الجملة متعانقة مع الحياة الحية ، معبرة عن حركية الواقع وتموجاته » ص 81 ، 82 .

وذكر أن الذين طوروا الجملة العربية النثرية قلة قليلة أمثال : عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيدي وأبو الفرج الاصفهاني وابن خلدون وطه حسن ومحمود المسعدي . كما أن التفعيلة لا يمكن الاعتداد بها كوحدة ايقاعية فالتفعيلة وحدة عروضية أو دائرة تقريبية .

وتتبنى نظرية الاستاذ البشير بن سلامه ، على دراسة أسلوب الكاتب ، والبحث عن ايقاعات اللهجة المحلية فيما كتبه بالفصحى ، وذلك على أساس

« أن كل عبقرى أضفى على الجملة العربية نمطا جديدا غير به ايقاع صياغته ونظامها فانه قدر فى الحقيقة على اقحام ايقاعات لهجته العامية المحلية فى الفصحى وتطعيم صياغته لها بهذه الايقاعات من كلامه » ص 94 .

وضرب مثلا بالكتاب الذين طعموا شعرهم او نثرهم بايقاعات لهجاتهم المحلية بدون أن يشعروا ، أمثال : ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذانى والتوحيدى وابن خلدون وأبى نواس وأبى العتاهية والشابى ومحمود المسعدى . وقد صدق الكاتب فى قوله : ان هذا التطعيم جاء عفوا ، وعلى غير قصد من الكاتب . والتطعيم هنا ايقاعى وليس لفظى .. فهؤلاء الادباء كتبوا بالفصحى ، لكن اللهجة المحلية صبغت أسلوبهم من جهة الايقاع وهو صوتى. ولا أرى مسوغا لتحفظ الكاتب ، وتوكيده على أنه لا يدعو الى العامية . فقد أخلص لفكرته وأجاد التعبير عما يراه من أن اللغة العربية كالكائن الحى ، ينمو ويتطور ، و « لان اللغة العربية الفصحى باعجازها وطاقتها الكبرى قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكاملة فى نحوها مع الارتباط بواقع أهلها المتحول المتحرك الذى تعتبر اللهجة المحلية جزءا منه يحمل خلاصة الحياة المعيشة ويترجم عنها حق الترجمة ولكن تبقى الفصحى دائما هى القادرة على السمو بذلك الواقع وتلك الحياة وهذا سر من أسرار بقائها » ص 94 ، 95 .

اللغة العربية هى لغة البيان والبلاغة ولغة القرآن الكريم ، وما أحرى بالاستاذ الكبير البشير بن سلامه وغيره من الباحثين المهتمين بالوحدة الايقاعية أن يعكفوا على تطبيق نظرياتهم ودراساتهم الجادة على القرآن الكريم . فلا شك أن به وحدات ايقاعية أودعها الخالق سبحانه وتعالى كتابه السماوى ، المعجزة اللغوية الكبرى . واذا نحن درسنا الشعر من ناحية ايجاد وحدة ايقاعية بديلة لأوزان الخليل التى توارثناها ، فاننا سنصل الى معيار سليم لتقييم الشعر ، يرضى أنصار الخليل ، ومعارضيه . يرضى أنصار الشعر العمودى ، وأنصار الشعر غير العمودى بشتى تصنيفاته .

وبعد ، فهذا كتاب قيم جدير بأن يثار من حوله العديد من القضايا فى اللغة والادب والشعر . وخاصة فيما يتعلق بقضية التفاوت بين الفصحى والعامية ، والاعتبار فى الشعر بالوحدة الايقاعية . والكتاب فى حاجة الى مزيد من الدراسات التطبيقية للتدليل على نظرية التطعيم الايقاعى . وأعتقد أن مثل هذه الدراسات تكون مجدية لو أفاض المؤلف فى الكتابة عن آثار أدبية وخاصة من مصر وتونس ، حيث أن كاتبنا الكبير وطيد الصلة بتطور هذين الادبين .

حسنى سيد لبيب
(القاهرة)

قراءات سريعة

• سياسة الحكم :

هذا كتاب نظام الملك الوزير المشهور للامبراطورية الايرانية فى القرن الحادى عشر والذى كان ـ خاصة فى عهد ملك شاه ـ هو الامبراطور الحقيقى وهو الذى نجح فى الحفاظ على هيبة الملك وعزته بارساء نظم الحكم على أسس ثابتة مع مرونة كبيرة فى سوس الطبقات الشعبية مدة طويلة ولو أن ذلك لم يمنعه من أن يموت اغتيالا على يد أحد الحشاشيش بصورة لا يعلم الى اليوم من دبرها .

ذكرنا هذا كله لنظهر ما لهذا الكتاب من قيمة اذ مؤلفه ـ كما نقول اليوم ـ من رجال الممارسة والاختصاص ثم ان الكتاب يتناول كل جوانب الحكم الكبيرة والصغيرة الظاهرة والخفية وأهميتها كلها بالنسبة للحاكم ومعاملته للاعوان والشرطة والمراقبين والعيون أو الجواسيس والقضاة وسائر الموظفين والغلمان والعبيد وضرورة الاستعانة بالعلماء والحكماء والصالحين واستشاراتهم والاعتماد فى ذلك على مراعاة العدل والحق والرحمة .

كما بالكتاب فصل خاص (الفصل 48) بخزينة الدولة والوسائل الضرورية لضمان مواردها ورعايتها ـ وفصول تاريخية سياسية أكثر منها نظامية تتعلق بظهور مزدك وقضاء أنو شروان عليه وبثورة سندباد الجبرى ضد المسلمين وظهور القرامطة والباطنية بالعراق وخراسان وثورات أخرى .

ـ ومن المعلوم أن نظام الملك ألف هذا الكتاب بالفارسية فى القرن الحادى عشر الميلادى .

والكتاب الذى بين أيدينا هو طبعة معادة للكتاب باللغة الفرنسية من ترجمة أحد كبار المستشرقين للقرن التاسع عشر وهو شارل شيفير (Charles Schefer) وقد ظهرت سنة 1893 فى منشورات « مدرسة اللغات الشرقية الحية » ونفدت منذ زمن بعيد .

وتكفلت بهذه الطبعة المعادة سنة 1984 منشورات سندباد (Sindbad) بباريس التى تصدر عدة سلاسل عامة منها خاصة سلسلة المكتبة الفارسية التى صدر فيها كتاب سياسة الحكم هذا ومختلف سلاسل أخرى لمكتبة الاسلام والمكتبة العربية .

• **سنة أخرى فقط :**

مجموعة شعرية لمحمود درويش شاعر الثورة الفلسطينية صدرت فى أكتوبر سنة 1983 فى « سلسلة المرابط » من منشورات منتصف الليل بباريس فى ترجمة فرنسية لعبد اللطيف اللعبى .

تجمع الترجمة مروحة من قصائد مختارة من كل دواوين محمود درويش الشعرية الصادرة من سنة 1966 الى سنة 1982 والتى لا تقل عن عشرة دواوين .

وتحمل مجموعة المختارات عنوان الديوان الاخير الصادر سنة 1982 تحت عنوان « سنة أخرى فقط » ولنا فيها خلاصة لقراءة أولى ملاحظتان هامتان :

الاولى أن الاختيار ناجح للتعبير أولا عن عمق المأساة الفلسطينية ثم عن تلاحم الشاعر والثورة فى تطورها التصاعدى المتواصل الرافض للاستسلام والموقن بالنصر الاخير .

والثانية أن الترجمة موفقة لاعطاء صورة صحيحة معبرة عن خصوصيات شعر محمود درويش من خصوبة الخيال ونورانية الرمز وثراء اللفظ حتى باوغ ذلك القصيد القمة : « سنة أخرى فقط » الذى يتجسم فيه الشاعر مع كل الشهداء ومع الارض ومع الباقين الرافضين جميعهم الموت والهزيمة والفناء .

• **حوار مع صديق ملحد :**

كتاب للاستاذ الشيخ مصطفى محمود طبعة ثانية بتاريخ 1982 نشر دار المعارف فى ترجمة باللغة الفرنسية لمارك شارتيه (Marc Chartier) . يتناول

فيه المؤلف عن طريق الحوار أركان الايمان وحقيقة العقيدة الاسلامية والحكمة السرمدية للخلق الالاهي المنزه عن الخطأ أو النقص اعتمادا على الادلة العقلية وعلى الاكتشافات العلمية التى تتفق جميعها وما جاء فى التنزيل القرآنى منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا واستعانة لتقريب الفهم من جميع الناس بأمثلة حرية بالاقناع وغير قابلة للجدال .

وإن هذا الكتاب للشيخ مصطفى محمود ليذكرنا بالطبيب العالم الفرنسى موريس بوكاى (Maurice Bucaille) الذى اعتنق الاسلام وبكتابه فى نفس الموضوع الذى صدر منذ سنة 1976 بباريس تحت عنوان « التوراة والانجيل والقرآن والعلم » .

• فـي الصـيـد :

كتاب لابن المنقلي فى فن الصيد وأساليبه فى الصحاري فى القرن الثامن الهجرى الموافق للرابع عشر الميلادى ترجمه للغة الفرنسية زميلنا سابقا بتونس الاستاذ فرانسوا فيريه وصدر فى منشورات سندباد عن المكتبة العربية التى يديرها أندرى ميكال الاستاذ بالكوليج دى فرانس .

والكتاب ترجمة للنسخة الوحيدة لكتاب المنقلى الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس .

فبعد مقدمة فى التعريف بأنواع الصيد المباحة الاستهلاك وكيفية تحليلها وذكر الصيد المحرم ينتقل المؤلف الى ترويض الحيوانات التى يستعان بها فى الصيد وترويض الصياد وآدابه واستعمال أدوات الصيد كالقوس والرمح والسيف وغيرها وكلاب الصيد ووسائل اتقاء الحيوانات خاصة الوحوش منها ثم يتناول جميع أنواع الطيور والحيوانات والاسماك مع توقي الاخطار المنجرة عنها ومن الحشرات والبعوض وغيرها بأنواعها .

والترجمة حسنة دقيقة لأثر هام فى فن من الفنون التى اشتهر بها العرب وأبلوا فيها البلاء الحسن فشكرا للاستاذ فيريه على الخدمة التى يسديها للثقافة العربية بتوسيع اشعاعها عن طريق الترجمة الفرنسية .

بريد القراء

فى وطن الحب القاتل

إبداع : منية الحميري

يا عابرا تدمر
يا عابر مقبرة الاحياء بصحرائها
قف
خذ عيونى
أعطنى قطرة ماء
فالموت هنا لا يأتى من السماء
يا عابرا
أحلامنا الليلية نراها حمراء
حبات الرمال بصحرائها صارت حمراء
يا عابرا تدمر
قبل أن ترحل احمل الى غيفارة سلاما
اذا أبصرت أوراقى متناثرة كاوراق الخريف
أو سمعت أنهم أدانونى فلا تستغرب
فانا أعيش فى وطن الحب القاتل
وفى زمن الموت الغامر
أما اذا أبصرت العناكب
تنسج حول أفكارى الصمت
فلا تستغرب
فانا أعيش مثلما يرقد الميت فى قبره
أما اذا أبصرت جسدى على طول الشارع الممتد
على طول المدينة
ودمى يغسل مقصلة الشارع
فلا تستغرب
فانا أعيش الانتحار والسفر
فى وطن « الحب القاتل » .

● لأنك ابن الشعب تحمل معاناة المواطن التونسي أحببناك يا سيادة الوزير الأول :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الجزيرة » في عددها 31 الصادر في 15 أفريل 1985 مقالا بقلم : السيد محمد المشحوط ننشره بدورنا ليطلع عليه قراء مجلة « الفكر » .

بقلوبنا التي تملؤها السعادة ، وتغمرها الفرحة وبأفئدتنا التي تفيض بشرا وانشراحا .

وبمشاعرنا التي تكن لكم كل محبة وتقدير . نرحب بكم بيننا ضيفا مبجلا، ونشكر لكم الفرصة التي اتحتموها لنا من جديد لنعبر لكم عما تجيش به مشاعرنا نحوكم من أحاسيس خلقتها فينا جملة من الاسباب التي لا نستطيع نكرانها . ولا يجوز لاى مواطن تونسي في كل شبر من تراب الجمهورية غض النظر عنها :

أول هذه الاسباب أنكم الشخص الذى اختاره أبو الشعب ، ومنحه ثقته ليكون على رأس الحكومة التي يتابع أعمالها يوميا حرصا منه علينا جميعا وهي ثقة غالية لا يؤتاها الا من تعلم عن بورقيبه حب الشعب التونسي ، والعمل من أجل اسعاده والتضحية في سبيله .

وإحقاقا للحق لقد جعلتمونا نؤمن أنكم كنتم في مستوى هذه الثقة التي وضعت فيكم ، وذلك بعملكم اليومي لما فيه خيرنا وصلاحنا ، وبسعيكم المخلص والجاد نحو ارساء الاسس السليمة لحاضرنا ومستقبلنا وما هذه الاستقبالات الشعبية التي نخصكم بها في كل جهة من أرض الجمهورية الا عهد وفاء لكم ، ورباط ود واخلاص لشخصكم الكريم .

وثانى هذه الاسباب أنكم واحد من ابناء الشعب تحملون بكل حماس معاناة المواطن التونسى أينما كان ، وتولون العناية القصوى للمواطن الضعيف ، حرصا منكم على البلوغ به الى مرتبة غيره من المواطنين الذين تحسن مستوى عيشهم ، تحقيقا للتوازن الاجتماعى الذى تسعى لتحقيقه أغلب بلاد العالم الثالث .

وان ننس فلا ننسى ما قلتموه ذات يوم بمجلس النواب عندما كنتم وزيرا للتربية القومية لدى مناقشة الميزانية لقد أجبتم يومئذ أحد النواب المحترمين ذلك الذى طالب بمراجعة نظام العطل المدرسية لانه حرم أبناءه من الرياضة الشتوية .

إن أغلب التلاميذ بمدارسنا من أبناء الطبقات الشعبية التى تفكر فى الخبز ولا تعرف للرياضة الشتوية معنى ، ولسنا نعدو الحقيقة عندما نقول : إنكم تجسمون اليوم هذا الشعور خير تجسيم، فقد ادخلتم فى عرفنا مصطلحات جديدة للعمل الاجتماعى تسعى جميعها لتجسيم تفاعلكم مع معاناة المواطن التونسى .

فبرامج العائلة المنتجة ، والتنمية المندمجة ، والحدائق العائلية ، والمهن الصغرى ، وتشغيل الشباب ، كلها عناوين لمفهوم واحد هو النهوض بالمواطن الضعيف ، والاخذ بيده ، وتعويده على نبذ التواكل ، وحثه على الاسهام فى تغيير أوضاعه ، ومنحه شرف الاسهام فى تغيير أوضاع مجتمعه ، بجعله عامل انتاج ، وعنصرا فعالا فى تحقيق النمو والتطور .

وأى مكسب الانبل وأعظم من تحقيق فرحة الحياة للسائل والمحروم،وصون كرامة الانسان فى مجتمع يسير بخطى ثابتة نحو التطور ، وفى عالم يموج موجا بالصراعات السياسية ، والازمات الاقتصادية التى تمثل أمامه شبحا مخيفا يهدد الحضارة البشرية بالزوال والفناء فى كل حين .

وثالث هذه الاسباب أنكم واحد من الذين يمثلون الاصالة القومية بكل ما تحمله الكلمة من معان . ويكفى ان نستمع الى خطبكم ، وان نقرأ كتاباتكم . وأن نتابع توجهاتكم أينما كنتم ، ولنلمس تعلقكم بهذه الاصالة ، ايمانا منكم بأن الانفصال عن الذات انبتات . وأن التنكر للمقومات الحضارية للامة تقوقع. وأن التعلق بما هو غريب وبما هو دخيل ضياع وفناء .

ورابع هذه الاسباب أنكم علم من أعلام الفكر التونسى المعاصر لا يستطيع أى مواطن واع نكران هذه الحقيقة ويكفينا شهادة على ذلك ما يقول عنكم رجال الفكر والسياسة فى كل بلد زرتموه ، ويحق لكل تونسى أن يفخر بهذه الشهادة التى أحرزتم عليها من لدن اناس لا يتسرعون فى منحها ، ولا يجازفون فى اعطائها الا بعد ترو واقتناع كاملين .

لقد كنا معكم بقلوبنا يوم أن قلدتكم جامعة الصوربون ميداليتها اعترافا لكم بأنكم واحد من اعلام الفكر المعاصر فقد أوضحتم يومها أنكم خير من فقه المعانى الانسانية للفلسفة البورقيبيه التى لا تؤمن بالجفوة بين الشعوب ولا تقبل العداوة بين البشر ، وانما تؤمن بالمحبة بين الناس ، وتدعو الى التعاون والتآزر لتحقيق كل ما هو حسن وكل ما هو نبيل .

وخامس هذه الاسباب انكم من أكثرَ المراهنيُن على وعي المواطن التونسى ، وإدراكه لواجباته وشعوره بمسؤولياته تجاه نفسه اليوم وغدا وذلك باختيار الديمقراطية طريقة للحكم والتسيير والاشتراكية منهج عمل وتفكير ، ورغم ما يصدر عن كثير من الافراد والجماعات ببلادنا من تصرفات تسىء الى توجهاتكم الديمقراطية وتحاول بكل يأس أن تبرز خطأ هذه التوجهات بدعوى أن المجتمع التونسى لم يحقق بعد الفهم المطلوب لهذه الديمقراطية فانتم ماضون بعزم ثابت وبشجاعة كبيرة وبصبر لا ينفد فى نفس الطريق لا تتراجعون عما اخترتموه ، معولين دائما على اصالة المواطن التونسى الذى يستغلب فيه حتما الادراك الكبير لهذا الاختيار ، والفهم الكامل لهذا المسار ، وتلك لعمرى ميزة الانسان المخلص للمبادىء التى يؤمن بها ، والعامل على تحقيق المثل التى يتعلق بها بغير عقد وبدون مركبات .

ومن من التونسيين ينسى شعاركم الذى ناديتم به ، ونلمسه يوميا فى خطبكم ، والداعى الى استعمال قوة الحجة ، ونبذ حجة القوة ، لهذه الاسباب نجد أنفسنا مدفوعين الى استقبالكم بكل جدارة ، وبكل انشراح ، وفى منتهى العفوية والتلقائية ، لا يدفعنا الى ذلك دافع أو محرض الا ما وجدناه فيكم من اخلاص لنا ، ومن تفان فى خدمتنا بنفس الروح البورقيبيه الناصعة التى تعلم المسؤول العمل الشريف لما فيه خير المواطن التونسى أينما كان موطنه . ومهما كان مشربه .

والحق يقال : إن حضورنا لاستقبالكم لا يعنى انكم جئتمونا بعد غياب وبعاد طويلين . فأنتم معنا كل يوم ، ونحن معكم كل ساعة بل كل لحظة نتابع

عن طريق وسائل الاعلام حركيتكم ونشاهد بكل انتشاء زياراتكم العديدة لمناطق الجمهورية معجبين بالتجاوب القائم بينكم وبين المواطن التونسي أينما كان، وباعتمادكم الالتحام بالجموع الشعبية الهازجة التي أحبت بورقيبه بمحبته لها ، حتى صار لديها سي الحبيب ومحضتكم المحبة والتقدير لانكم تعاملونها بنفس الطريقة التي عاملها بها بورقيبه ، فكان بحق أبو الشب الذي لا يخرج عن طاعته أي تونسي مهما كان شعوره .

ومن المؤكد انكم ستكونون لهذا الشعب خير مسؤول تلقى من المدرسة البورقيبيه أرفع المبادىء الانسانية ، وأعمقها سموا ونبلا ، قد يخطىء بعضنا عندما يتصور ان زياراتكم لمناطق الجمهورية فرص للترويح عن النفس ، والابتعاد عن ارهاقات العمل .

إن زياراتكم في نظرنا كما عودنا الرئيس الجليل أبقاه الله هي في المقام الاول للعمل ، والاطلاع على أحوال المواطنين من قرب ، ودفع عجلة التنمية بكل ربوع الوطن .

فكم من انجاز قمتم بتدشينه ، أو وضع حجر الاساس له، يقوم شاهدا على اهمية هذه الزيارات التي تقومون بها . واكرم بها من زيارات تسابق الزمن من أجل الرفع من مستوى المواطن ، وتحقيق نهضته الشاملة .

إن زيارتكم اليوم لولاية مدنين ، وفي موعد لاحق من هذه الزيارات التي فيها كل الغنم للمواطن ، فتدشينكم للمستشفى الجهوي بجربة ، ولثلاثة نزل جديدة عملاقة ، والبنك القومي التونسي ، والقطب الصناعي بجرجيس ، وبوضعكم حجر الاساس لمعهد آجيم ، وتدشينكم لمينائها وإعطائكم اشارة الانطلاق لتربية الاسماك ببوغرارة علامات مضيئة في حياتكم السياسية على رأس حكومة المجاهد الاكبر .

وكلها مشارع تحج المشككين في صدق النوايا التي يمتاز بها كل المسؤولين المخلصين الذين ينتسبون لحزب الامة العتيد .

فتحية محبة ووفاء لكم،وتحية تقدير وعرفان بالجميل للدور الذي تضطلعون به ، وتحية إخلاص لكم من أبناء الجنوب الاشاوس الذين يحظون بعطف الرئيس الأبوي ، اذ كانوا عدته أيام الكفاح ، وهو اليوم حماة الديار الذين لا يتخاذلون في حماية الوطن ، جنود بورقيبه على الدوام ، يحبون من أحبهم ويخلصون لمن أخلص اليهم وتلك طبيعتهم ، فلقد فطروا على الامانة ، وجبلوا على النزاهة ، لا يبدلون ولا يغيرون وهم على العهد محافظون .

● سليل الحركة الفاعلية :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « العمل » فى عددها : 1092 الصادر يوم الثلاثاء 21 / 5 / 1985 مقالا بقلم السيد المنصف بن فرج جاء فيه ما يلي :

ما من شك ان المدرسة البورقيبيه انجبت لتونس مفكرين أفذاذا وساسة ملتزمين بالمبادىء الانسانية البناءة ارادهم قائد المجاهدين دعامة حيوية تجدد انفاس المسيرة التنموية الشاملة على الدوام بالتخطيط القويم والنشاط الهادف .

وفى طليعة الفوج الاول من خريجي المدرسة البورقيبيه العتيدة نلاقى الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول والامين العام للحزب ووزير الداخلية كمفكر حصيف الرؤى على رأس حكومة الثمانينات التى بوأت القطاعات الحيوية المرتبطة الاولوية المطلقة من مشاغلها الاساسية وانجازاتها الضخمة .

ومن بين هذه المشاغل يرد القطاع الفلاحى الذى يعد أهم محور تدور حوله حركية الانتاج القومى التى يتم من خلالها ضمان الامن الغذائى للمواطنين وتحقيق الاكتفاء الذاتى للاستهلاك القومى وقد أورد الاتحاد القومى للفلاحين ضمن سلسلة منشوراته الهادفة كتابا يحتوى على مجموعة من أقوال الوزير المفكر الاستاذ محمد مزالى منتقاه من خطب القاها سيادته فى الفترة الفاصلة بين سنتى 1980 و 1984 وذلك تحت عنوان « الفلاحة رهان حضارى » .

وجاء فى التمهيد الافتتاحى لمحتوى الكتاب ما يلي :

« ... ان السيد محمد مزالى ليس فقط المفكر والمنظر لتنمية شاملة ومتوازنة قوامها النهضة بالفلاحة بل هو أيضا رجل الانجاز وسليل الحركة الفاعلة من أجل التغيير والتطوير ... لذلك ، وانطلاقا من تصور شامل لمعطيات الواقع ومستلزمات المستقبل القريب والآجل ، شرع فى التنفيذ ، وبدا العمل بتطوير التشريعات القائمة وسن تشريعات جديدة سواء فى مجال الاستثمار والتمويل أو على صعيد الوضع القانونى للرصيد العقارى والملكية أو فيما يخص متطلبات التوازن الجهوى حسب توزيع تفاضلى لمختلف مناطق البلاد وفى هذا الاطار سنت تشريعات جريئة لسحب التغطية الاجتماعية على الفلاحين والبحارة والعمال الفلاحين وصدرت مجلة النهوض بالاستثمارات الفلاحية التى كان من نتائجها تركز مؤسستين هامتين هما : وكالة النهوض

بالاستثمارات الفلاحية وبنك التنمية الفلاحية وتاسيس عدد من شركات الاحياء هذا بالاضافة الى بعث مجلس أعلى للقرض الفلاحي وصندوق للتعاضد والتعاون وآخر لتعديل الاسعار وسن اجراءات للتشجيع على تصدير المنتوجات الفلاحية وغزو أسواق جديدة وتوسيع اطار التسهيلات الجبائية والاعفاءات القمرقية ... » .

اذن يعتبر هذا الكتيب تبيانا هادفا لما حققته السياسة البورقيبية من انجازات مثمرة على صعيد النهوض بالمجتمع التونسي واعطائه مكانة حضارية مرموقة بين شعوب العالم التائقة الى النمو والرقي المتكامل .

● جائزة الابداع القصصي لنادي القصة :

I. الشـــروط :

بمناسبة مرور عشرين سنة على نادي القصة. يعلن نادي القصة بالوردية عن تنظيم مسابقتين احداهما في الابداع القصصي خاصة بالرواية والقصة القصيرة ، والثانية خاصة بالقراءة القصصية وذلك بنقد نماذج من القصة القصيرة والرواية التونسيتين ودراستهما .

أ ــ بالنسبة الى المجموعة القصصية والرواية :

1) أن يكون المشارك من أعضاء نادي القصة .
2) ألا يكون الانتاج المرشح قد سبق نشره جزئيا أو كليا .
3) ألا يقل عدد صفحات المجموعة القصصية أو الرواية عن 150 صفحة مرقونة 31 × 21 .

ب ــ بالنسبة الى القراءة القصصية :

1) ألا يكون الانتاج المرشح للجائزة قد سبق نشره في شكل كتاب.
2) ألا يقل عدد صفحات الدراسة عن 150 صفحة مرقونة قياس 31 × 21 .

II. آخر اجل لقبول الانتاج :

يقدم الانتاج (مجموعة قصصية ــ رواية ــ دراسة) في ثلاثة نظائر عن طريق البريد مضمون الوصول باسم السيد رئيس نادي القصة 77 مكرر شارع بلفي ، الوردية ــ 1009 تونس ، في أجل أقصاه موفى شهر أوت 1985 .

اسم صاحب الانتاج ولقبه لا يجب أن يثبتا على الاثر المقدم للمسابقة ، بل يرسمان على ورقة توضع في ظرف خاص .

III. الجوائز :

يعلن عن نتائج المسابقة خلال شهر ديسمبر 1985 .

خصصت ثلاث جوائز لكل من الرواية والمجموعة القصصية والدراسة :

- الجائزة الاولى : ومقدارها ألفا دينار (2.000 د)
- الجائزة الثانية : ومقدارها ألف دينار (1.000 د)
- الجائزة الثالثة : ومقدارها خمسمائة دينار (500 د)

● الأسبوع التونسي بالمنامة :

أقيم في الفترة الفاصلة بين الخامس والعشرين من شهر فيفري وغرة مارس 1985 أسبوع تونسي بالمنامة عاصمة البحرين ، وقد تركب الوفد الثقافي التونسي الذي ترأسه السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية من السادة : عمار القيزاني ، عبد العزيز قاسم ، عبد الجليل التميمي ، نورة الرياحي وعبد العزيز الدولاتلي ... وتجسمت المشاركة الثقافية التونسية في تقديم محاضرات وحفلات موسيقية ، فقد قدم الاستاذ البشير بن سلامه محاضرة حول السياسة الثقافية في تونس ، وألقى السيد عبد العزيز قاسم محاضرة حول الشعر التونسي الحديث من أبي القاسم الشابي الى اليوم ... وساهم الدكتور عبد الجليل التميمي بحوار حول الحركية التاريخية العربية الجديدة وأهمية التعامل مع الوثائق لكتابة تاريخ الوطن العربي بينما ألقى الدكتور عبد العزيز الدولاتلي محاضرة حول العمارة الاسلامية ... أما الفرقة القومية للموسيقى فقد قدمت حفلات موسيقية أبرزت فيها الطابع الموسيقي التونسي الاصيل .